بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا وبعد.

أسأل الله سبحانه وتعالى كما جمعنا في هذا المكان الطاهر؛ أن يجمعنا في مستقر رحمته، وأن يوفقنا إلى القول والعمل، وأن يهدينا إلى السُنَّة وأن يثبتنا عليها حتى نلقاه وأن يعصمنا من الأهواء المضلّة.

كتابنا في هذه الدورة كتاب عظيم، شديد القدر، عظيم النفع، كتاب شرح السُنَّة للإمام البربهاري رحمه الله تعالى، ولا شك أنه قبل البدء في قراءة فقرات هذا الكتاب لابد من التعريف بهذا الإمام الذي صنف هذا السفر العظيم في بيان السُنَّة، وبيننا وبينه سنوات طويلة؛ بل قرون متطاولة، ولكن الله سبحانه وتعالى ببركة متابعة محمد صلّى الله عليه وسلّم والنية الصادقة لهذا الإمام – نحسبه والله حسيبه – أبقى الله سبحانه هذا الكتاب يُقرأ ويُتَعلم منه ويُشرح ويستفيد الناس منه، وهذا فائدة لطالب العلم أن يَحرص كل الحرص على تحقيق الإخلاص لله سبحانه وتعالى، وتجريد المتابعة للنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولا ينظر إلى النتائج الوقتيّة، بل ينظر إلى ما يُرضي الله سبحانه وتعالى، فالإمام البربهاري رحمه الله تعالى نشأ في عصر حصلت فيه فتن وقلاقل وأمور كثيرة جداً، ولهذا نبدأ أولًا بالتعريف به رحمه الله تعالى، وهو أبو محمد؛ الحسن بن علي بن خلف البربهاري، وإنما نُسِبَ إلى بربهار وهي الأدوية التي تُجلب من الهند؛ فيتعالج الناسُ بها، ويبدو والله أعلم أن حاضرة الخلافة في ذاك الوقت يُسمون الإنسان أو ينسبونه إلى ما يتعاطى، فلعل جَدًّا من أجداده اشتغل بهذا فنسب إلى هذا يعني إلى بربهار، طبعًا البربهاري رحمه الله تعالى نشأ وترعرع في بغداد وعاش فيها، وبغداد في زمن المؤلف – البربهاري رحمه الله تعالى – كانت هي عاصمة الخلافة الإسلامية، تلقى رحمه الله تعالى من كبار أصحاب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السُنَّة، فعلى سبيل المثال منهم أحمد بن محمد الحجاج المروزي المتوفى سَنَة خمس وسبعين بعد المئتين وسهل بن عبد الله التستري المتوفى سُنَّة اثنين وثمانين بعد المئتين.

أما ما يتعلق بمكانته العلمية؛ فأبرز ما يتميز به البربهاري رحمه الله تعالى نصرته للسُنَّة، والاحتساب على ذلك، وشجاعته في إظهار السُنَّة والرد على المخالفين؛ حتى قيل فيه: إذا رأيت البغدادي يحب البربهاري؛ فاعلم أنه صاحب سُنَّة، وقال عنه الذهبي رحمه الله تعالى –وهو شافعي المذهب: الفقيه القدوة؛ شيخ الحنابلة

في وقته – يقصد البربهاري –، وقال عنه الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: الفقيه القدوة شيخ الحنابلة في وقته، وأما أبرز من أخذ العلم عنه فتلميذه المشهور والمعروف ابن بطة رحمه الله تعالى صاحب كتاب الإبانة في السُنَّة، أما ما يتعلق بمصنفاته رحمه الله تعالى فلم يصلنا من مؤلفاته إلا الكتاب الذي بين أيديكم وهو بعنوان شرح السُنَّة.

قبل أن ننتقل إلى القراءة في الكتاب أحب أن أفيدكم بفوائد مهمة تستفيدونها عند قراءة أي كتاب أو عند الحكم على أي شخصية من الشخصيات، أي شخصية علمية أو تاريخية لا بد من الحكم عليها، لا بد للإنسان أن يُلِمَّ بالعصر الذي عاش فيه المؤلف، ولهذا تجد في البحوث الأكاديمية يشترطون في الدراسات أنك تقدم بالناحية السياسية والاجتماعية والعلمية، وما ذاك إلا أن الإنسان يتأثر بعصره ويؤثِّرُ فيه، ومن العدل عند الحكم على الشخصيات أن تنظر إلى العصر الذي عاش فيه المؤلف، وأنت لا تستطيع على وجه التفصيل والدقة أن تُلِمَّ بالعصر الذي عاش فيه المؤلف، ولكن يكفيك العناوين البارزة حتى تعرف النفسية التي عاشها المؤلف رحمه الله تعالى، فليس من العدل أن يكون مثلًا مؤلف من المؤلفين كتب كتابًا وهو تحت ضغوط نفسية ثم لظهور البدع والمحدثات وأشياء كثيرة؛ تقارنه بشخص كتب مؤلف أو كتب المؤلف فيه في وقت ظهور السُنَّة، فربما تجد بعض العبارات التي ربما لا تناسب المقام فتجد لهذا الإمام العذر في ذلك لأنك لم تعش العصر الذي عاش فيه المؤلف رحمه الله تعالى، والعصر الذي عاش فيه الإمام البربهاري رحمه الله تعالى عصر فتن وقلاقل واضطرابات سياسية، يكفي أن تعرف أن المؤلف رحمه الله تعالى البربهاري عاصر الفتنة العظيمة وهي تسلط القرامطة على بلاد المسلمين بهَجَر، ووصل الأمر إلى أنهم اقتلعوا الحجر الأسود وقتلوا الحُجَّاج في الطواف وفي المسعى، وجرت فتنة عظيمة بسببهم واقتلعوا الحجر الأسود وذهبوا به إلى هَجَر؛ حتى أعاده الله سبحانه وتعالى، فإذًا العصر الذي عاش فيه المؤلف رحمه الله تعالى عصر اضطراب وفتن، المؤلف رحمه الله تعالى من أئمة أهل السُنَّة، وهذا الكتاب النافع أثنى عليه أهل العلم وعناوينه عظيمة وقواعده نافعة، وإنما يشرق لهذا الكتاب أهل البدع ويبغضون البربهاري لأنه صريح وشجاع رحمه الله تعالى في نصرة السُنَّة وإظهار السُنَّة، والسُنَّة قاضية على كل أحد، ولهذا من المعاصرين من تطاول على هذا الإمام، منهم الكوثري الجهمي في تعليقه على كتاب ابن عساكر تبيين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري لابن عساكر، تسلط هذا الكوثري على البربهاري وكعادته عامله الله تعالى بعدله بتسلطه على كتب الأئمة يبث

فيها قيئه وسمومه وتلبيسه، ولا يضر البربهاري ذلك، فقد سقت لكم قول الإمام أبي عبد الله الفقيه إذا رأيت الرجل البغدادي يحب البربهاري فاعلم أنه صاحب سُنَّة وإذا رأيته يبغضه فاعلم أنه صاحب بدعة، والكوثري لم يتسلط فقط على البربهاري بل تسلط على أئمة كثر، وهو جهمي معروف عدوٌّ للسُنَّة، نسأل الله السّلامة والعافية.

نبدأ الآن بالقراءة نعم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلّم وبارك على عبد الله ورسوله نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا اللهم علمًا وعملًا يا كريم، واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولشيخنا ولوالديه ولمشايخه والحاضرين والمسلمين.

قال البربهاري رحمه الله تعالى:

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ومَنَّ علينا به؛ وأخرجنا في خير أمة، فنسأله التوفيق لما يحب ويرضى والحفظ مما يكره ويسخط.

.....

قبل أن نُعَلِّق على الفقرة الأولى؛ البربهاري رحمه الله تعالى سمى كتابه بشرح السُنَّة، ومعنى الشرح هنا البيان، وليس معناه الشرح الذي يصطلح عليه المؤلفون، والسُنَّة هنا في هذا العنوان المراد بها الطريقة، وليس المراد بها السُنَّة في اصطلاح المحدثين، وهو ما ثبت عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من فعل أو قول أو تقرير، والسُنَّة هنا المراد بها الاعتقاد، وكانوا يسمون كتب الاعتقاد بالسُنَّة، ولهذا كتاب السُنَّة لعبد الله بن الإمام أحمد، والسُنَّة للأثرم، والسُنَّة للخلَّال، وتارتًا يسمون مسائل الاعتقاد بالشريعة؛ ككتاب الشريعة للآجري، وقد وافق المؤلف على مثل هذا العنوان اللالكائي رحمه الله تعالى في كتابه شرح أصول الاعتقاد، وتارةً يسمون كتاب الاعتقاد أو الكتب التي يذكر فيها مسائل الاعتقاد بكتاب الإيمان، ككتاب الإيمان لابن مندة، وكتاب الإيمان في صحيح البخاري وصحيح مسلم، وهذه اصطلاحات، وتارةً يسمون مسائل الاعتقاد بالتوحيد مثل كتاب التوحيد لابن خزيمة رحمه الله تعالى.

المؤلف رحمه الله تعالى؛ المسألة الأولى بدأ بالحمد، وبدؤه بالحمد هي عادة أهل العلم اقتداءًا بكتاب الله

تعالى وبفعل رسوله صلّى الله عليه وسلّم، والحمد هنا هو الثناء على الممدوح، والله تعالى يُحمد سبحانه وتعالى لمتعلقات ثلاث، يُحمد لذاته – وهو أهل للحمد – ولأسمائه ولصفاته ولنعمه سبحانه وتعالى الظاهرة والباطنة – الخفية والتي لا تخفى –، والحمد المطلق لا يكون إلا لله وحده فقط، أما غيره فيحمد بِقَدْرِ ما يُسدي من الجميل، فلا تقل: الحمد لفلان، ما تقول الحمد لفلان، وإنما تقول: أحمد فلانًا على فعله كذا وكذا، لأن الحمد لفلان لا يكون إلا لله، بل تقول: الحمد لله، لأن الألف واللام هنا للاستغراق؛ لاستغراق جميع المحامد وهذا لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى.

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى: اعلم، هذه الكلمة يعمد المؤلفون إلى استخدامها والمصنفون لاستخدامها للفت نظر السامع والقارئ ولبيان أهمية ما بعدها من كلام، ولهذا الله سبحانه وتعالى قال في محكم كتابه لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾(١).

اعلم أن الإسلام هو السُنَّة، والسُّنَّة هي الإسلام.

.....

هذه مسألة، التلازم بين السُنَّة والإسلام، كل الرسل جاءوا بالإسلام، فكل نبي دعا إلى الله تعالى جاء بشريعة من الله سبحانه وتعالى، فالإسلام هو ما جاءت به الرسل صلوات الله عليهم من الدعوة والعمل في كل زمان بحسبه، والسُنَّة هي الطريقة التي سار عليها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهي الإسلام، فلهذا الأنبياء عقيدتهم واحدة وأما شرائعهم فمختلفة، لهذا ثمَّ ترابط بين الإسلام والسُنَّة، لهذا أهل السُنَّة هم يمثلون الإسلام الخالص من شوائب البدع والمحدثات، ثم بعدما قررَّ هذا بدأ يفصل المؤلف رحمه الله تعالى.

فمن السُنَّة لزوم الجماعة، ومن رغب عن الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وكان ضالًّا مضلًّا.

.....

بعد تقرير أن الإسلام هو السُنَّة فصل المؤلف بعد الاعتماد في بيان مفردات الإسلام وأصول الإسلام التي يقوم عليها، فذكر الجماعة، فلهذا المسألة الأولى مفهوم الجماعة في الشريعة، ما المراد بمفهوم الجماعة؟

الجماعة التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى، الجماعة مصطلح شرعي جاءت النصوص وجاء تفسيرها من

(١) محمد: ١٩.

خلال النصوص بعد استقراء النصوص لأمرين، جماعة الأبدان، وجماعة الدين، أما جماعة الأبدان فهي الجماعة التي يقوم عليها حاكم مسلم، هذه جماعة الأبدان، وأما جماعة الدين فهي الجماعة المسلمة الذين اجتمعوا على اعتقاد ما كان عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم والصحابة، وهم أهل الأثر وأهل الحديث وإن تباعدت أقطارهم، فإذًا ثمّة جماعة أبدان وجماعة الدين، جماعة الدين هم أهل السُنَّة والجماعة، وجماعة الأبدان هم الجماعة التي يتولى عليها حاكم مسلم، ولهذا فهذه الجماعة في موضع أو في مكان ما تجتمع الجماعتان، يعني جماعة الدين وجماعة الأبدان، وقد يفترقان، ولهذا النصوص جاءت بالحث على السمع والطاعة للأئمة وإن جاروا، وإن كان هذا الجور ببدعة، ولهذا قد تكون الدولة غير سُنِّيَّة على غير طريقة أهل السُنَّة والجماعة ومع ذلك قد يؤمر الإنسان بلزوم جماعة الأبدان، واضح؟ ما المراد؟ قال المؤلف رحمه الله تعالى: لزوم الجماعة، ما المراد بلزوم الجماعة؟ اللزوم هو الثبات والدوام على ذلك، يقال: لزم مكانه أي أقام به ولم يفارقه، والجماعة يقابلها ماذا؟ الفُرْقة، والمفارقة قد تكون كفرًا وقد تكون ضلالة بحسب نوع المفارقة، ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى: فمن رغب غير الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام، ما معنى ربقة الإسلام؟ هذه مسألة، الرِّبق بالكسر الخيط الواحد، والواحد من هذا الخيط يقال رِبْقَة – ربقة بالكسر –، وهذه الربقة حبل ذو عرى تربط به صغار الغنم حتى لا تضيع، والنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم خاطب الناس بما يعقلون وبلغتهم، فالربقة للغنم تربط صغار الغنم حتى لا تضيع فتكون مجتمعة، وهذا هو أصل اشتقاق الكلمة، فمن فارق الجماعة؛ فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وهذا يقتضي ماذا؟ أن يضل الإنسان، والضلال بحسب مفارقته لجماعة المسلمين.

المسألة التي تليها – وهي تابعة لهذا العنوان – الخروج عن جماعة الدين، وكما ذكرنا أن الجماعة جماعة أبدان وجماعة الدين، الخروج عن جماعة الدين قد يكون في أصل من أصول أهل السُنَّة وقد يكون في فرع لأصل من أصول أهل السُنَّة، في أصل أو في فرع لأصل، تأمل، فالخروج عن جماعة المسلمين التي هي جماعة الدين في أصل من أصول أهل السُنَّة يُخرج هذا الخارج عن مسمى أهل السُنَّة والجماعة، لا يسمى من أهل السُنَّة والجماعة إذا فارق في أصل؛ كمفارقة المعتزلة والخوارج والشيعة والأشعرية والماتريدية، سائر أهل البدع لأن مفارقتهم في أصل من أصول أهل السُنَّة أو في أكثر من أصل من أصول أهل السُنَّة، أما الخروج عن جماعة الدين أي جماعة أهل السُنَّة والجماعة في فرع لأصل أو في مفردة عن ذلك الأصل مسألة جزئية،

كأن يُثبت الصفات ولا يثبت صفة من الصفات اجتهادًا منه أو غلطًا أو تأويلًا؛ فهذا لا يُعَدُّ بالمفارقة مفارقًا لجماعة المسلمين وخارجًا عن دائرة أهل السُنَّة والجماعة، واضح هذا؟ هذه المسألة هي مسألة الخروج عن جماعة الدين.

المسألة التي تليها: الخروج عن جماعة الأبدان، ماذا قلنا في جماعة الأبدان؟ قلنا: الجماعة التي يتولى عليها حاكم مسلم، وهذه الجماعة الأصل فيها أنها واحدة، ولكن إذا تعددت فكل إمام واجب الطاعة ويجب على الإنسان أن يلزم هذه الجماعة، ولهذا الجماعة المسلمة جماعة الأبدان قد افترقت من قرون متطاولة، واضح؟ بعد سقوط دولة بني أمية افترقت هذه الجماعة فصارت أكثر من جماعة ثم تعددت، لهذا كل قطر من أقطار المسلمين؛ من تولى عليه حاكم مسلم؛ فهذه جماعة يجب على الإنسان أن يلزمها، واضح؟ وعلى هذا إجماع أهل السُنَّة، ليس ثمَّ خلاف في هذه المسألة، أئمة أهل السُنَّة متفقون على هذا.

الخروج عن جماعة الأبدان بماذا يكون؟ يكون بأمرين أو بشيئين، الأول أن يمتنع عن بيعة الإمام؛ فلا يعتقد أن في عنقه بيعة، أو يعتقد جواز الخروج على الإمام ولو لم يخرج، واضح؟ وهذا ما كان يشير إليه السلف عند جرحهم لبعض الرواة؛ يقولون: كان يرى السيف، مع أنه لم يخرج، ويتركون حديثه ويبدعونه، فإذًا هذا خروج معنوي، واضح؟

المسألة الثانية وهي واضحة في الخروج عن جماعة الأبدان؛ الذين يخرجون على الإمام بسيوفهم.

فمن السُنَّة لزوم الجماعة ومن رغب غير الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وكان ضالًّا مضلًّا، والأساس الذي تبنى عليه الجماعة هم أصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم رحمهم الله أجمعين وهم أهل السُنَّة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم فقد ضل وابتدع، وكل بدعة ضلالة، والضلال وأهله في النار.

.....

المسألة التي تتعلق بهذا العنوان؛ ما الضابط من المؤلف رحمه الله تعالى؟ يبين لك الضابط الآن الذي تبنى عليه جماعة الدين – الجماعة العلمية –، يعطيك ضابطًا تضبطه به، تعرف فيه ما هو قول أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، لهذا يمكن أن نُعَنْوِن هذه المسألة: ما الضابط في الجماعة العلمية؟ أو جماعة الدين؟ ما الأصل في هذا؟ هل هو أهواء الناس وما يرغبون؟ هنا يحيلك المؤلف إلى أصل شرعي تستمسك به، قال لك: هم أصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم، أصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم هم الأصل في جماعة الدين، وما

ذاك إلا لأمرين:

الأول: أنهم نقلة هذا الدين، هم الذين نقلوا لنا هذا الدين، ولهذا الطعن بأصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم طعن في الدين الذي جاء به محمد صلّى الله عليه وسلّم.

الثاني: أن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال لما أخبر أن هذه الأُمَّة ستفترق كما افترقت الأمم قبلها قال: «ستفترق هذه الأُمَّة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»، قالوا: من هي يا رسول الله – في رواية صفها لنا يا رسول الله – قال: «ما كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»(١) أعطاك النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الضابط، أن تسير في الاعتقاد والعمل على ما كان عليه النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، لهذا هذه الرواية صححها الترمذي رحمه الله تعالى والعراقي وشيخ الإسلام ابن تيمية، وهي أصل في هذا الباب، وهذا يدلك على أن الجماعة موجودة في زمن الصحابة، جماعة الدين، وهي موجودة في ما بعد عهد الصحابة؛ التابعين وتابع التابعين؛ إلى قرب قيام الساعة، ولهذا جاء في الحديث الذي هو مخرجٌ في الصحيحين «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين؛ لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»(٢)، فإذًا هذه الجماعة موجودة، والحق الذي جاء به محمد صلّى الله عليه وسلّم لا ينقطع وهو باق، ولكن ليس الشأن في بقاء هذا الحق؛ ولكن الشأن هل أنت تعرف هذا الحق وتلزم هذا الحق الذي جاء به محمد صلّى الله عليه وسلّم؟ هذا هو الشأن، لهذا تكثر الأهواء والفتن والضلالات والعصمة لمن عصمه الله سبحانه تعالى، ولهذا يسأل الإنسان دائمًا الله تعالى أن يوفقه إلى لزوم السُنَّة والموت عليها، لأن الأهواء خطافة والشبهات كذلك خطفت الناس والناس يتغيرون ويتقلبون، ولا عصمة إلا من عصمه الله سبحانه وتعالى، فليس الشأن أن تكون مع هذه الطائفة أو تلك، الشأن كل الشأن أن تلزم ما جاء عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأن تكون على هدي الصحابة رضوان الله عليهم، نعم.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا عذر لأحد في ضلاله ركبها؛ حسِبَها هدى؛ ولا في هدى تَرَكَه حسِبَه ضلالة، فقد بُيّنت الأمور وثبتت الحجة وانقطع العذر، وذلك أن السُنَّة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله، وتبين للناس، فعلى الناس الاتباع.

---

(١) حسن. الترمذي (٢٦٤١). صحيح الجامع (٩٤٧٤).

(٢) صحيح مسلم (١٩٢٠).

.....

هذه العبارة المنقولة عن عمر إسنادها منقطع كما رواها كذلك ابن بطة في الإبانة بإسناده، والمعنى الذي تدل عليه ثابتٌ بوجوه أخرى، فالمعنى صحيح، لكن ثبوتها عن عمر فيه نظر، ورُويت عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، ومعناها صحيح، ثمَّ في العبارة: فمن لم يأخذ عنهم فقد ضلّ وابتدع، فمسألة أن الإنسان يعني قد قامت عليه الحجة؛ فالنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بيّن البيانَ الكامل وتركنا على البيضاء؛ ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فلا عذر لأحد في ارتكاب الضلالة، ولهذا أمور الشريعة وأصول الاعتقاد بيّنة، واضحة بحمد الله، قواعد الشريعة، أصول الدين، قد بُيّنت في كتاب الله وفي سُنَّة النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فلا لعذر لأحد في ضلالة وقع فيها إلا في مسائل معدودة مذكورة عند أهل العلم بحسبها.

واعلم رحمك الله أن الدين إنما جاء من قِبَلِ الله تبارك وتعالى، لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم، وعلْمُه عند الله وعند رسوله؛ فلا تتبع شيئًا بهواك فتَمْرُق من الدين؛ فتخرج من الإسلام؛ فإنه لا حجة لك، فقد بيّن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأمته السُنَّة وأوضحها لأصحابه، وهم الجماعة، وهم السواد الأعظم والسواد الأعظم الحق وأهله، فمن خالف أصحابَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في شيء من أمر الدين فقد كفر.

.....

هنا مسألة تحت هذا العنوان بيّن البربهاري رحمه الله تعالى أن الإعراض عن الأخذ عن علم الصحابة وما رووه من الدين ضلالة، وهذه المسألة فارقة بين أهل السُنَّة وغيرهم من أهل الأهواء، فأهل السُنَّة يُعَظِّمون ما جاء عن الصحابة رضوان الله عليهم، ويُقَدِّمُون فهمَ الصحابة للنصوص على أفهامهم، فلهذا أهل السُنَّة يتميزون بمتابعة ما جاء عن الصحابة رضوان الله عليهم، ولهذا فهم أهل الآثار، ولهذا تجدهم في كتبهم ومؤلفاتهم يزينون هذه المؤلفات بما ينقل عن أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ما جاء في كتاب الله، ما جاء عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وما جاء عن أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ويُقَدِّمُون فهمَ السلف على أفهامهم، ولهذا لأنهم هم نقَلَةُ الدين ولأنهم أهل اللغة ولأنهم شاهدوا التنزيل وهم أخبر الناس بأسباب النزول؛ فيقدمون فهمهم على فهم من جاء بعدهم من المتأخرين، ولهذا فمقولة أن منهج السلف أسلم ومنهج الخلف أعلم وأحكم - كما يقول الأشاعرة - مقولة متناقضة، بل منهج السلف في الاعتقاد

والعمل أسلم وأعلم وأحكم، لأن منهج السلف وهم الصحابة أثنى عليه النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال: «ما كان على مثلي ما أنا عليه اليوم وأصحابي»(١) فأثنى على هذا الفهم وعلى هذا المنهج.

المسألة التي لها تعلق بهذا: أهل السُنَّة والجماعة هذا اللفظ ما المراد به؟ ومتى أُطْلِق؟ أهل السُنَّة والجماعة اصطلاح ولا مشاحة في الاصطلاح، هم أهل السُنَّة والجماعة، أهل الأثر، وأهل الحديث، وإنما هذه اصطلاحات، هذا اللفظ أطلق في أواخر القرن الثاني الهجري على أهل الحديث وعلى من يتبع الآثار، ولهذا جَمْعُ اللفظين أهل السُنَّة والجماعة مرادٌ عند أهل العلم، لأن هناك من يدعي اتّباع السُنَّة ولا يكون مع الجماعة، وهناك من يدعو إلى الجماعة دون اتّباع السُنَّة، وكلٌّ منهما لازم للآخر، فاتباع السُنَّة اتباع للجماعة، لأن السُنَّة جاءت بالجماعة، والجماعة جاءت بالسُنَّة، لهذا مقولة عمر "لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة"(٢) يدلك على هذا الأصل، والجماعة هنا جماعة الدين، والاعتصام بهذه الجماعة نجاة؛ نجاة للأمَّة من الفُرْقَة والاختلاف والتفرق، وإذا أُفرد مصطلح أهل السُنَّة؛ قال: أهل السُنَّة والجماعة؛ أنه اصطلاح، وإذا أُفرد أهل السُنَّة؛ قد يراد به ما يقابل الرافضة والشيعة، فقد تقول: فلان سُنِّي وفلان رافضي أو شيعي، واضح؟ هذا فلا تريد أنه موافق لأهل السُنَّة والجماعة بإطلاق، ولهذا يقال سُنِّي وأهل سُنَّة، لكن إذا كان على عقيدة سليمة فيما يتعلق بأصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، واضح؟ فيما يقابل الرافضة والشيعة فتقول سُنِّي؛ فهذا لا مشاحة في ذلك أن تطلق، لكن لا تطلق لفظ أهل السُنَّة والجماعة إلا على من ذكرت لك ممن سَلِمَ من الأهواء ولازم جماعة المسلمين والجماعة العلمية وجماعة الدين، العبارة التي قبلها قال: وذلك أن السُنَّة والجماعة قد أحكما أمر الدين وسبق الكلام عليها.

هنا مسألة بيّن المؤلفُ رحمه الله تعالى أن مصدر التلقي عند أهل السُنَّة – تحت هذا العنوان – هو الوحي، مصادر التلقي عند أهل السُنَّة ما هي؟ الوحي، والوحي يطلق على ماذا؟ على كتاب الله وعلى ما صحّ من سُنَّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لهذا أهل السُنَّة في مصادر التلقي يُفارقون أهل البدع، مصدر – عند أهل السُّنَّة – التلقي عندهم الوحي، ما جاء في كتاب الله وما جاء في سُنَّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى: إنما جاء من قِبَل الله تعالى، هذا بيّن لك مصادر التلقي، ثم قال: لم يوضع على

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه الدارمي (١/ ٣١٥)، وذكر محققه – الشيخ حسين أسد حفظه الله – له علتان.

عقول الرجال وآرائهم، يعني الدين ما جاء بالعقول، ما جاء على وُفق عقول الرجال، لأن عقول الرجال تختلف، وآرائهم تختلف، وأذواقهم تختلف، فالميزان الذي يوزن به الحق هو كتاب الله وسُنَّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم، فالأصل عندك أيها السُّنِّي؛ يا من لزمت جماعة المسلمين؛ متابعة ما جاء في النصوص بكتاب الله وسُنَّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولهذا علي رضي الله عنه فيما أخرجه مالك في الموطأ عنه له مقولة عظيمة: لو كان الدين بالرأي، ماذا يقول؟ لو كان الدين بالرأي مما يدل على أن الدين ليس بالرأي ولا على آراء الرجال، ليس كل شيء تفكر فيه تقول: إن المفروض أن نصلي كذا، نفعل كذا؛ نعمل كذا، ليس للعقل فيه مجال، قال: (لو كان الدين بالرأي؛ لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، ولقد رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يمسح على ظاهر خفيه)[(١)]، فالأصل ماذا؟ الأصل فيك المتابعة، ولهذا جَمْعٌ من أهل العلم ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية يُقَعِّد قاعدة عظيمة تنتفع بها عند النظر في النصوص يقول: النصوص تأتي بما تَحَار بها العقول لا بما تُحِيْلُهُ العقول، وفرق بين العبارتين، النصوص تأتي بما تحار به العقول لا بما تحيله العقول، واضح؟ ولهذا الله سبحانه وتعالى جاء في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمور مبناها كما سوف يبيّن المؤلف رحمه الله تعالى على الاتباع والتسليم.

المسألة التي تليها وهي داخلة تحت هذا العنوان قال: فلا تتبع شيئًا بهواك، البربهاري رحمه الله تعالى يوصيك بمخالفة الهوى، لا تعمد إلى الهوى، والهوى هو ميل النفس إلى ما تستلذه من الشهوات بغير ضابط من الشرع، هذا هو الهوى، واتباع الهوى مذموم في كتاب الله وفي سُنَّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم، فالله عزّ وجلّ قال لنَبيّ من الأنبياء وهو داود عليه السّلام: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[(٢)]، وكان النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يستعيذ من متابعة الهوى فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء»[(٣)]، هذا يدلك على أن الأهواء فيها ما يحرفك عن متابعة الشريعة، لهذا النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال في حديث آخر: «إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوىً متبع»[(٤)]، فالهوى يُتَّبع، فالإنسان يميل مع دعاية الهوى، وهذا سبب للضلال، بل هو من أعظم أسباب الضلال، ولهذا السلف

(١) صحيح. أبو داود (١٦٢)، الإرواء (١٠٣)، ولم أعثر عليه في الموطأ.
(٢) ص: ٢٦.
(٣) صحيح. الترمذي (٣١٩٥). صحيح الجامع (١٢٩٨).
(٤) ضعيف. الترمذي (٣٠٥٨). ضعيف الجامع (٢٣٤٤).

رحمهم الله تعالى كانوا يسمون أهل البدع؛ يسمونهم بماذا؟ أهل الأهواء، ويسمون البدع الأهواء، لأن الإنسان حينما يخالف الشريعة فهو يتابع هواه، والله عزّ وجلّ قال عن هذا الصنف: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾(١)، فإذًا متابعة الهوى قد يتخذ الإنسان الهوى إلهًا يعبده من دون الله سبحانه وتعالى، ثم الهوى هو ميل النفس إلى ما تشتهيه بغير ضابط من الشرع، بغير ضابط من الشريعة أو من الشرع.

المسألة التي داخلة في هذا العنوان المؤلف رحمه الله تعالى ذكر عبارة السواد الأعظم، مصطلح السواد الأعظم، هذا المصطلح جاء مرفوعًا عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «إذا اختلف الناس؛ فعليكم بالسواد الأعظم»(٢) طبعًا هذا الحديث رواه ابن ماجه وفيه معان بن رفاعة وهو لين الحديث، وكذلك فيه أبو خلف الأعمى وهو متروك الحديث، فالحديث فيه ضعف شديد، ولو صحّ؛ فالمراد بالسواد هنا في عصر النُّبوّة وما بعدها قبل ظهور الأهواء لأن أهل السُنَّة كانوا هم الكثرة، بل أهل الأهواء لا يكادون يذكرون، وإنما قلت لك هذا وأحلتك على أن المراد بالسواد الأعظم هم أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قبل ظهور الأهواء؛ لأن أهل الأهواء كالأشاعرة والماتريدية يُشَبِّهُون على الناس بمثل هذا الحديث، لماذا؟ لأنهم يعتقدون أنه في هذا الزمان أن الأشاعرة والماتريدية كثرة؛ فإذًا هم أهل الحق! طبعًا وهذا ليس ضابطًا لمعرفة الحق من الباطل، بل النصوص تصرح بخلاف ذلك، يعني الكثرة ليست ميزانًا لمعرفة الحق من الباطل، بل العكس، النصوص تُبيّن أن الكثرة في الغالب على الضلال لأن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾(٣)، ولازم الحديث لا يقول به أولئك، يعني الأشاعرة والماتريدية يلزم على قولهم بهذا وعلى احتجاجهم بهذا القول بما يبطل دين الإسلام، لأن أكثر أهل الأرض على غير دين الإسلام وعلى غير الدين القويم، والكثرة ليست ميزانًا لمعرفة الحق، بل وَصْفُ الجماعة كما ورد عن ابن مسعود قد يُراد به الواحد، لهذا قال عبد الله بن مسعود رحمه الله تعالى: "الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك"(٤)، ولهذا كان الإمام أحمد رحمه الله تعالى لاعتصامه بالكتاب والسُنَّة كان يُمَثِّلُ الجماعة لأنه خالف المعتزلة في قولهم بالقول بخلق القرآن، فكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة، وكان أبو بكر رضي الله عنه في زمانه هو

(١) الجاثية: ٢٣.
(٢) ضعيف. ابن ماجه (٣٩٥٠). ضعيف الجامع (١٨١٥).
(٣) الأنعام: ١١٦.
(٤) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (١٢١/ ١).

الجماعة في قتال المرتدين، وقوله هو قول الجماعة، لهذا الكثرة ليست ميزانًا لمعرفة الحق من الباطل، ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى: فمن خالف أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في شيء من أمر الدين فقد كفر، طبعًا هذا الكلام مُجمل من المؤلف رحمه الله تعالى وحقه التفصيل، وحقه أن يُفصل؛ بأن يقال من خالف أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في أمر من الأمور الاعتقادية بأن فعل ناقضًا من نواقض الإيمان أو أنكر أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة؛ فقد كفر، أُعيد، بأن يقال: من خالف أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في أمر من الأمور الاعتقادية؛ بأن فعل ناقضًا من نواقض الإيمان أو أنكر أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة فقد كفر، والكفر قد يكون كفر أكبرًا أو أصغرًا بحسب المفارقة، وقد تكون المخالفة دون ذلك فتكون فسقًا، والمسألة تحتاج تفصيل في من خالف أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وليس على إطلاق المؤلف رحمه الله تعالى، بل تحتاج تفصيل، نعم.

واعلم أن الناس لم يبتدعوا بدعة قط حتى تركوا من السُنَّة مثلها، فاحذر المحدثات من الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار.

.....

هذه وصية عظيمة من البربهاري رحمه الله تعالى في التحذير من البدع، ولهذا يُمكن أن نُعَنْوِن لهذا العنوان بمسألة نقول: إحياء البدع إماتة للسُّنَن، إحياء البدعة إماتةٌ للسُنَّة، فكلما أحييت بدعة مات من السُنَّة ما يقابلها أو ما يماثلها، وروي في هذا الباب أحاديث ولكنها لا تسلم من مقال، حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما "لا يذهب من السُنَّة شيء؛ حتى يظهر من البدعة مثله"(١) أخرجه ابن وضاح في كتابه البدع والنهي عنها، وكذلك ورد مرفوعًا وفيه مقال «لا يُحْدِثُ رجل في الإسلام بدعة إلا تَرَك من السُنَّة ما هو خير منها»(٢)، طبعًا هذا الحديث فيه ضعف، وثمّ آثار في هذا الباب مثلما جاء عن عبد الله بن عباس "ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا سُنَّة"(٣) والمعنى صحيح، المعنى صحيح لأن الناس حينما يتعلقون بالبدعة لا شك أنهم يهملون ماذا؟ يهملون السُّنَن، وهكذا تموت السُنَّة، تموت السُنَّة بإحياء البدعة،

(١) لا يصح، وهو مرفوع، العلل المتناهية لابن الجوزي (١/ ١٣٥).
(٢) البدع لابن وضاح (٢/ ٨١).
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٠٣).

ولهذا البدعة يفرح بها الشيطان ويلذ بها ويحب ظهور هذه البدعة، والناس لهم تعلق بالبدع أعظم من تعلقهم بالسُّنَن بسبب أنها تميل لها الأهواء وتزينها الشياطين، والناس – سبحان الله – في البدع يتفانون في ذلك، تجدهم ربما يصنفون مصنفات في الدفاع عن هذه البدعة، وعلى سبيل المثال بدعة المولد النَّبويّ التي يتعلق بها أهل الإسلام للأسف، فتجدهم ينافحون عنها ويكتبون ويثيرون الشبهات، وفي المقابل تجد أن هؤلاء الذين يُحيون هذه الموالد هم من أبعد الناس عن السُنَّة، واقع عملي على مفارقتهم للسُنَّة، نعم.

واحذر صغار المحدثات من الأمور، فإن صغار البدع تعود حتى تصير كبارًا، وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأُمَّة كان أولها صغيرًا يشبه الحق؛ فاغترّ بذلك من دخل فيها ثم لم يستطع المخرج؛ منها فعظمت وصارت دينًا يُدان بها؛ فخالف الصراط المستقيم فخرج من الإسلام.

.....

الله أكبر، هذه الوصية العظيمة، وأنا قلت لكم هذا المصَنَّف من هذا الإمام رحمه الله تعالى تجدون فيه عبارة المؤلف رحمه الله تعالى البربهاري النصيحة والشفقة ويحذر ويبيّن ويشفق، يحذرك من صغار المحدثات صغار البدع فيقول: لا تستهن بهذه البدعة ولو كانت صغيرة، لأن صغار البدع يؤول بها إلى أن تكون كبارًا، فلا تخالف السُنَّة ولو في شيء يسير، تبتدع أشياء من عندك، طبعًا سيرة الصحابة رضوان الله عليهم ومن أعظم فقهاء الصحابة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وله شأن في تحذير الأُمَّة من البدع، وتعرفون القصة المشهورة لعبد الله بن مسعود مع أبي موسى الأشعري حينما رأى أبو موسى الأشعري الحِلَق في المسجد يجتمعون ويذكرون الله في كل حلقة؛ وفي كل رأس حلقة رجل يقول: سبحوا مئة؛ هللوا مئة؛ كَبِّرُوا مئة؛ فرآهم أبو موسى الأشعري فاستنكر هذا ولكنه ليس هو في العلم كعبد الله بن مسعود فلجأ إليه فجاءه مترددًا فقال: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت أمرًا أنكرته– أنكره بفطرته السليمة وبما تَعَلَّمَ – وما رأيتُ إلا خيرًا، في ظاهر الأمر أنه خير، ولكنه يسأل عبد الله بن مسعود قال: ما رأيتَ؟ فذكر له ما رأى، فجاءهم عبد الله بن مسعود على وجه السرعة يجر رداءه وهم في تلك الحِلَق؛ فأنكر عليهم وبيّن لهم أن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لِتَوِّهِ لم تبلَ ثيابه! ولم تكسر آنيته! يعني آثاره الحسية موجودة؛ فما بالك بآثاره المعنوية: سُنَّته! كيف بكم الآن بسرعة افتتحتم باب الضلالة، آثاره الحسية أمامكم تشاهدونها وترونها وتتبركون بآثاره الحسية، وآثاره

المعنوية من باب أولى أنها تكون ظاهرة وموجودة، ثم قال: أو مفتتحون باب ضلالة[١]، ثم نهاهم وأنكر عليهم وبيّن أن هذا الأمر بدعة ومحدث، موضع الشاهد فيه أن الراوي عن عبد الله بن مسعود الذي شاهد هذه الواقعة قال – وهو عمرو بن سلمة – قال: رأينا عامة أولئك الحِلَق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج، انتهى بهم الأمر من بدعة صغيرة بدعة عملية إلى الخروج على أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بل قتال أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم واستحلال الدماء والأموال والخروج عن جماعة المسلمين، فلا تستهن بالبدعة وإن كانت صغيرة، بل كن محاربًا للبدع وأهلها وقائمًا بالسُنَّة وثابتًا عليها ولو فيما يظن بعض الناس أنه يسيرٌ وصغير، ولهذا ابن تيمية رحمه الله تعالى؛ فالبدع تكون في أولها شبرًا ثم تكثر بالأَتْبَاع، ربما تكون البدعة في أول أمرها بسيطة ثم تكثر بالأَتْبَاع، قد لا تكثر في الزمن الأول بل تكثر بالأتباع حتى تصير أذرعًا وأميالًا وطرائق، في كل مخالفة للشريعة، ليس فقط في البدعة، ألا ترون ما ورد عن عبد الله بن عباس في قصة قوم نوح، أول ما بدأ الشيطان بهم أن صوَّرُوا صورًا وانصبوا تلك الصور في المساجد الى قوم صالحين، قال: ثم مضى العصر فلم تعبد حتى نُسِخَ العلم أو قلَّ العلم؛ عُبِدَتْ، الأمر يبدأ صغيرًا ثم يكون كبيرًا وخاصةً في أمر الدين، لهذا أمر الدين على التسليم وعلى الإيمان وعلى اللزوم والثبات لا على الإحداث، على المتابعة، ولهذا يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: البدع تستدرج بصغيرها الى كبيرها حتى ينسلخ صاحبها من الدين كما تنسلُّ الشعرة من العجين، هكذا[٢]، نسأل الله العافية و السّلامة، المؤلف رحمه الله تعالى مشفق وناصح يقول: واحذر صغار المحدثات من الأمور، كلام عظيم ونافع في تحذير طالب العلم الذي يقرأ كتابه، رحمه الله تعالى وجزاه خير الجزاء وثبتنا على السُنَّة حتى نلقى الله سبحانه وتعالى، نعم.

فانظر رحمك الله كل مَنْ سمعت كلامَه من أهل زمانك خاصة؛ فلا تعجلن ولا تدخلن في شيء منه حتى تسأل وتنظر هل تكلم فيه أحد من أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أو أحد من العلماء؛ فإن أصبت فيه أثرًا عنهم فتمسك به، ولا تجاوزه لشيء، ولا تختر عليه شيئًا فتسقط في النار.

.....

الله أكبر، وهذه قواعد مهمة يوصيك بها، القاعدة الأولى أو المسألة التي يمكن أن نُعَنْوِنَ: الرفق في تلقي

(١) صحيح. الدارمي (٢١٠). الصحيحة (٢٠٠٥).
(٢) مدارج السالكين (١/ ٢٣٩).

العلم، كن رفيقًا، لا تكن مستعجلًا، وفي النظر في كلام المعاصرين لك، ولهذا كان السلف يُوصونك - كما سوف يأتي في كلام المؤلف - بلزوم العتيق من الدين، لهذا عن أبي قِلابة أن ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه قال: "عليكم بالعلم قبل أن يقبض"(١) لأنه ورد في صحيح البخاري «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور الناس؛ ولكن يقبضه بقبض العلماء»(٢)، قال: «وقبضه بذهاب أهله»(٣) ذهاب أهل العلم، عليكم بالعلم في وصية عبد الله بن مسعود، فإن أحدكم لا يدري متى يقبض، تعلم العمل لأنك ما تدري متى تموت، فإذا مِتَّ وأنت طالب للعلم فأبشر بالخير، كما قال الإمام أحمد أو بعض السلف: اغْدُ عالمًا أو متعلمًا ولا تكن الثالث فتهلك(٤) - لا طالب علم ولا متعلم -، الإنسان لا بد أن يواصل في طلب العلم على طريقة أهل السُنَّة، فإن أحدكم لا يدري متى يقبض أو متى يُفتقر إلى ما عنده، قد يُفتقر إلى ما عندك من العلم، يحتاج الناس إليه ولو في مسألة معينة، فتعلمون قصة عبد الرحمن بن عوف في ذهاب عمر بن الخطاب لما نزل الطاعون فهل يدخل بيت المقدس أو لا يدخل؟ حتى جاءهم عبد الرحمن بن عوف راوي الحديث عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم افْتُقِرَ إليه، خفي هذا الأمر إلا عن هذا الصحابي حتى أخبرهم بالسُنَّة عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ وأنه إذا نزل بقوم فلا تدخلوا في تلك البلاد، وإذا كنتم فيها فلا تخرجوا منها(٥)، أخبرَهم بالسُنَّة، فـأنت لا تدري، وستجدون أقوامًا يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، العلم القائم على الدليل وعلى المتابعة، وإياكم والتبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق، عليكم بالعتيق، فدائمًا كلام المعاصرين يدخل فيه الغَبَش، ولهذا كلام السلف كما قال ابن رجب رحمه الله في رسالته العظيمة "فضل علم السلف على علم الخلف" قال: كلام السلف قليل ولكنه عظيم النفع، وكلام الخلف كثير ولكنه قليل النفع، وهذا العتيق ما كان عليه الأوائل ممن كان قبلكم وهم السلف الذين اعتصموا بكتاب الله وبسُنَّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولهذا قال المؤلف: من سمعت كلامه من أهل زمانك، المؤلف يعني عاصر فترة فيها أهواء وأقوال واضطرابات وأمور، وسوف

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٩٧).
(٢) صحيح البخاري (١٠٠).
(٣) هو تتمة أثر ابن مسعود السابق.
(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٤١) عن الحسن، أن أبا الدرداء، قال: (كن عالمًا أو متعلمًا، أو محبًا أو متبعًا، ولا تكن الخامس فتهلك) قال: قلت للحسن: وما الخامس؟ قال: المبتدع.
(٥) صحيح البخاري (٥٧٢٩).

أُبيّن لك من خلال بعض المواضع عن بعض المسائل يذكرها المؤلف لأن بعض المعاصرين خالف فيها وأظهر الخلاف فيها، مع أنها ربما تكون مسائل قد لا تخطر في بالك، فإذًا المؤلف يتأثر بعصره يقول: إذا سمعت كلامًا فلا تعجلن عليه، ولا تدخلن في شيء حتى تسأل وتنظر هل تكلم فيه أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أو أحد من العلماء، وهذا يدلك على قاعدة مهمة أو مسألة مهمة: الحرص على السؤال عن العلم وطلب العلم من أهله، لهذا الإنسان يقرأ كلام السلف ويقرأ أقوال السلف يجدهم من أحرص الناس على هذه الأمور، وفي قصة يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن الحِميري – هذه موجودة في كتاب الإيمان في صحيح مسلم – أُسوةٌ لك في السؤال عن العلم حينما سأل عبدَ الله بن عمر؛ فإنهما ذهبا حاجين أو معتمرين وقابلوا عبد الله بن عمر رضي الله عنه – كان من كبار الصحابة في وقته في زمان يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن الحميري – يسألون عن ماذا؟ عن مسألة من مسائل العقيدة أظهرها معبد الجهني؛ فإنه من أوائل القائلين ببدعة القدر، قال فلان: إن الأمر أُنف، يسألوه، قال: اكتنفته أنا وصاحبي فسألناه عن هذا الأمر، ثم قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه ورضي الله عن أبيه أخبرهم: من لم يؤمن بالقدر فأنا بريء منه وهم براء مني، والله لا يؤمن أحدكم حتى يؤمن بالقدر إلى آخر ما ورد بالقصة(١)، موضع الشاهد أنهم ذهبوا لسؤال أهل العلم عن هذه المسألة العقدية والمسألة التي ابتدعها معبد الجهني.

القاعدة الثانية التي أفادك فيها المؤلف: أنك لا تدخل في شيء حتى تنظر فيه هل تكلم فيه أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أو أحد من العلماء، هل هناك أحد من أهل العلم – أهل السُنَّة – تكلم في هذه المسألة؟ ولهذا نقل عن الإمام أحمد – وإن كانت ربما تكون في موضع آخر لكنها تفيدك في هذا الباب – أنه قال: لا تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام، هذه المقالة منسوبة إلى الإمام أحمد وقد ذكرها ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد، وسفيان الثوري رحمه الله تعالى – وهو من أئمة السلف – ماذا يوصيك؟ يقول: إن استطعت أن لا تحك رأسك إلا بأثر فافعل(٢)، صاحب آثار، فلا تعجل في أي شيء، طبعًا كلام السلف رحمهم الله دُرر يحتاج شرحًا وبيانًا، أشياء عظيمة جدًا يستفيد الإنسان منها، وأذكر مقولة أخرى لسفيان الثوري رحمه الله وهي داخلة في باب الإنسان أن لا يكون مستعجلًا، دائمًا في أمر المحدثات والنوازل يكون

(١) صحيح مسلم (٨).
(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ١٤٢).

مُتَّئِدًا، عنده من الهدوء عنده من الرفق عنده من التأني ما يعصمه بإذن الله من الوقوع في الأهواء المضلة والفتن التي تحرف الإنسان عن الصراط المستقيم، النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نُزِع منه شيء إلا شانه»(١)، والرفق في الدين عظيم، ولهذا سفيان الثوري رحمه الله تعالى له مقالة جميلة في هذا الموضع، قال له رجل: أَكْثَرَ الناس في أمر المهدي، المهدي الذي ورد في الروايات والأحاديث عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهي مخرجة في السُّنَن أنه يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلًا كما مُلئت جَورًا(٢)، أَكْثَرَ الناسُ في هذه الروايات، صار الناس بحسب الظروف السياسية التي يمرّون بها يعمدون إلى الإكثار من هذا، فقال سفيان الثوري لهذا الرجل: لو مرّ المهدي بباب بيتك؛ فلا تتبعه حتى يجتمع الناس عليه، فقه عظيم، ففي النوازل لا تكن أنت الأول، أنت محمود حينما تكون الآخر، لست محمودًا أن تكون الأول، لأنه عندك قواعد وأصول لا تفرط فيها، فباب الفتن وباب النوازل يكون الإنسان فيها مترفقًا – رفيق –، ولهذا نعود إلى مقولة الإمام أحمد: لا تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام، يعني المسائل الاجتهادية الاستنباطية، طبعًا لا يُعْنُون بذلك التقدمَ بين يدي النصوص، النص قاض على قول كل أحد، ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى: فتسقط في النار، ولهذا أعاذنا الله وإياكم من الأهواء، الأهواء بريد الكفر وسبب لدخول النار – والعياذ بالله –، ولهذا النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال عن الفرق الوعيدية أن مصيرهم إلى «كلها في النار»(٣)، الأهواء في النار وأهل الأهواء في النار، وأهل السُنَّة ولزوم السُنَّة سبب للنجاة ودخول الجنة.

اعلم أن الخروج على الطريق على وجهين: أما أحدهما فرجل قد زلّ عن الطريق وهو لا يريد إلا الخير؛ فلا يُقتدى بِزَلَـلِهِ؛ فإنه هالك، ورجل عاند الحق فخالف من كان قبله من المتقين، فهو ضال مضل شيطان مريد في هذه الأُمَّة، حقيق على من عرَفه أن يُحَذّر الناسَ منه، ويبين لهم قصته لئلا يقع في بدعته أحد فيهلك.

.....

قال البربهاري رحمه الله تعالى: واعلم أن الخروج عن الطريق على وجهين، ولهذا نُعنون مسألة وهي

(١) صحيح مسلم (٢٥٩٤).
(٢) صحيح. أبو داود (٤٢٨٢). الصحيحة (١٥٢٩).
(٣) حسن. الترمذي (٢٦٤١). صحيح الجامع (٩٤٧٤).

مخالفة السُنَّة قد يكون على وجهين، كما قال المؤلف رحمه الله تعالى، الأول خالف السُنَّة وهو مريد للخير، وهذا قد يكون على ضربين – القسم الأول على ضربين – أن يخالف السُنَّة وهو من أهل الاجتهاد والعلم في مسألة فرعية وليست أصلية، فهذا مأجور وخطأه مغفور ولا يقتدى به في هذه المسألة، الضرب الثاني: أن يخالف السُنَّة وهو ليس من أهل الاجتهاد والعلم، فهذا لا يؤجر على اجتهاده، بل هو آثم لأنه مطلوب منه أن يسأل أهل العلم ويرجع لأهل العلم؛ لا أن يخالف السُنَّة بهواه.

القسم الثاني: وهو أن يخالف السُنَّة على وجه المعاندة وترك الحق مع العلم به، هذا – والعياذ بالله – شيطان كما قال المؤلف وشيطان مضل يجب أن يحذر منه، وهذا – والعياذ بالله – أشبه باليهود، لأن اليهود خالفوا الحق كما أخبر الله عزّ وجلّ: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾(١) ظلمًا ومعاندة، هم يعرفون الحق وعاندوا في المتابعة، ولهذا النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بُعث وفِئَام من اليهود في المدينة، قال الله عنهم: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾(٢) ومع ذلك عاندوا وخالفوا الحق، فمن خالف الحق بعد العلم به فهو ضال مضل، ولهذا المؤلف رحمه الله تعالى قال: شيطان مريد في هذه الأُمَّة، ولهذا الشياطين أيها الأخوة أنواع: شياطين الإنس وشيا طين الجن، وكلهم يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا – كما أخبر الله عزّ وجلّ – يغرُّ بعضهم بعضًا، ولهذا أهل الأهواء هم كالشياطين يصرفون الناس عن الصراط المستقيم – والعياذ بالله –، والشيطان بحسب المفارقة – نسأل الله السلامة والعافية – فهناك من شياطين الإنس من يزين للناس الشرك، والشيطان تلاعبه بالعباد لا حدّ له، ولهذا الشيطان جعل الناسَ في بيوت الله عزّ وجلّ يرقصون كما يفعل المتصوفة، يضربون بالطبول ويرقصون، ويعتقدون – والعياذ بالله – بأشياء يضحك منها أي عاقل، لهذا كتاب طبقات الصوفية للشعراني حافل بمثل هذه الأمور – نسأل الله السّلامة والعافية –، فهؤلاء الشياطين جاء في بعض الروايات أن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لما أخبر بأن الصراط المستقيم واحد وأن الطرق والسبل كثيرة قال: وعلى كل سبيل شيطان يدعو إليه(٣)، شيطان يدعو إلى الهوى والبدعة، أن تحسب أن أهل الأهواء معهم الشيطان، شياطين الإنس والجن تعينهم وتؤزهم، ولهذا النَّبيّ صلّى الله عليه

(١) آل عمران: ١٩.
(٢) البقرة: ١٤٦.
(٣) صحيح. الدارمي (٢٠٨). ظلال الجنة (١٦).

وسلّم قال في أوصاف دعاة جهنم ودعاة الأهواء: «يتكلمون بألسنتنا وهم من جلدتنا»[1]، هذا أعظم الضلال، يأتيك من يضلك، يتكلم بلغتك ويلبس مثلما تلبس، وهو شيطان من شياطين الإنس، يضلك عن الصراط المستقيم، ولهذا تحذر من هذه البدع ولا تجامل فيذلك أحد، تكون ثابتًا على الحق ومعتصمًا بالحق، ولهذا قال بعض السلف: عليك بالسُّنَّة وإن رفضك الناس، ما ترجو إلا رضا الله سبحانه وتعالى، ما ترجو أن الناس يرضون عنك، أهم شيء أن تكون متابعًا لما جاء به النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، الشأن كل الشأن في المتابعة، لكن ليس الشأن أن يرضى عنك فلان أو يكثر أتباعك، أو يكثر من يأخذ عنك أو يكثر من يبجلك، ليس هذا الشأن، ولك أسوة، فإن النَّبيّ – وهو نبيّ – يأتي وليس معه أحد، لك أسوة بأنبياء الله، المطلوب هو المتابعة والتأسي ولزوم السُّنَّة كما أوصى المؤلف رحمه الله تعالى.

واعلم رحمك الله أنه لا يتم إسلام عبد حتى يكون متبعًا مُصدّقًا مسلّمًا، فمن زعم أنه بقي شيء من أمر الإسلام لم يكفوناه أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقد كذبهم، وكفى بهذا فُرقة وطعنًا عليهم، فهو مبتدع ضال مضل مُحدِث في الإسلام ما ليس منه.

.....

مسألة مهمة تحت هذا العنوان، يمكن أن نُعنون لها بعنوان: التسليم للنصوص، أن يكون الإنسان مسلّمًا لما جاء عن الله وعن رسوله صلّى الله عليه وسلّم، ولهذا الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته يقول: ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، حتى تكون مسلمًا لا بد أن تكون مسلّمًا لما جاء عن الله وعن رسوله صلّى الله عليه وسلّم، وهذا ما يُميّز أهل السُّنَّة عن غيرهم من الفرق الوعيدية، ولهذا مسألة التسليم للنصوص ولدلالات النصوص أصل من أصول أهل السُنَّة، فمصدر التلقي كما بيّنت لك قبل ذلك هو الكتاب والسُّنَّة، لا العقل ولا الأذواق ولا الأهواء، لأن أبواب الشريعة في الاعتقاد والعمل تأتي فيها مسائل ربما يكون في هذه المسائل نوع إشكال في ذهن المكلف أو في ذهن الناظر؛ إما في علّتها أو في التسليم لها، ولا خلاص لك من ذلك إلا بلزوم التسليم للنصوص، وذاك أن الدين قائم على البرهان، والبراهين أنواع: برهان غريزي مثل الجوع العطش؛ لا يحتاج إلى دليل، هو برهان، والعطش، لا يحتاج العطشان والجوعان إلى دليل لأنه غريزي، والنوع الثاني: هو البرهان العقلي، برهان حسابي، واحد زائد واحد يساوي

(١) صحيح البخاري (٣٦٠٦).

اثنان، لا يحتاج لدليل، البرهان الثالث: البرهان الديني، وهذا البرهان مبني على مقدمة عظيمة وهي التسليم لما جاء في كتاب الله وما جاء في سُنَّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولهذا سمّى الله القرآن وما جاء به محمد صلّى الله عليه وسلّم برهانًا قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾(١)، برهان ونور، فإذا طلب منك كائن من كان شيئًا فيكفي الدليل، كافي، برهان عظيم، لأنه ما جاء عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم، لأن هذا برهان على ما جاء فيه من الحق، وهكذا في مسائل الاعتقاد كلها، براهين عظيمة كمسألة العلوّ، ثمّ براهين على أن الله تعالى عالٍ على خلقه، فأنت مجرد إيراد الدليل هذا برهان.

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى: فمن زعم أنه قد بقي شيء من أمر الإسلام لم يكفوناه أصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم فقد كذبهم، هذا يصلح أن نُعنون له عنوان أن الدين تام وكامل، مسألة تمام الدين وكمال الدين تحت هذا العنوان، فلم يتوفَّ النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم حتى أكمل الله به الدين، وبلغ البلاغ المبين حتى قال صلّى الله عليه وسلّم: «تركتكم على المحجة البيضاء؛ ليلها كنهارها؛ لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»(٢)، وأنزل الله قبل وفاة النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بثمانين يومًا: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(٣)، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾(٤)، صدقًا في الأخبار – أخباره صادقة –، وعدلًا في الأوامر والنواهي، الأمر والنهي مبني على العدل، لا مبدل لكماته، فمن ادّعى أنه يحتاج هذا الدين إلى زيادة فقد كذَّب وكذَب وافترى وردّ مدلول هذه النصوص، الدين لا يحتاج إكمالًا، كامل وقد كمُل ببعثة النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فلهذا كما قال المؤلف رحمه الله تعالى: من زعم أن أمرًا من أمر الدين لم يكفوناه أصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم فقد كذّبهم، وهذا يجرّنا إلى مسألة مهمة جدًا وهي تُبحث في مسائل الاعتقاد وهي مسألة: أن الصحابة رضي الله عنهم بلّغوا الدين ولم يكتموا منه شيئًا، ولهذا دعوى أن الصحابة كتموا شيئًا من الدين خرجت على يد الشيعة والروافض، هذه الدعوى، ولهذا خرجت هذه الدعوى حتى في وقت عليّ رضي الله عنه، في وقت

(١) النساء: ١٧٤.
(٢) صحيح. ابن ماجه (٤٣) وأحمد (١٧١٤٢). الصحيحة (٩٣٧).
(٣) المائدة: ٣.
(٤) الأنعام: ١١٥.

عليّ وهو حي حاضر، فخرجت هذه الدعوى فقيل لعليّ رضي الله عنه: هل عندكم سوداء في بيضاء ليست في كتاب الله؟ يعني هل هناك شيء مكتوب؟ كذا يعتقد الشيعة والروافض أن إمامة عليّ والنص على ذلك أنه مما كتمه الصحابة وغيّروه، فقال عليّ: لا والذي خلق الحبة وبرأ النسمة، ما عندنا – وفي رواية: إلا فهمًا يعطيه الله تعالى في القرآن – كأن يفتح الله عليه في الأفهام، وما في الصحيفة، قال: وما في الصحيفة؟ قال: العقل، العقل يعني الدية، وفكاك الأسير، وأن لا يُقتل مؤمن بكافر، صحيفة عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كما روى ذلك الترمذي في كتاب الدية(١)، فهذا مما يُشكل عليه شيء عندما تقرأ في كتب السُّنَّة ما قاله أبو هريرة رضي الله عنه لأن الصحابة بلغوا البلاغ المبين ولم يكتموا شيئًا وعليّ رضي الله عنه بيّن أنه ليس ثمّ شيء من العلم مكتوب، ولكن أبا هريرة قال: حفظت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعاءين، أما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني الحلقوم(٢)، هذا رواه البخاري في صحيحه، فأهل العلم قالوا: هذا الوعاء الذي تكلم عنه أبو هريرة رضي الله عنه جزمًا أنه مما لا تعلّق له بأحكام الدين – جزمًا –، قالوا: الوعاء هو أسامي أمراء الجَور وأحوالهم والزمان الذي هم فيه، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يُكني عن هؤلاء الأمراء؛ فيقول: أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان، وقال بعض أهل العلم : يشير بذلك إلى إمارة يزيد بن معاوية وما حصل فيها من الفتن كما تعرفون، والنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كما ورد أنه قام مقامًا طويلًا من صلاة الفجر حتى غربت الشمس؛ فحدّثهم بما هو كائن حتى أدخل أهل الجنةِ الجنةَ وأهل النارِ النارَ(٣)، فذكر لهم الأسماء والأحوال التي تمر بها الأمة، فقال الراوي: فكان أحفظنا هو أعلمنا، ولعل الله سبحانه وتعالى أن من الحكمة أن الله تعالى أنسى بعض أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعض الأسماء لحكم يعلمها الله تعالى ، وكان أبو هريرة رضي الله عنه من الحفاظ، وكان يعرف أشياءً وأسماءً وكان يرى أنه من المصلحة عدم التسمية وبث هذا الوعاء، إما لما يخشاه على نفسه رضي الله عنه، وإما لما يرى من المصلحة، ومما يدلك على أن هذا الوعاء ليس له تعلق بأحكام الدين أن أبا هريرة رضي الله عنه هو الذي روى الحديث المُخرّج في الصحيحين «من كتم علمًا يعلمه جاء يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار»(٤)، فكيف يكتم علمًا جاء

(١) صحيح. الترمذي (١٤١٢)، وفي البخاري (٣٠٤٧) بنحوه. صحيح وضعيف الترمذي (١٤١٢).
(٢) صحيح البخاري (١٢٠).
(٣) صحيح مسلم (٢٨٩٢) بنحوه.
(٤) صحيح. الترمذي (٢٦٤٩). صحيح الترمذي (٢٦٤٩)، ولم أعثر عليه في الصحيحين.

عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ ولهذا نقول: إنما امتنع أبا هريرة رضي الله عنه من هذا التبليغ لأمور: الأول: أنه لا تعلق له بأحكام الدين، الثاني: خشية أن يُكذّب، لأنه جاء في رواية أنه قال: لو أخبرتكم أنكم تقتلون إمامكم لما صدقتموني ولكذّبتموني[1]، وهذا حدث، قتلوا عثمان بن عفان، يعني قتل أهلُ الإسلام وممن ينتسبون للإسلام عثمانَ بن عفان، وهذا هو السبب الثاني، الثالث: أنه ذكر ذلك (لقُطِعَ مني الحلقومُ) يعني الخشية من أمراء الجَور، الرابع من الأسباب: عدم تحقق المصلحة في ذلك، لا مصلحة من التسمية وبث هذا الوعاء، ولهذا جاء في الأثر «حَدِّثُوا الناسَ بما يعقلون، أتريدون أن يُكذّب الله ورسوله»[2]، فإذًا الصحابة رضي الله عنهم بلغوا البلاغ المبين.

واعلم رحمك الله أنه ليس في السُّنَّة قياس، ولا يُضرب لها الأمثال، ولا تُتبعُ فيها الأهواءُ، وهو التصديق بآثار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بلا كيف ولا شرح، ولا يقال: لِمَ ولا كيف؟

.....

طبعًا هذه الفقرة هي تابعة لما قبلها في أن المؤمن مطلوب منه التسليم لما جاء في كلام الله وفي كلام رسوله صلّى الله عليه وسلّم، والسُّنَّة ليس فيها قياس ولا يُضرب لها الأمثال، وإنما هي مبنية على التلقي، ولا تسأل عما جاء في النصوص، بلا كيف، وسيأتي في الشرح معنى ذلك من خلال إيضاح المؤلف رحمه الله تعالى، ولا لِمَ؟، يعني في الأحكام الشرعية، لِمَ فرض الله علينا صلاة المغرب ثلاث ركعات، ولماذا صلاة الفجر اثنتين، فلا تقل كيف فيما يتعلق بصفات الله تعالى وأسمائه، ولا تقل لِمَ فيما يتعلق بأحكام العبادات، بل ابقَ على ظهر التسليم والاستسلام لما جاء في النصوص.

والكلام والخصومة والجدال والمراء مُحدث يقدح الشك في القلب؛ وإن أصاب صاحبُه الحقَ والسُّنَّةَ.

.....

هذا يدلك أنك على مقام التسليم، ولهذا السلف رحمهم الله من يسأل عن المتشابه على وجه التشبيه على الناس، ولهذا صبيغ بن عسل حينما جاء إلى المدينة، لأنه سبحان الله أول ما يبدأ الإنسان بالأسئلة ثم

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث (٨/ ١١٤).

(٢) صحيح البخاري (١٢٧) عن علي موقوفًا.

الخصومات والجدل فجاء وصار يسأل عن المتشابه في القرآن في الحق على وجه الاستشكال لا على وجه السؤال عن العلم، فعصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عمر كان الشيطان يفرق منه، وأهل الأهواء كذلك من باب أولى، فقال عمر: أحضروا لي عراجين النخل، العراجين هي النخلة التي يطلع منها التمر إذا يبس يسمى عرجون كما قاله الله عزّ وجلّ: ﴿حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾(١)، فكشف عن رأسه فقال: لو وجدت رأسك محلوقًا لضربت الذي بين عينيك، لأن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أخبر أن الخوارج سِمَاهُم التحليق، فضربه عمر رضي الله عنه وجاءه وعزّره على ذلك ونفاه إلى البصرة وأمر ألا يُجالس، فكان إذا جاء في حلقة من الحلق قاموا عنه وقالوا: عزيمة أمير المؤمنين، حتى كتب أبو موسى الأشعري أن صبيغًا قد حسنت توبتُه، فارفع عنه يا عمر الحظرَ، فعندما كان الناس متابعين لأئمتهم ولولاتهم عند ذلك رُفع عنه هذا الحظر، هذا صبيغ لما حدثت فتنة الخوارج، سبحان الله، هذا تلقى عقوبة أما أولئك قوم عبد الله بن مسعود ما تلقوا عقوبة، ولذلك العقوبة قد تكون خيرًا للإنسان، كما يقال: كل ضربة بتعليمة، فالضرب نافع، فقيل له: يا صبيغ هذا يومك – لما خرج الخوارج –، قال: كفتني عراجين الرجل الصالح عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يعرف أن عمر بن الخطاب ما ضربه إلا شفقة عليه ورحمة به حتى يلزم السُّنَّة ويترك الجدال والمراء في دين الله عزّ وجلّ، ولهذا المؤلف رحمه الله قال: والكلام والخصومة والجدال والمراء محدث، بدعة، مسألة الجدال والمراء، الجدال والمراء في الدين مذموم، ولهذا لما خرج النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم على أصحابه وهم يتنازعون في القدر – في رواية كلٌّ ينزع بآية – فخرج عليهم النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فغضب حتى احمر وجهُه، قال الراوي: كأنما فقأ في وجهه حبّ الرّمّان، احمرّت وجنتيه، فأقبل علينا فقال: «أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حينما تنازعوا في الأمر»(٢)، فنهاهم النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أن يُضرب القرآن بعضه ببعض، لأن القرآن فيه محكم ومتشابه، المتشابه يُرد إلى المحكم، ولهذا جاء في كتاب السُّنَّة لأبي داود: «المراء في القرآن كفر»(٣)، وسوف يأتي أن المؤلف رحمه الله تعالى يذكر هذه المسألة، لكن ناسب أن نذكرها هنا لأن هذا من مواضعها، وهو أن يتمارى اثنان في آية يجحدها أحدهما

(١) يس: ٣٩.
(٢) صحيح. الترمذي (٢١٣٣). صحيح وضعيف الترمذي (٢١٣٣).
(٣) صحيح، أبو داود (٤٦٠٣). صحيح الجامع (٦٦٨٧).

ويصير الآخر إلى الشك، لهذا كما ذكرت لكم الجدال مذموم في الشريعة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾[1]، أي لا تجادل إلا جدلًا ظاهرًا لا تتعمق، وقال صلّى الله عليه وسلّم: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»[2]، لا تكن صاحب جدل وصاحب مناظرات وصاحب خصومات، أنت تبصّر بالعلم، تأخذ من أهل العلم، ولا تمار أحدًا إلا على وجه الضرورة، أما أن تحصل مناقشات وجدال وبحث مسائل وتعمق في مسائل؛ هذا ليس من طريقة أهل السُّنَّة والجماعة، ولهذا كان عمر بن عبد العزيز يقول: من جعل دينَه عرضةً للخصومات أكثر التنقل، كل يوم تجده مع طائفة، ولهذا السلف رحمه الله مارسوا التعليم العملي للتلاميذ في النهي عن الجدال ومراءاة أهل البدع وأهل الخصومات، فجاء رجل إلى الحسن يجادله، فقال له الحسن: إليك عني – وهو إمام من الأئمة – فإني قد عرفت ديني؛ وإنما يخاصمك الشاك في دينه، وأيوب السختياني رحمه الله تعالى دخل عليه رجل فقال: أكلمك، فأدخل أصبعيه في أذنيه وقال: لا، ولا نصف كلمة، هذا تعليم عملي، لهذا الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى أحد أهل الأهواء طلب منه المناظرة عند الكعبة؛ فالشيخ رحمه الله تعالى أعرض عنه، لأن المراء والجدال لا حد له، فنحن لسنا في شك من ديننا، وإنما أهل الأهواء يريدون هذه المناظرات ويحرصون عليها من أجل يلقون في هذه المناظرات شكًا على الناس في دينهم، فالشبهات السلف رحمهم الله يقولون؛ الشبه خطافة، يزينها الشياطين، والإنسان دائمًا يحرص على العلم النافع ويترك الخصومات والجدال وبخاصة في الدين، قد يقول قائل: المناظرة قد تكون سببًا لنصرة الحق، فنقول: هذا يحتاج لفقه وتحقيق مناط، ليس كل مناظرة ومجادلة مأمور بها أو منهي عنها، لهذا من الأئمة من ناظر لكن هذا بحسب اجتهاده وبحسب قوة الحق وظهور الحق تختلف من زمان إلى زمان، فليس كل زمان يناسب فيه هذا، ولهذا ممكن أن نقول أن شروط الجدل والمناظرة عند السلف – باستقراء كلامهم – وهذا محل اجتهاد: أولًا أن يكون ثمّ حاجة إلى بيان الحق، هناك حاجة من خلال هذه المناظرة أن تبين الحق، الشرط الثاني: القصد الصحيح، نية طيبة صحيحة، الشرط الثالث: العلم بما يُناظر، أن يكون عندك علم فيما تناظر فيه، لأنك قد تناظر عن جهل، الشرط الرابع: معرفة القبول من هذا المناظر، يعني عنده قبول أو معاند، المعاند لا فائدة فيه أن تناظره وتجادله، الخامس: أن تعتصم بكتاب الله وسُنَّة

(١) الكهف: ٢٢.
(٢) صحيح. الترمذي (٣٢٥٣). صحيح الجامع (٥٦٣٣).

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى في الاصطلاحات، وأنت لو نظرت في مناظرات جرت عند السلف وجدت أن هذا متحقق فيها في الجملة، وهذه الشروط التي ذكرتها لك مفهومة ومأخوذة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

واعلم رحمك الله أن الكلام في الرب تعالى محدث وهو بدعة وضلال، ولا يُتكلم في الرب إلا بما وصف به نفسه عزّ وجلّ في القرآن، وما بيّن رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لأصحابه، فهو جلّ ثناؤه واحد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١).

.....

هنا المؤلف رحمه الله تعالى يُبيّن أن القول في الرب يُتوقف فيه على كتاب الله وعلى سُنَّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم، فلا يُسمى الرب سبحانه وجلّ وعلا ولا يوصف سبحانه إلا بما سمّى به نفسه أو سمّاه رسوله صلّى الله عليه وسلّم، ولا يوصف إلا بما وصف به نفسه سبحانه وتعالى أو وصفه رسوله صلّى الله عليه وسلّم، قاعدة وأساس، ولهذا قال الخطابي رحمه الله تعالى: ومن عَلِم هذا الباب وما يدخل في أحكامه ويتعلق به من شرائط؛ لم يتجاوز فيها التوقيف، ولا يُستعمل فيها القياس - يعني في أسماء الله وصفاته، نتوقف فيها - ثم مثَّل في مثال قال: فالجواد لا يُلحق بالسخيّ وإن كانا متقاربين في المعنى، فأسماء الله وما وصف الله سبحانه وتعالى به نفسه لا يُلحق به - في مسألة القياس - لا يوصف الله عزّ وجلّ بأنه سخيّ وإنما يُتوقف على دلالات النصوص وعلى ما جاءت به النصوص، كذلك أن الكلام في الرب سبحانه وتعالى يكون وفق ما جاء في النصوص كما ذكر المؤلف رحمه الله تعالى حينما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٢)، ولهذا هذه الآية التي أوردها لك المؤلف فيها رد على طائفتين، على الممثلة وعلى المعطلة، الممثلة المشبهة وعلى المعطلة، لأن الله قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٣)، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾(٤)، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(٥)، ليس له كفؤ سبحانه وتعالى، لا

---

(١) الشورى: ١١.
(٢) الشورى: ١١.
(٣) الشورى: ١١.
(٤) مريم: ٦٥.
(٥) الإخلاص: ١ - ٤.

مثيل له ولا سَمِيَّ له ثم قال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وهو متصف بالصفات سبحانه وتعالى، ولهذا قاعدة عند السلف رحمهم الله تعالى؛ وممن عبّر بهذه العبارة شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في التدمرية، قال: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله عزّ وجلّ بالصفات، الطمع طمع الإنسان في معرفة الكيفية، فإن الإنسان لا بد له أن يقطع هذا الطمع، لأنه لا يمكن للإنسان أن يصل إليه، لأن العقل قاصر كما أخبرناكم وذكرنا لكم، فالنصوص تأتي بما تَحَارُ به العقول لا ما تُحيله العقول، ومبنى الأمر على التسليم والمتابعة وعدم البحث والتفكر والتعمق في مثل هذه الأمور، لأن الله قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لا مثيل له، ولهذا قال بعض أهل السلف: ما خطر ببالك فالله عزّ وجلّ بخلافه سبحانه وتعالى، لا يمكن أن تدرك، عقلك قاصر عن الوصول إلى كيفية اتصاف الرب سبحانه وتعالى بالصفات، لهذا الإمام مالك لما جاءه ذلك الرجل فقال له: الرحمن على العرش استوى؛ كيف استوى؟ فأطرق مالك حتى علته الرحضاءُ –يعني علاه العرق–، لأن هذا سؤال بدعي، فقال: الاستواء معلوم – كما سيأتي معنا – والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا ثم أمر بإخراجه من الحلقة(١).

ربنا أول بلا بداية وآخر بلا منتهى، يعلم السّرّ وأخفى، وهو على عرشه استوى، وعِلْمُهُ بكل مكان ولا يخلو من علمه مكان.

.....

سبحانه وتعالى، قاعدة: تقول من شرف العلم شرف المعلوم، علم العقيدة والتوحيد معلومه هو الرب سبحانه وتعالى، لهذا هو من أشرف العلوم، وما يخبرك به المؤلف البربهاري رحمه الله تعالى من صفات الله سبحانه وتعالى مما يدعوك إلى تعظيمه سبحانه وتعالى والخوف منه والشفقة والتسليم بما جاء في كتاب الله وسُنَّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم.

المسألة الأولى يمكن أن نُعنون لها حينما قال البربهاري: أول بلا بداية، أوليّة الرب سبحانه وتعالى، الرب سبحانه وتعالى خالق الخلق ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾(٢)، كما جاء في كتاب الله، وجاء عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تفسير هذه الأولية، فقال – في مقام الثناء على الرب سبحانه وتعالى: «أنت

(١) رواه البيهقي في كتابه الأسماء والصفات (٨٦٧)، وقال الحافظ رحمه الله في الفتح (٤٠٧/ ١٣): إسناده جيد.
(٢) الحديد: ٣.

الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»[(١)]، فليس قبل الرب سبحانه وتعالى زمان، وليس بعده زمان، كما أنه ليس قبله شيء من المخلوقات، ولا بعده شيء من المخلوقات، والأول والآخر اثنان متقابلان يدلان على عظمة الرب سبحانه، هو الأول والآخر، والله تعالى يقول إخبارًا عن أن الخلق لم يُعظموه حق تعظيمه ولم يُقدروه حق قدره؛ قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[(٢)]، وقد أحسن المؤلف البربهاري رحمه الله تعالى حينما عبّر بتعبير ما جاءت به النصوص، قال: أول، هو الأول، ولهذا بعض العلماء عبّر بلفظ القديم مثل الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته، قال: قديم بلا ابتداء، وليس من أسماء الله سبحانه وتعالى القديم، بل من أسماء الله الأول، أولًا: اسم القديم لم يأت في النصوص، الثاني: الأسماء والصفات توقيفية، يُتوقف فيها على دلالات النصوص وما جاء في النصوص، والثالث: أن اسم القديم يحتمل المدح والذم، والرابع: أن هذا الاسم لا يُدعى به فلا يقال: يا قديم، فهو ليس من الأسماء الحسنى، لأن الله يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[(٣)].

قال المؤلف: يعلم السِّرَّ وأخفى وعلى العرش استوى، عِلْمُهُ سبحانه وتعالى شامل لكل شيء، لكل زمان ولكل مكان، ثم ذكر البربهاري مسألة مهمة وهي مسألة الاستواء على العرش، هذه المسألة يوردها جمع من أهل العلم في مصنفاتهم في كتب الاعتقاد كما هو معروف، وصفة الاستواء ثابتة بكتاب الله وبسُنَّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وقد جاء ذكرُها في كتاب الله في سبعة مواضع كما تعرفون، وهو استواء حقيقي يليق بجلال الله سبحانه وتعالى كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: الاستواء معلوم، يعني معناه في لغة العرب معلوم، يطلق على العلوّ وعلى الاستقرار والصعود والارتفاع، والإيمان به واجب، والكيف مجهول، يعني كيفية اتصاف الله عزّ وجلّ بهذه الصفة مجهولة وغير معلومة لنا، لأن هذا الأمر مما يَقْبَل التفويض، تفويض الكيفية، السلف رحمهم الله جاء في عباراتهم عبارة التفويض، وقد ذكرنا لكم ذلك في شرح لمعة الاعتقاد، فالتفويض تفويض معاني وتفويض كيفية، فتفويض الكيفية هو ما جاء عن السلف، يعني الكيفية نفوض علمها إلى الله سبحانه وتعالى.

---

(١) صحيح مسلم (٢٧١٣).
(٢) الزمر: ٦٧.
(٣) الأعراف: ١٨٠.

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى: وعِلْمُه بكل مكان؛ لا يخلو من علمه مكان، وهذه مسألة صفة العلم لله سبحانه وتعالى، فعلمه سبحانه وتعالى متعلق بكل شيء، وصفة العلم تأتي معنا في مسائل في باب الاعتقاد في مسائل القضاء والقدر، ذكرت لكم القصة حينما سألا عبدَ الله بن عمر عن هذه المسألة – أن الأمر أُنف وأن الله عزّ وجلّ لا يعلم الشيء إلا بعدما يقع – هذا إنكار لصفة العلم، فعلمه متعلق بكل شيء سبحانه وتعالى لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(١)، فعلْم الله تعالى متعلق بكل شيء، والشيء يُعَرِّفُه أهل الاصطلاح: هو ما يُعلم أو ما يؤول إلى العلم، فهذا التعبير يفيد شمول علْم الله تعالى للأشياء كلها، والله تعالى يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وعلمه شامل كامل سبحانه وتعالى، هذه عقيدة عند كل مسلّم مؤمن مُسَلّم، والقدرية الأولى معبد الجهني ومن معه خرجوا في زمن عبد الله بن عمر، وكانوا يقولون: إن الأمر أُنف كما ذكرت لك وأن الله تعالى لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها، هؤلاء كفرهم السلف، ومعبد الجهني قُتِلَ لمخالفته لعقيدة أهل السُنَّة وبفتوى أهل زمانه، لهذا بعض أهل الأهواء من المعاصرين يُحاولون يشهرون بعض أهل البدع مثل مَعْبد الجهني وعمرو بن عبيد والجعد بن درهم وغيرهم من رؤوس أهل البدع، يحاولون أن يكتبوا عنهم، بل قرأت أنه قد وضعوا فلمًا عن معبد الجهني كيف قُتِلَ وكيف فُعِلَ به وهو شهيد الحرية! وشهيد المعارضة! هذا قد يُشْكِل على بعض الناس أن رؤوس أهل البدع أهل خروج، يعني دائمًا البدعة المفارقة للدين تدعو إلى المفارقة عن جماعة الأبدان، مفارقة جماعة الدين مفارقة لجماعة الأبدان، فرؤوس أهل البدع أهل خروج، لهذا كان أبو قلابة الجرمي الفقيه من فقهاء السلف كان يقول عن رؤوس أهل البدع: افترقت بهم الأهواء واجتمعوا على السيف، فغالب رؤوس أهل البدع أهل خروج على الجماعة المسلمة في زمانها، وهذا يحتاج إلى بحث وتحرير ومحل عناية، ربط هؤلاء، دائمًا الجانب البدعي له علاقة بالجانب السياسي كما في عُرْف المعاصرين، دائما البدعة في الدين تدعو إلى الخروج عن جماعة الأبدان، بل إن بعضهم يتستر بالبدعة في الدين للخروج عن جماعة المسلّمين، فهي أمور مترابطة، فأهل السُنَّة هم أهل جماعة، ولا فلاح لبلدان المسلمين ولا أمن للمسلمين إلا بالاعتصام بكتاب الله وسُنَّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم، فأهل السُنَّة هم أهل الاجتماع وأهل جمع الكلمة وأهل الوحدة وأهل التوحيد، فإذا أردت أن تعرف هذا الشأن فانظر إلى دعوة الشيخ الإمام المجدد كيف أنها جمعت القلوب وجمعت أهل

(١) النساء: ٣٢.

الإسلام، وهي بحمد الله تُشع على أهل الأرض، ولا يغرنك أهل الأهواء بما يقولون.

هنا هذه مسائل مهمة ربما أطلنا فيها، ولكن إن شاء الله في المسائل التي تليها تكون أيسر وأسهل إن شاء الله تعالى، ونسأل الله تعالى أن ييسر لنا الانتهاء والانتفاع بهذا الكتاب بما فيه من العلم، وأن يرزقنا العمل به.

- يقول: لماذا قال العلماء بأن ما كتمه أبو هريرة رضي الله عنه هو أسماء أمراء الجَور؟

قلت لك: هذا محل اجتهاد، ما تيسر العلم به بما يتعلق بهذه المسألة.

- يقول: لا شك أن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد أقام الله به الحجة؛ فهل يعني ذلك أنه قد بلغت الحجة كل من تلبس بالبدعة؟

هناك فرق بين قيام الحجة وبلوغها، هذه المسائل وتفاصيلها، مسألة بلوغ الحجة وبمَ يكون قيام الحجة، هذا يكفيك فيها الجمل، فلا تتعمق في مثل هذه الأمور لأنها إنما تُبحث عند الحاجة إليها، وأنت لست محتاجًا لأن تُطلق الأحكام على الناس وإنما عند الحاجة إليها، وأنت في مقام طلب العلم تتعلم العلم.

- كما أسلفت أن هناك من خالف أهل السُّنَّة في أصل من الأصول إذا كان يقرُّ بأصل من أصول اعتقادهم يخرج من كونه من السُّنَّة.

إذا كان يُقرّ بذلك الأصل كمسألة عدم الخروج على أئمة الجَور؛ لكن يخالف في كون ذلك لإمام من أئمة المسلمين، يأتي معنا إن شاء الله أن البربهاري رحمه الله تعالى يذكر في ذلك، وأنا ذكرت لكم القاعدة الأصلية، وهي أنه إذا كان يوافق في الأصول وإنما يخالف في مسألة فرعية فهذا الكلام فيه، يخالف في مسألة فرعية.

- ما معنى الممثل والمعطل؟

أهل التمثيل هم الذين يُمثلون الله عزّ وجلّ بخلقه، فيزعمون - تعالى الله عما يقولون - أن لله وجهًا كوجه الإنسان، أن له يدًا (كيد الإنسان)[1]، وهذه المقولة اشتهرت عن أئمة الرافضة كهشام بن الحكم الرافضي وداود الجواربي وغيرهم من أئمة الروافض، مقالة التمثيل والتشبيه، هذه مقالة كفرية - والعياذ بالله -،ثم صار مذهب الرافضة بعد ذلك إلى مقام التعطيل، فهم أقرب ما يكونون في هذا الزمان إلى مقالة المعتزلة، والمعطل هو الذي ينفي ما يتعلق بصفات الله سبحانه وتعالى، لهذا السلف رحمهم الله أو بعض أهل

(١) أضيفت للضرورة -كما لا يخفى.

العلم لهم عبارات يقولون: الممثل يعبد صنمًا والمعطل يعبد عدمًا، ودين الله وما جاء في كتاب الله وسُنَّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم بريء من التمثيل والتعطيل كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١).

- يقول: متى يكون الحكم بأن هذا أصل؟ ومتى يكون هذا فرع؟

الأصول - أصول أهل السُنَّة - معدودة ومعروفة، مذكورة في كتب الاعتقاد في الأصول، فالإيمان قول وعمل ونية، هذا أصل، مثلًا من الأصول أننا نصف الله عزّ وجلّ بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله صلّى الله عليه وسلّم، هذا أصل، الأصول كثيرة جدًا مذكورة أنها أصول، والفرعيات هي المسائل الجزئية، هذه معروفة، أصول أهل السُنَّة مذكورة مبثوثة في كتبهم، عرفنا أنها من مسائل الأصول، يُذكر أن هذا نص، وهو ما يقرأ عليه في مسائل الاعتقاد وما ذكره أهل العلم في كتب الاعتقاد، الغالب أنهم يذكرون الأصول ولا يذكرون الفرعيات والجزئيات.

- يطلب شرح مقولة ابن تيمية رحمه الله تعالى: النصوص تأتي بما تحار به العقول لا بما تحيله العقول. يعني الإنسان حينما يسمع ما جاء في كتاب الله قد لا يستطيع أن يتصور هذا الشيء فيحار فيه، أضرب لك مثلًا في عذاب القبر، عذاب القبر تحار به العقول، الإنسان موجود في قبره وهو منعم أو معذب، أنت تحار في هذا الأمر، لا تسمع ولا ترى وربما تفتحه وتقول: ما لقيت شيء! يعني مشاهد أمامك، هذا غيب لأنه في دار أخرى ، لكن هذا الأمر تحار به، لكن هناك دلالات تدلك من الشريعة، طبعًا البرهان من الشريعة ثابت، النصوص أثبتت ذلك فأنت تُسلّم لذلك، كذلك بالنظائر للمثال الشواهد مثلًا أن الإنسان ممكن يكون موجود أمامك ويتنعم ويتلذذ، يعني مشاهد على وجه التقريب لكن الأصل التسليم، هذا من باب التقريب، الإنسان حينما يكون نائمًا تجد أن الإنسان ربما يسافر ربما ينعم وربما يعذب وهو نائم أمامك، يشاهد من الأحلام ومن الرؤى، يحصل له من الألم النفسي والألم الذي يحس به في جسده، ربما يقوم وهو متعب - بعض الرؤى -، أليس كذلك؟ هذا يُمثّل به، الذي تحيله العقول؛ النصوص لم تأت به، ما جاءت بشيء مستحيل، فما تستطيع بالعقول أن تقول: هذا مستحيل، لأن النصوص جاءت بما يوافق العقول بحمد الله، لكن تأتي بما تحار به العقول، لكن أنه مستحيل لا يمكن.

---

(١) الشورى: ١١.

- يقول: إذا كان الوالي في أصله مع جماعة أهل السُنَّة ثم بعد ذلك تنكر للسُّنَّة والدين؛ ألا يعد هو خارجًا مثلهم، يعني مثل الخوارج؟

الإمام الذي يتولى المسلّمين بأي وسيلة كانت فصار إمامًا؛ قد تحدث منه البدعة وقد يحدث منه الفسق مثل عصر الإمام أحمد، المأمون والمعتصم حصل منهم امتحان الناس ببدعة القول بخلق القرآن، ومع ذلك أمر الإمام أحمد بالصبر على جَورهم لأن النصوص أمرت، لاشك أنه عاص ومفارق لجماعة الدين بقوله هذا، لكن يجب أن يُلزم ولا يُخرج عليه، لأن النصوص جاءت بالأمر بلزوم الجماعة، جماعة الدين وجماعة الأبدان.

- يقول: ما معنى الحديث «إن الله خلق آدم على صورته»(١)؟

هناك مؤلف للشيخ حمود التويجري في هذا الموضوع والرد على المخالفين، يعني أن الله خلق آدم على صورته سبحانه وتعالى، على صورة الرحمن، يعني أنه متصف بالصفات، هذا هو التفسير الصحيح لهذا الحديث، أنه متصف بالصفات، كما أن الله سبحانه وتعالى موصوف بأنه سميع بصير وبأن له عينان وأن له يدان وما جاء في أوصاف الرب سبحانه وتعالى، والمخلوق موصوف بأنه سميع بصير وأن له عين، وليس في ذلك مماثلة، هذا معنى الحديث على التحقيق.

- يقول: من قال بكفر الحاكم بالقانون الوضعي مطلقًا ولو بالاستحلال؛ هل خالف أصلًا من أصول أهل السُنَّة أو فرعًا؟

هذه المسائل - مسائل العقوبات ومسائل التكفير - هذه ينبغي لطالب العلم أن لا يلج إلى هذا الباب، لأنه ليس محتاجًا لبحث هذه المسائل، بل هو مفتقر إلى العلم النافع، فدع هذه الجزئيات والمسائل لأهل العلم، ولأنها من النوازل ولا يلجأ إليها إلا عند الحاجة إليها، فلا تبحث هذه المسائل واتركها عنك.

- يقول: لو تعيد ما ذكر في الخروج عن جماعة الأبدان.

جماعة الأبدان هي الجماعة المسلمة التي يتولى عليها حاكم مسلم، وهذه الجماعة يجوز أن تتعدد على وجه

---

(١) حديث (إن الله تعالى خلق آدم على صورته) رواه البخاري (٦٢٢٧).

وأما بلفظ (على صورة الرحمن) فقد رواها ابن خزيمة في التوحيد (٨٥/ ١)، ولكن قال الشيخ الألباني رحمه الله في مختصر صحيح البخاري (٢/ ١٧٨): (منكر لا يصحُّ، فيه أربع علل، ولذلك ضعَّفه ابن خزيمة وغيره)، وانظر تفصيل الكلام في الضعيفة (١١٧٦).

الضرورة، كل جماعة وكل قطر من الأقطار يُمثّل جماعة المسلمين، وكل من كان في هذا القطر يلزمه طاعة هذا الإمام ولا ينزعن يدًا من طاعة، وأما جماعة الدين فهي الجماعة العلمية ما لها مكان، قد تقلّ وقد تكثر، وقد تكون في شخص واحد، لكن لا يخلو زمان من وجود هذه الجماعة كما أخبر النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، هذا هو الفرق بين جماعة الدين وجماعة الأبدان، وقد تجتمع الجماعتان في دولة، جماعة الدين وجماعة الأبدان، تكون جماعة سنيّة تأمر بالسُّنَّة ويكون الحاكم مسلم؛ فتجتمع الجماعتان، ولا شك أن مفارقة هذه الجماعة أعظم، والخروج عليها أشد وأنكى، هذا موجود في فترات كثيرة من زمان المسلمين.

– هل ما ذكره البربهاري أنه من خالف الحق وهو يريد الخير هل ينطبق على بعض علماء الأشاعرة الذين خدموا السُّنَّة؟

مسألة الأشخاص والتعيين هذا يحتاج نظرًا وتبيينًا، لكن ليس كل مخالف للسُّنَّة على درجة واحدة، أهل السُّنَّة رحمهم الله – تجده في كلام البربهاري– فرّقوا في التعامل مع أهل البدع، يُفرّقون بين المبتدع الداهية وبين المبتدع المصر ببدعته، وبين المبتدع الذي يدعو إليها، والدعوة إلى البدعة قد تكون بالقول وقد تكون بالفعل، وبين المُسِرّ ببدعته، وكله له أحكام تخصه، من جهة الرواية ومن جهة الهجر، كذلك أهل السُّنَّة فرّقوا في التعامل مع أهل البدع بحسب الزمان، قوة السُّنَّة، وظهور السُّنَّة، وبقاء السُّنَّة، فيحتاج لتحقيق مناط، فبعض الناس دخل هذا الباب وهو لا يحسن فيه فوقع إما في غلوّ وإما في إفراط، هذا باب يحتاج لتحقيق المناط، ويرجع فيه إلى أهل العلم من علماء أئمة السُّنَّة المعاصرين في بيانه، وبعض الناس عنده انفصام، يقول عن بعض أهل العلم الكبار: إنهم ليس لهم فقه ولا معرفة في مثل هذا الباب، هذا ليس بصحيح، هذا من تلاعب الشيطان بالناس، وتلاعب الشيطان بالناس ليس له حدّ، والعصمة لمن عصمه الله عزّ وجلّ، لكن تقرأ في كلام السلف وتنظر في كلامهم وارجع إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية تجد أنه له تحقيق في هذا، أنا عندي كتاب سيخرج إن شاء الله خلال أيام عنوانه منهج شيخ الإسلام في بيان البدع والرد عليها، وهي رسالة دكتوراة للعبد الضعيف؛ استقرأت كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فيما يتعلق بالبدع والمحدثات، وجدت له أقوالًا عظيمة جدًا، حريّ بالإنسان أن يتفقه فيها وأن ينظر فيها، إن شاء الله سترونه في المكتبات.

– تأويل بعض الصفات من غير تمثيل ولا تعطيل.

التأويل للصفات صرفها عن معانيها الظاهرة إلى معان أخرى هذا مذموم، هذا الذي جاء عن السلف

النهي عنه، وذم من فعله.

- الشرط الأول للمناظرة.

هذا سنعيده إن شاء الله تعالى، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ وصفيه من خلقه، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا، اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وارزقنا العلم النافع والعمل الصالح يا رب.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلّم وبارك على عبد الله ورسوله نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا اللهم علمًا وعملًا وتقىً يا كريم، واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولشيخنا ولوالديه ولمشايخه وللحاضرين والمسلمين.

قال الإمام البربهاري:

ولا يقول في صفات الرب: كيف؟ ولمَ؟ إلا شاك في الله، والقرآن كلام الله وتنزيله ونوره، وليس مخلوقًا؛ لأن القرآن من الله، وما كان من الله فليس بمخلوق، وهكذا قال مالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفقهاء قبلهما وبعدهما، والمراء فيه كفر.

.....

هذا العنوان وهذه الفقرة في قول البربهاري رحمه الله تعالى: ولا يقال في صفات الرب كيف، بهذا يمكن أن نُعنون لهذه المسألة بأن السؤال عن كيفية الصفات، فالنهي عن السؤال عن كيفية الصفات جاء عن السلف رحمهم الله كما قد قدمنا كما ورد عن الإمام مالك رحمه الله تعالى حينما سأله السائل عن الاستواء؛ قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، ولهذا فلا يقال عن صفات الله تعالى كيف، قد قدمنا لكم القاعدة التي أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في التدمرية: قطع الطمع عن إدراك كيفية الصفات، فلهذا لا يقال: كيف استوى؟ وكيف ينزل؟ ولا كيف يسمع؟ ولا يُسأل عن صفات الله عزّ وجلّ بكيف لأن الله عزّ وجلّ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١)، فالله تعالى متصف بالصفات وهذا الاتصاف لا يعني المماثلة بأي وجه من الوجوه، هذه قاعدة وعقيدة عند المسلم، لا يوجه هذا السؤال إلا مبتدع أو

(١) الشورى: ١١.

شاك في دينه، أما المؤمن فإنه يقول: آمنت بالله، قد قدمنا أنه لا يقوم الإيمان إلا على التسليم – على قدم التسليم – لما جاء في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فيقال كما قال السلف: آمنت بالله على وبما جاء عن رسول الله على مراد الله وعلى مراد رسوله صلّى الله عليه وسلّم، على حد قوله سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١)، وقال: لا يقال كيف؟ ولمَ؟ هذا السؤال: لم فعل الله كذا ولماذا أفقر فلانًا؟ ولماذا أغنى فلانًا؟ هذه أسئلة يقذفها الشيطان في قلب العبد ليزيغه عن دينه، والله سبحانه وتعالى لا يُسأل عما يفعل، فلا يُسأل عن أفعال الله، لمَ؟ لا توجه لأفعال الله، لأن الله يفعل سبحانه ما يريد ويحكم ما يريد فـ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾(٢)، وله الحكم البالغة التي تقصر عقول البشر عن إدراكها، فلهذا هذه الأسئلة الشيطانية يقذفها الشيطان في قلب العبد ليصرفه عن الإيمان بالله وبما جاء عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولهذا باب القضاء والقدر باب يلج من خلاله الشيطانُ ليصرف الناس عن الإيمان بهذه الأسئلة، ولهذا قاعدة: أن الله تعالى لا يُسأل عما يفعل، والخلق ملك لله سبحانه وتعالى، ولهذا هذه الأسئلة إنما يوردها الشاك في دينه، أما المؤمن يُسلّم بما جاء عن الله وعن رسوله صلّى الله عليه وسلّم فلا يسأل، كما قد بيّن الإمام البربهاري رحمه الله تعالى، فإنه قال: لا يقال لصفات الرب كيف؟ ولمَ؟ ولا يقولها إلا شاك في الله تعالى، ثم تكلم رحمه الله تعالى عن مسألة مهمة، وهي مسألة القرآن، أن القرآن كلام الله عزّ وجلّ، وتحت هذا مسائل:

المسألة الأولى: أن القرآن كلام الله تعالى، والكلام صفة من صفات الله سبحانه وتعالى، وصفات الله وإضافتها إضافة صفة إلى متصف بها، أما كون القرآن كلام الله فقد قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾(٣)، ولهذا قال المؤلف رحمه الله تعالى: وتنزيله، يعني تنزيل رب العالمين وأن القرآن مُنزّل وليس بمخلوق، وقد جاء هذا الوصف في كلام الله تعالى ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾(٤)، التعبير بالتنزيل جاء في كتاب الله، وكذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ

(١) الشورى: ١١.
(٢) الأنبياء: ٢٣.
(٣) التوبة: ٦.
(٤) النحل: ١٠٢.

إِلَيْكَ﴾[1]، وآيات كُثر في هذا الباب تبيّن أن القرآن تنزيل رب العالمين، قال البربهاري رحمه الله تعالى: ونوره، وصف القرآن أنه نور قد جاء في كتاب الله ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾[2]، نور، ووصف القرآن بأنه من الله، وهذا التعبير أنه من الله، ولهذا يقول بعض أهل العلم وبعض السلف يقول: منه بدأ؛ ليردّوا به على طوائف من أهل البدع من الأشعرية والجهمية، لأن الجهمية يقولون: إن ابتداء كلام الله عزّ وجلّ ليس من الله، لأنهم يقولون: إنه مخلوق، فقول البربهاري رحمه الله تعالى: من الله؛ يعني هو كلامه سبحانه وتعالى، وما كان من الله تعالى فليس بمخلوق، فإذًا هذا التعبير: من الله، والقرآن كلام الله عزّ وجلّ وأن القرآن من الله؛ أراد به الردّ على طوائف من أهل البدع، ووصف كلام الله عزّ وجلّ بأنه غير مخلوق لأن الله تعالى تكلم به، والكلام صفة من صفات الله عزّ وجلّ، وصفاته سبحانه وتعالى ليست بمخلوقة، ثم أورد البربهاري رحمه الله تعالى ما يثبت هذا من كلام الأئمة فقال: هذا قول مالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفقهاء، يعني هذا قول أهل السُّنَّة، جماعة من أهل العلم حكوا الإجماع على هذا منهم الإمام اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد، السلف أجمعوا على أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وإنما خالف في هذا طوائف من أهل البدع وعلى رأسهم الجهمية كما تعرفون، وبسبب هذه المسألة امتُحن إمام أهل السُنَّة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

قال: والمراء فيه، يعني الجدال في القرآن، وهو كفر، طبعًا لأنه قد قدمنا أن المراء في القرآن كفر أن هذا بحسب المرائي، وقد يصل الأمر إلى أن يصل الإنسان ويقع في الكفر الأكبر وقد يقع فيما هو دون ذلك، والنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم نهى عن التماري في القرآن، وهو أن يتمارى اثنان في آية، واحد منهما يستدل بها والثاني يجحدها، فإذا جحدها لا شك أن ذلك كفر، لكن كل ما يفضي إلى الجدال في القرآن هو كفر على وجه الإجمال.

والإيمان بالرؤية يوم القيامة، يرون الله بأبصار رؤوسهم، وهو يحاسبهم بلا حجاب ولا ترجمان.

.....

هذه المسألة من أصول أهل السُّنَّة، أن أهل الإيمان يرون ربهم يوم القيامة، وهذا حق، الله تعالى قد ذكر

(١) ص: ٢٩.
(٢) المائدة: ١٥.

ما يدل على ذلك في كتابه في مواضع، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(١)، يعني إلى ربها تنظر، فعدا الأمر إلى الأعين التي في الوجوه، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾(٢)، وفُسرت الزيادة كما في حديث صهيب الذي في صحيح مسلم أنها النظر إلى وجه الرب سبحانه وتعالى(٣)، وهذه الرؤية تكون بالعينين، وقد جاء ذلك مُصرحًا به بحديث النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون البدر التمام لا تُضامُّون في رؤيته»(٤)، شبّه النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم الرؤيةَ بالرؤيةِ، لا المرئي بالمرئي، يعني أنكم كما ترون القمر ليلة البدر سترون ربكم هكذا، لا تُضامُون في رؤيته، يعني لا يظلم بعضكم بعضًا في رؤيته، فالقمر إذا كان في التمام لا أحد يقول: أنا لا أراه، الكل يرونه دون مشقة ولا عناء، هذا المقصود من الحديث، ولهذا التصريح بأن أهل الإيمان يرون ربهم بأعينهم جاء عن أئمة السلف، يقول الإمام مالك رحمه الله تعالى: الناس ينظرون إلى الله تعالى بأعينهم يوم القيامة، يرون الله عزّ وجلّ بأعينهم، وهذا من أعلى النعيم يوم القيامة، وهذه الرؤيا لها آثار عظيمة يوم القيامة وفي الجنة، ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: من قال: إن الله لا يُرى في الآخرة فهو كافر، لظهور هذه المسألة من جهة دلالة النصوص، مسألة ظاهرة وليست مسألة خفية، والنصوص متواترة في بيان ذلك، ولهذا بعض السلف صنّف مصنفات في رؤية الله عزّ وجلّ في الآخرة، وإيراد الآثار والأحاديث الدالة على ذلك، هذه الرؤية – يعني من المسائل الداخلة في مسألة رؤية الله سبحانه وتعالى – هل هي للمؤمنين وحدهم أم لأهل الإيمان ولأهل النفاق أم للناس جميعًا؟ هذه الأقوال في مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، يعني قال بهذه الأقوال جمع من أهل العلم فالخلاف فيها يسير لأن الأمر ليس بظاهر من جهة دلالة النصوص، ولهذا أذكر فيه فتوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أنه حصلت خصومة بين فريق من أهل السُّنَّة فكتب رسالة في بيان هذه المسألة، المخالفون في الرؤية طوائف من أهل البدع على رأسهم الجهمية والمعتزلة الذين يقولون بنفي الرؤية، لهذا الزمخشري في الكشاف لما جاء عند قول الله تعالى ﴿لَنْ تَرَانِي﴾(٥) –وهو ممن

(١) القيامة: ٢٢، ٢٣.
(٢) يونس: ٢٦.
(٣) صحيح مسلم (١٨١).
(٤) صحيح البخاري (٥٥٤).
(٥) الأعراف: ١٤٣.

يعتقد نفي الرؤية- فقال: لن : للتأبيد، يعني لن تراني أبدًا، لأنه يورد مذهبه الاعتقادي في هذه المسائل، طبعًا هذا باطل وردّ عليه أئمة اللغة في بيان أن لن لا تفيد التأبيد كما يعتقد الزمخشري، والزمخشري يورد عقائده الفاسدة في التفسير بطريقة خبيثة وماكرة، فالمعتزلة يقولون بنفي الرؤية، أما الأشعرية يقولون: إنه يُرى لا في جهة، وهذا من أعظم التناقض، يقولون: يُرى لا في جهة، لأنهم يزعمون أن إثبات الجهة يلزم منه التحيز، والتحيز لا يكون إلا لجسم والله ليس بجسم كما يعتقدون من مقدماتهم الكلامية التي يعتمدون عليها وهذا باطل.

المؤلف البربهاري رحمه الله تعالى يقول: يحاسبهم بلا محاسب وترجمان، هذا يشير إلى ما ورد في الحديث عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان»[1] يعني الرب سبحانه وتعالى كما جاء في الحديث الصحيح أن «الله تعالى سوف يكلم العبد ثم ينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدَّم من عمل، ثم ينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدّم، ثم ينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه؛ فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[2]، هذا الحديث العظيم يبيّن أن الله سبحانه وتعالى يحاسب العبد ويكلمه ليس بينه وبينه واسطة، ولهذا يجري الكلام على هذا العنوان إلى مسألة الحساب، هل يحاسب الكفار؟ ما المراد بالحساب لأهل الإيمان؟

أما مسألة الأولى -مسألة حساب الكفار- فتنازع بها المتأخرون من أصحاب الإمام أحمد، سبب الخلاف هو الإجمال في اللفظ، وأكثر ما يكون الخلاف بين أهل السُنَّة هو بسبب اللفظ المجمل، فكل طائفة تنزع إلى نفي شيء وطائفة تثبت ذاك الشيء، وقد يكون الخلاف في اللفظ المجمل، ما المراد بالحساب؟ ولهذا الخلاف كما ذكرت لك بسبب الإجمال في اللفظ، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: يراد بالحساب عرض أعمال الكفار عليهم، ويراد بالحساب الموازنة بين الحسنات والسيئات، فعلى الأول لا ريب أنهم يُحاسبون، يعني الكفار سوف يحاسبون بعرض أعمالهم التي عملوها، وعلى الثاني فإن الكفار ليس لهم حسنات في الآخرة، يعني لا يدخلون في الحساب الذي هو موازنة بين الحسنات والسيئات وإنما بعرض أعمالهم عليهم، فإذًا على كلام شيخ الإسلام ابن يمية رحمه الله تعالى الخلاف بسبب اللفظ المجمل، وإلا لو

(١) صحيح البخاري (٧٥١٢).
(٢) هو نفس الحديث السابق.

حُرّر النزاع وحُرّر معنى اللفظ لم يكن ثمّة نزاع، أما أن أعمالهم سوف تكون هباءً؛ فالله تعالى قد صرح بذلك في كتابه ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾(١)، لهذا لا بد في قبول العمل من الاستقامة على التوحيد والإيمان، وإلا فالله تعالى لا يقبل هذه الأعمال من المشركين وممن كفر بالله عزّ وجلّ، ولهذا ما يعملونه من حسنات ومن أشياء كالإحسان إلى الخلق؛ ورد في الحديث أنهم يكافؤون عليه في الدنيا(٢)، ولهذا الشأن كل الشأن هو ما أعده الله تعالى لأهل الإيمان في الآخرة، نسأل الله تعالى أن لا يضيع من أعمالنا شيئًا، أما حساب أهل الإيمان فإن الله سبحانه وتعالى يخلو بعبده كما ورد في بعض الأحاديث ويقول: فعلت كذا في يوم كذا بكذا، ويقرّره بها؛ حتى إذا أقرَّ يقول الله عزّ وجلّ: قد غفرتها لك(٣)، هذا حساب أهل الإيمان الذين سبقت رحمة الله عزّ وجلّ لهم بالجنة.

والإيمان بالميزان يوم القيامة، يوزن فيه الخير والشر، له كِفتان وله لسان.

.....

الإيمان بالميزان هذه عقيدة، وأنه ميزان حقيقي وله كفتان، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾(٤)، وقال صلّى الله عليه وسلّم في إثبات الميزان: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن؛ خفيفتان على اللسان؛ ثقيلتان في الميزان»(٥) – يعني في الميزان يوم القيامة– ويدل على أن له كفتان حديث البطاقة المشهور قال في الحديث : «فيُخرج له بطاقة فيها: لا إله إلا الله، فتوضع السجلات في كفة»(٦) فدل على أن له كفتان، والكفة الأخرى السيئات فترجح كفة لا إله إلا الله بها، أما ما ورد عن البربهاري رحمه الله تعالى قال: كفتان ولسان، واللسان الذي يكون بين الكفتين، وقد ذكر جمعٌ من أهل العلم هذه اللفظة، وهي أن للميزان لسان، منهم ابن قدامة رحمه الله تعالى في اللمعة، ولكن عند التحقيق والنظر فلم نجد إثبات هذا اللسان في نص شرعي، ولكن هو مفهوم من معنى اللفظ، فلعل الأئمة رحمهم الله تعالى أنه لا يكون ميزان إلا بلسان؛ ووجود الكفتان فلا بد

(١) الفرقان: ٢٣.
(٢) صحيح مسلم (٢٨٠٨).
(٣) صحيح مسلم (٢٧٦٨).
(٤) الأنبياء: ٤٧.
(٥) صحيح البخاري (٦٦٨٢).
(٦) صحيح. الترمذي (٢٦٣٩). الصحيحة (١٣٥).

أن له لسان، أما ما يوزن في هذا الميزان؛ فالذي جاء في الروايات أنه يوزن عمل الإنسان، وكذلك جاء في الأحاديث والروايات أنه يوزن صحائف الأعمال، وكذلك صاحب العمل يوزن، وهذا كما ورد في حديث عبد الله بن مسعود «إنكم لتعجبون من دقة ساقي عبد الله بن مسعود، وإنهما في الميزان أثقل من جبل أحد»(١)، وورد في الحديث «يؤتى يوم القيامة بالرجل العظيم السمين لا يساوي عند الله سبحانه وتعالى جناح بعوضة»(٢)، أو كما ورد في الحديث، فإذًا العمل يوزن، وصحائف الأعمال توزن، وصاحب العمل يوزن، وهذا يدلك على عدل الرب سبحانه وتعالى، بل على عظيم عدل الرب سبحانه وتعالى، فإن الرب سبحانه وتعالى لا يظلم مثقال ذرة كما أخبر سبحانه وتعالى، ويوم القيامة هو يوم الحساب والعدل العظيم.

والإيمان بعذاب القبر، ومنكر ونكير، والإيمان بحوض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

.....

والإيمان بعذاب القبر ومنكر ونكير، تحت هذا العنوان مسائل:

المسألة الأولى: أن نقول: إن عذاب القبر أمر غيبي، والأمور الغيبية مجالها الاعتقاد، لأنها لا تدرك بالنظائر والعقول، بل تحار فيها العقول، كما قد قدمنا إليك أن الشريعة تأتي بما تحار به العقول لا بما تحيله العقول.

الثاني: أن الأدلة من الكتاب والسُنَّة دلت على حصول العذاب في القبر والنعيم، وهذا أمر متواتر من جهة دلالات النصوص من كلام الله وكلام رسوله صلّى الله عليه وسلّم، ولا ينازع في ذلك إلا طوائف من أهل البدع، شرذمة قليلة من أهل البدع، وإلا سائر الأُمَّة يؤمنون بعذاب القبر.

المسألة التي تليها: ذكر البربهاري رحمه الله تعالى منكرًا ونكيرًا، ومنكر ونكير جاء أنهما ملكان يسألان العبد في قبره ثلاثة أسئلة: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيّك أو ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ هذه الأسئلة الثلاثة التي بنى عليها الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رسالة الأصول الثلاثة، لأنها أسئلة مهمة جدًا لا يُقبل فيها التقليدُ، وهي أول ما تُسأل عنه حينما تفارق هذه الدنيا وتدخل إلى الآخرة، وتبدأ بأول منازل الآخرة وهو دار البرزخ، منكر ونكير إذًا ملكان قد وُكِّلا بسؤال الميت، جاء في بعض الروايات أنهما أسودان

(١) صحيح. الأدب المفرد (٢٣٧). صحيح الأدب المفرد(١٧٦).
(٢) صحيح البخاري (٤٧٢٩).

أزرقان[1]، وجاء في بعض الروايات أنهما ينتهران العبد انتهارًا، ولهذا لا ثبات في هذا الموضع إلا من ثبته الله سبحانه وتعالى، فتنة عظيمة، لهذا بعض أهل العلم يسمي هذه المسألة بفتنة القبر، ولهذا جاء في بعض الروايات – وإن كان فيها ضعف – «من مات يوم الجمعة أَمِنَ الفتّان»[2] والفتّان أو الفتّانان هما منكر ونكير، ولهذا سؤال الملكين من ربك؟ يعني من تَعْبُد؟ سؤال عن الألوهية، ولهذا توحيد الألوهية الخلاف بين الرسل وبين أقوامهم هو في توحيد العبادة – توحيد الألوهية – توحيد القصد والطلب، وأما الإقرار بالربوبية فقد رُكِزَ في الفطر، والكل يعلم مِنْ عامّة أهل الأرض أن الله عزّ وجلّ هو الخالق الرازق المحيي المميت، لكن الشأن في توحيد الألوهية، ثم هذا السؤال – سؤال القبر – هل هو خاص بهذه الأُمَّة أم لجميع الأمم؟ الظاهر من دلالات النصوص أن هذا السؤال لجميع الأمم.

والإيمان بحوض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولكل نبيّ حوض إلا صالحًا عليه السّلام فإن حوضه ضرع ناقته.

.....

الإيمان بحوض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هذا العنوان تحته مسائل:

أولًا: الحوض – حوض النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم – دلّ عليه ظاهر القرآن في قوله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[3]، فقد ثبت في الصحيح أن الكوثر هو حوض النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وجاء كذلك أن الحوض يُسكب فيه من الكوثر – الذي هو نهر في الجنة –، جاء في بعض الروايات أن الكوثر نهر في الجنة يصب في حوض النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم[4]، فالكوثر ماء حوض النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومادة هذا الحوض، أما السُنَّة فقد تواترت الأحاديث عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بإثبات هذا الحوض، فجاء عن أكثر من خمسين صحابي – تواتر إثبات الحوض نقلًا ومعنى – أن حوض النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كائن يوم القيامة وأنه في عرصات يوم القيامة.

المسألة التي تليها: وصف هذا الحوض، أقرب ما يكون هذا الحوض إلى أنه مربع الزوايا، وهذا ما تعرفه

(١) صحيح. الترمذي (١٠٧١). صحيح الجامع (٧٢٢).
(٢) إثبات عذاب القبر للبيهقي (ص١٠٣).
(٣) الكوثر: ١.
(٤) الفوائد الشهير بالغيلانيات لأبي بكر الشافعي (١/ ٦٨٢).

العرب من معنى الحوض، الحوض في لغة العرب على هذا النحو، ولهذا قال النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «طوله شهر»[١] في رواية «وعرضه شهر، وزواياه سواء»[٢]، وهذا أقرب شكل له هو أن يكون مربعًا، وهكذا هو المشهور عن الحوض في لغة العرب أن الحوض لا يكون إلا على هذا الوصف.

المسألة التي تليها: أوصاف هذا الحوض، الوصف الأول: أن طوله وعرضه سواء، جاء في بعض الروايات وصف هذا الطول «من أيلة إلى صنعاء»[٣] وبعض الروايات «من المدينة إلى عُمان»[٤] وغيرها من الروايات، لكن المسافة كبيرة جدًا لهذا الحوض، مكان هذا الحوض يكون في عرصات يوم القيامة في الأرض المبدلة، آنية هذا الحوض: يعني الوعاء الذي يُغترف به ماء الحوض هي الآنية، جاء في الروايات أن آنية الحوض كنجوم السماء[٥]، ووصفها أنها كنجوم السماء يدلك على أنها كثيرة وأنها جميلة، لها من الجمال والبهاء ما توصف بأنها كنجوم السماء، ماء الحوض: جاء في الروايات أنه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل[٦]، ورائحته كرائحة المسك[٧]، مصدر هذا الحوض كما قدمنا لكم من الكوثر، نهر من أنهار الجنة، وهو من أوائل النعيم الذي يذوقه أهل الإيمان، لأن مصدر هذا الماء من الجنة، جاء في الروايات أنه من شرب منه لم يظمأ أبدًا، لأنه من ماء الجنة، ولهذا جاء في الروايات أنه يُذاد عنه من أحدث في دين الله، أهل الإحداث والتغيير يُذادون عنه، لهذا النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «يختلج أقوام دون أن يصلوا إليه»[٨]، والذود هذا ذودٌ من النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لمن لم يعرف من أمته، وذود من الملائكة، يذودونه يعني يبعدونه، أما الذود من الملائكة فالنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يستنكره ويستغربه، فيقول النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «أصحابي أصحابي»[٩]، وفي رواية «أصيحابي أصيحابي»[١٠]، وفي رواية «أمتي أمتي» فيقال: إنك لا

(١) صحيح. ابن حبان (٦٤٥٨). التعليقات الحسان (٦٤٢٤).
(٢) صحيح مسلم (٢٢٩٢) بنحوه.
(٣) صحيح. ابن حبان (٦٤٥٨). صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٢١).
(٤) صحيح. ابن حبان (٦٤٥١). التعليقات الحسان (٦٤١٧).
(٥) صحيح البخاري (٦٥٧٩).
(٦) صحيح مسلم (٢٣٠٠).
(٧) صحيح البخاري (٦٥٧٩).
(٨) صحيح البخاري (٦٥٧٥).
(٩) صحيح البخاري (٣٣٤٩).
(١٠) صحيح مسلم (٢٣٠٤).

لا تدري ما أحدثوا بعدك[١]، كيف يعرف النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الذين يردون الحوض؟ ورد في روايات روايات أنه يعرفهم بآثار الوضوء غرًا مُحجلين لهم سيما – صفة يعرفها النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم –، فمن لم تكن فيه هذه السيما لا يرد الحوض، أما أحاديث ذود الحوض فإن الرافضة كما هي عادة أهل البدع يشبهون على الناس المتشابه من النصوص فزعموا أن أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم هم من يُذادون عن الحوض، وهذا الكلام باطل من وجوه كثيرة لا داعي للإطالة فيها، لكن الذين يُذادون هم أهل الإحداث – كما أخبر النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم – من أُمَّة محمد صلّى الله عليه وسلّم الذين وقعوا في البدع والمحدثات والتغيير فيما جاء عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

أما أول الشاربين من حوضه؛ فقد جاء في الروايات «فقراء المهاجرين الشعث رؤوسًا، الدنس ثيابًا، الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم السُّدد»[٢]، طبعًا هذا على وجه الإخبار، يعني هذه أوصافهم خبرًا خبرًا لأنهم فقراء، فقراء المهاجرين هم أول من يرد حوض النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، هل للحوض أسباب يمكن للإنسان أن يعمل بها؟ نعم، من أعظم الأسباب عدم الإحداث في دين الله ولزوم السُّنَّة، فمن لزم السُنَّة فهو حري بأن يَرِدَ حوض النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأن يشرب منه، لأنه لم يغير ولم يبدل، وكذلك من أسباب الورود الصبرُ على الأَثَرة والجَور من أئمة الجَور، لأن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لما أخبر الأنصار قال: «إنكم سترون بعدي أثرة؛ فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»[٣]، هذا يدلك على أن ما جاء عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيه خيري الدنيا والآخرة، والله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر الصابرين، أما قول البربهاري رحمه الله تعالى: ولكل نبي حوض؛ هذا صحيح، وهو ثابت لأنه جاء في الروايات أن لكل نبيّ حوض، وأنهم يتباهون، الأنبياء يتباهون أيّهم أكثر واردًا على الحوض[٤]، أما قول البربهاري رحمه الله تعالى إلا صالحُ النَّبيُّ؛ فإن حوضه ضرع ناقته، وهذا الحديث موضوع لا يصح عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أخرجه العقيلي في الضعفاء وذكره ابن الجوزي في الموضوعات[٥]، ولهذا من اللازم من يكتب في

(١) صحيح. النسائي في الكبرى (١١٠٩٥). صحيح الجامع (٧٠٢٧).
(٢) صحيح. الترمذي (٢٤٤٤). صحيح الجامع (٢٠٦٠).
(٣) صحيح البخاري (٤٣٣٠).
(٤) صحيح. الترمذي (٢٤٤٣). صحيح الجامع (٢١٥٦).
(٥) موضوع. أخرجه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٦٤ – ٦٥) وعنه ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٢٤٤) وقال: حديث موضوع لا أصل له.

مسائل الاعتقاد أن يُجرّد استدلاله من الأحاديث الموضوعة، ولعل المؤلف رحمه الله تعالى له عُذر في إيراد هذا الحديث، لكن يهمنا أن نبيّن أنه ليس بحديث، فصالح كغيره من الأنبياء له حوض.

والإيمان بشفاعة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للمذنبين الخاطئين يوم القيامة، وعلى الصراط، ويخرجهم من جوف جهنم وما من نبيّ إلا وله شفاعة، وكذلك الصديقون والشهداء والصالحون، ولله بعد ذلك تفضلٌ كثير على من يشاء والخروج من النار بعدما احترقوا وصاروا فحمًا.

.....

الإيمان بالشفاعة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم للمذنبين الخاطئين، تحت هذا العنوان مسائل:

المسألة الأولى: شفاعة النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لأهل الكبائر، وأهل الكبائر الذين وقعوا في الكبائر من الذنوب، والكبيرة أصح ما ورد فيها أنه ما تُوعّد عليها بلعن أو عذاب أو وعيد في الدنيا أو الآخرة أو حدّ من الحدود، فهذه الكبائر، فشفاعة النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كائنة لأهل الكبائر، وهذه الشفاعة هي التي أنكرها المعتزلة والخوارج وطوائف من أهل البدع، المعتزلة والخوارج أنكروا هذه الشفاعة، وقد جاء فيها الدليل الخاص لقوله صلّى الله عليه وسلّم «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»(١) رواه الترمذي وهو صحيح بشواهده، وفي الصحيح «لكل نبيّ دعوة يدعو بها، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي»(٢)، دل على شفاعة النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لأهل الكبائر الذين وقعوا في كبائر الذنوب، وهذا يجرّنا إلى مسألة ثانية وهي أنواع شفاعة النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، أو هذه الشفاعة في مواضع:

الأول: شفاعته لأمته أو لأهل الكبائر قبل دخول النار، من استوجب دخول النار يشفع النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في أن لا يدخل النار.

والثاني: بعد دخول النار، فإن الله تعالى يخرج بشفاعة النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فِئامًا من أمته.

والثالث من أنواع الشفاعة: في فِئام من أمة محمد صلّى الله عليه وسلّم يدخلون الجنة بغير حساب، وهي داخلة في شفاعة النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كما في حديث عُكّاشة بن محصن «سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير

(١) صحيح. الترمذي (٢٤٣٧). صحيح الجامع (٣٧١٤).
(٢) صحيح مسلم (١٩٩).

حساب ولا عذاب»[1].

النوع الرابع: الشفاعة في أهل الأعراف، في قوم استوت حسناتُهم وسيئاتُهم.

الخامس: في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يشفع لهم، وهو أول من يطرق باب الجنة.

السادس: شفاعته في رفع درجات بعض أهل الجنة، يدلك على هذا أن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال في الدعاء لأبي سلمة «وارفع درجته في المهديين»[2]، فدعاؤه مقبول، وهي تدخل في شفاعة النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

النوع السابع من أنواع شفاعات النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: شفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه من عذاب النار فيُنعل نعلين من نار أو يكون في ضحضاح من النار كما ورد في الحديث[3]، إذًا شفاعة النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم متنوعة، شفاعته لأهل الكبائر وهي أنواع، وشفاعته صلّى الله عليه وسلّم لأهل الجنة في أن يدخلوا الجنة، وشفاعته في رفع درجات بعض أهل الجنة، وشفاعته في عمه أبي طالب.

ثم قال البربهاري رحمه الله تعالى: وما من نبيّ إلا وله شفاعة، وهذا يُبين لك مسألة: أن الشفاعة ليست خاصة بالنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، بل النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وغير النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يشفع، تشفع الملائكة، ويشفع أهل الإيمان، ويشفع الشهداء، ويشفع الصالحون، كما جاء في الصحيح أن الله تعالى يوم القيامة يقول: «شفعت الملائكة، وشفع النَّبيّون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا رحمة أرحم الراحمين، فيأمر الله تعالى بأقوام لم يعملوا خيرًا قط أن يُخرجوا من النار»[4]، هذا من عظيم فضل الله عزّ وجلّ ومن عظيم رحمته تعالى رحمه الله تعالى.

المسألة التي بعدها وهي داخلة في مسائل الشفاعة، الشفاعة لا تنفع عند الله تعالى إلا بوجود شرطين، الأول: إذن الله تعالى للشافع، يقول تعالى: ﴿لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ

(١) صحيح البخاري (٥٧٠٥).
(٢) صحيح مسلم (٩٢٠).
(٣) صحيح البخاري (٣٨٨٣).
(٤) صحيح مسلم (١٨٣).

وَيَرْضَى﴾[1]، وفيه ذكر شرطي الشفاعة، والإذن هنا قد يكون إذن كوني وإذن شرعي، لا بد أن يأذن الله عزّ وجلّ الإذن الكوني والإذن الشرعي حتى تتحقق هذه الشفاعة، لأنه قد يأذن الله عزّ وجلّ إذنًا كونيًا ولا يأذن إذنًا شرعيًّا، يدلك على ذلك أن الله عزّ وجلّ أذن كونًا باستغفار إبراهيم لأبيه ولكنه لم يأذن ذلك شرعًا، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[2]، فإذًا لا بد من الإذن الكوني والإذن الشرعي، الشرط الثاني: رضا الله عن المشفوع، بأن يكون من أهل الشفاعة – أهل التوحيد – لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[3]، وقال: ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[4]، فإذا لم يكن من أهل التوحيد فلا تكون هذه الشفاعة.

والإيمان بالصراط على جهنم، يأخذ الصراط من شاء الله ويجوز من شاء الله، ويسقط في جهنم من شاء الله، ولهم أنوار على قدر إيمانهم.

.....

هذا العنوان: الإيمان بالصراط على جهنم، وهنا المسألة الأولى فيما يتعلق بمسائل الصراط؛ أن الصراط معناه الطريق في اللغة، وهذا الصراط طريق موضوع على ظهر جهنم، وهو طريق يوصل من العرصات – عرصات المحشر – طريق يوصل من أرض العرصات من أرض المحشر إلى ما قبل دخول الجنة، هذا الصراط وهذا العبور وهذا الورود ورد في قول الله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[5]، الصراط المذكور في كلام الله عزّ وجلّ هو الورود على جهنم على الصحيح من أقوال أهل العلم – عند التحقيق – فإن الورود هو المرور على الصراط، كما صرح بذلك جمع من أئمة السلف رحمهم الله تعالى.

المسألة التي تليها: الصراط جاء ذكرُه مجملًا في كلام الله عزّ وجلّ، وأما في سُنَّة النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فجاءت له أوصاف، فجاء في أوصافه أنه دقيق جدًا، وأنه أدق من الشعرة وأحدُّ من السيف، وأنه

(١) النجم: ٢٦.
(٢) التوبة: ١١٤.
(٣) الأنبياء: ٢٨.
(٤) النجم: ٢٦.
(٥) مريم: ٧١، ٧٢.

طويل، وأن على جنباته كلاليب أمثال شوك السعدان -وهذا الشوك يعرفه أهل البوادي-، وهذه الكلاليب تخطف الناس بقدر ما قدَّر الله عزّ وجلّ، فمن خطفته تلك الكلاليب وقع في جهنم - والعياذ بالله -، والأنبياء هم أنبياء الله قد اصطفاهم الله تعالى يقولون قبل عبور هذا الصراط: اللهم سلّم سلّم، فلا سلامة في هذا اليوم إلا لمن سلّمه الله تعالى، والقدرة على المرور والقدرة على تجاوز هذه الأهوال بحسب الأعمال الصالحة، لهذا المرور على هذا الصراط بحسب أعمالهم، جاء في الروايات أنه دَحْضٌ مزلّة، زلق، يزلق فيه الإنسان، ولا ثبات إلا لمن ثبته الله على ذلك الصراط.

قال المؤلف البربهاري رحمه الله تعالى: ولهم أنوار على قدر أعمالهم وإيمانهم، جاء في صحيح مسلم «أنه يُعطى نورًا»(١) عند المرور على الصراط يعطى نورًا، وعند الحاكم «أن هذا النور منهم من يكون نوره مثل الجبل»(٢) ثم ما دون ذلك حتى منهم ما يكون نوره على طرف إبهامه، يضيء تارة ويطفئ تارة أخرى، فالأمر خطير، جدٌّ خطير، جاء في الروايات في صحيح مسلم أن «الرحم والأمانة على جنبتي الصراط»(٣)، ولهذا سبحان الله هذه الأمور سوف تتمثل أمام الإنسان، صلة الرحم والأمانة التي تقل في الناس، هذه الأمانة - نسأل الله السّلامة والعافية – تكون على جنبي الصراط، فمن كان واصلًا لرحمه أمينًا يؤدي الأمانة فهو حري مع إيمانه بالله عزّ وجلّ أن يمر مرورًا كريمًا، أما صفة المرور فجاء في الروايات أن الناس يمرّون فيه بأشكال فمنهم من يمرّ كالبرق، ومنهم كالريح، ومنهم كأجواد الخيل، ومنهم من يزحف زحفًا، منهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يركض ركضًا، بحسب الأعمال، كما أن الناس يتفاوتون في أعمالهم وفي إيمانهم يكون مرورهم على الصراط بحسب أعمالهم وإيمانهم.

والإيمان بالأنبياء والملائكة.

.....

هذه مسألة جديدة، عنوان جديد، الأنبياء والملائكة الإيمان بهم:

المسألة الأولى: النَّبيّ هو من يوحى إليه بشرع أو بشرع من كان قبله، لا يوحى إليه بشرع جديد،

---

(١) صحيح مسلم (١٩١).
(٢) صحيح. الحاكم (٣٤٢٤). صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٢٣٦).
(٣) صحيح مسلم (١٩٥).

وبعضهم يعبّر بأن النَّبيّ هو من يبعث إلى قوم موافقين، هذا جاء في الحديث «العلماء ورثة الأنبياء»[١] ولم يقل العلماء ورثة الرسل، والرسول هو من يوحى إليه بشريعة جديدة إلى قوم مخالفين له، وبهذا تعلم أن مقام الرسول أعلى من مقام النَّبيّ، ولهذا كَثُرَ في بني إسرائيل الأنبياء، وجاء في الحديث أن بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء[٢]، يعني كلما ذهب نبي جاء نبيّ، كما أنه كَثُرَ في بني إسرائيل قتلُ الأنبياء، الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ﴾[٣]، والرسل والأنبياء جاء في أوصافهم أنهم رجال وأنهم من أهل القرى، وأما الرسول فلا بد أن يُكَذَّب، يحصل من طوائف من الأُمَّة التي يبعث إليها التكذيب، كما قد جاء التصريح بذلك في كلام الله عزّ وجلّ.

أما الملائكة فهم خلْقٌ مِنْ خلْقِ الله عزّ وجلّ، خلقوا من نور، وهم مقيمون على عبادة الله تعالى، وظائفهم متعددة، ورؤساء الملائكة[٤] ثلاثة، جبريل عليه السّلام، وهو موكل بالوحي، وميكائيل وهو موكل بإنزال المطر، وإسرافيل بالنفخ في الصُّور، وهم الذين جاءوا في حديث الاستفتاح في قيام الليل «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل»[٥]، وفيهم حملة العرش، ومنهم الحفظة من الملائكة، ومنهم الكرام الكاتبون، والإيمان بهم وبالرسل من أركان الإيمان، من أصول الإيمان الستة كما تعرفون.

والإيمان بأن الجنة حق والنار حق، وأنهما مخلوقتان، الجنة في السماء السابعة، وسقفها العرش، والنار تحت الأرض السابعة السفلى، وهما مخلوقتان، قد عَلِمَ الله تعالى عددَ أهل الجنة ومن يدخلها، وعدد أهل النار ومن يدخلها، لا تبليان أبدًا، بقائهما بقاء الله أبد الآبدين ودهر الداهرين.

.....

الإيمان بالجنة والنار، هذا العنوان وهذه الفقرة تحتها مسائل:

المسألة الأولى: الإيمان بالجنة والنار أصل من أصول أهل السُنَّة، وأنهما مخلوقتان، قول البربهاري رحمه الله تعالى مخلوقتان: يعني أن خلقهما قد تمّ، خلق الجنة والنار قد تمّ، ولا يُعلم متى خلقهما الله سبحانه وتعالى،

(١) صحيح. أبو داود (٣٦٤١). صحيح الجامع (٦٢٩٧).
(٢) صحيح البخاري (٣٤٥٥).
(٣) آل عمران: ١١٢.
(٤) هنا قال الشارح حفظه الله (الأنبياء) والصواب ما ذكرنا -كما لا يخفى.
(٥) صحيح مسلم (٧٧٠).

وخلْقُهما متقدم على خلق آدم عليه السّلام، وعبّر البربهاري رحمه الله تعالى بأن الجنة والنار لا تفنيان وهذا حق، فإن الجنة خلقت للبقاء، والنار خلقت للبقاء، والأبدية للجنة والنار مما أجمع عليه أهل السُنَّة.

المسألة التي تليها مكان الجنة والنار: أما كون الجنة فوق السماء السابعة؛ فهذا ظاهر من دلالات النصوص، ولهذا قال النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إذا سألتم الله؛ فاسألوا الله الفردوسَ، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة، فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»(١)، لا إشكال في ذلك، وأما مكان النار؛ فالحق والله أعلم أنه لم يأت دليل صحيح صريح في تعيين مكان جهنم ومكان النار، فيُتوقّف فيه على دلالات النصوص، والنصوص لم تدل على هذا التعيين.

المسألة التي تليها: هي ما يتعلق بالجنة والنار – أوصاف الجنة والنار –، أن الجنة والنار حق كما قد عبّر المؤلف رحمه الله تعالى، كما جاء في الحديث وأنهما مخلوقتان وموجودتان، وأن الجنة فوق السماء السابعة والنار حيث يعلمها الله سبحانه وتعالى، وأن الرسول رآهما حقًا، رأى الجنة ورأى النار، وأنهم تتكلمان وتتحاجّان، كما ورد في الحديث «تحاجّت الجنة والنار، فقالت النار: أُوثرت بالمتكبرين، وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس»(٢) الحديث، من أوصافهما أن الله تعالى خلق لكل منهما أهلًا، وأن عليه سبحانه وتعالى امتلاؤهما – امتلاء الجنة والنار –، كذلك من الأوصاف التي وردت أن لكل واحد من الخلق منزل في الجنة وآخر في النار – نسأل الله السّلامة والعافية –، من أوصاف الجنة والنار أن الجنة حُفَّت بالمكاره – مكروهات النفوس –وأن النار حُفّت بالشهوات، كذلك مما ورد في الأحاديث أن الله جعل للنار نفَسين في الصيف والشتاء، فنفَس النار في الصيف هو الحرّ، وفي الشتاء هو الزمهرير(٣)، كذلك ما جاء في أوصافهما – الجنة والنار – أنهما خالدتان لا تفنيان، كذلك عِظَم اتساع الجنة، فإن الجنة واسعة، قال الله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾(٤)، ولا يشك إنسان أن هذا التعبير يدل على عظمتها، كذلك من أوصاف النار أن النار لا تزال تطلب الامتلاء؛ ولا تمتلئ النار حتى يضع الجبار فيها قدمَه فتقول: قط قط، وينزوي بعضها على بعض، وقط قط يعني يكفيني، فهذا فيما يتعلق بمسائل المتعلقة

(١) صحيح البخاري (٢٧٩٠).
(٢) صحيح البخاري (٤٨٥٠).
(٣) صحيح البخاري (٥٣٧).
(٤) الحديد: ٢١.

بالجنة والنار.

وآدم عليه السلام كان في الجنة الباقية المخلوقة فأُخرِج منها بعدما عصى الله عزّ وجلّ.

.....

هذا العنوان: آدم عليه السّلام كان في الجنة إلى آخر كلام البربهاري، هذا يمكن أن نُمَثِّلَ به للمسائل الفرعية التي لا يُبدّع فيها المخالف، قد قدمت لكم أن المخالف لأصول أهل السُنَّة قد يكون مخالفًا لأصل أو لفرع لأصل، فإذا لم يحصل التفريق بين الأصول وبين الفروع وقع الظلم، حيث يُبدّع من كان من أهل الإيمان بمسائل جزئية، هذا قد وقع من جمع من أهل العلم حتى، في التبديع في المسائل الفرعية، قد حصلت الخصومة، إما لما قد قدمت لك بسبب اللفظ المجمل، أو للمنازعة في فرع لأصل، أو لظنهم أن هذه المسألة من المسائل الأصلية في الاعتقاد، وهي مسألة جزئية لا يُبدّع بها، ذكرنا مسألة قبل ذلك وهي حساب الكفار، وكذلك من المسائل الفرعية رؤية الكفار، وكذلك حتى في الصحابة في زمن الصحابة حدث الخلاف في بعض مسائل جزئية فرعية، وهي هل النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم رأى ربه؟ فلا بد أن تميز بين المسائل الأصلية وبين المسائل الفرعية، كذلك سبق أن قدمنا لك بالمسائل التي يحصل فيها الخلاف بسبب اللفظ المجمل؛ فتُبدع طائفةٌ طائفةً أخرى بسبب أنهم لم يحرروا محل النزاع، وقد ذكرت لك في مسألة حساب الكفار، وسيمر معنا بإذن الله مسألة اللفظ في القرآن، فإنها صنفت فيها مصنفات وبُدِّع فيها الإمام البخاري لأجل اللفظ المجمل، فلهذا لا بد للإنسان أن يتبيّن في مثل هذه المسائل ويعرف أصول المسائل وفرعيات المسائل ويميز حتى لا يقع في الظلم والتعدي كما يقع من فِئام من أهل السُنَّة على بعضهم البعض الظلم.

وآدم عليه السّلام كان في الجنة الباقية، هذا مثال للمسائل الفرعية التي لا يُبدع فيها المخالف، ولهذا ابن القيم رحمه الله تعالى وجماعة من المفسرين ذكروا أن هذه الجنة التي أُهبط منها آدم ليست بجنة الخلد، كما في كتاب ابن القيم الذي أطال فيه في بيان ذلك وهو كتابه مفتاح دار السعادة، فإنه في نحو أربعين صحيفة يبيّن أن الجنة التي أُهبط منها آدم ليست هي جنة الخلد، والصحيح ما ذكره البربهاري رحمه الله تعالى من أن آدم أُهبط من جنة الخلد، لماذا البربهاري عمد إلى ذكر مثل هذه المسألة لأنه يرى أن هذه المسألة المخالفُ فيها من المسائل التي يتعين فيها اعتقادها، وهذا فيما هو ظاهر من النصوص أنها مسالة فرعية، والصحيح ما ذكره البربهاري رحمه الله تعالى، والدليل على أن آدم عليه السّلام أهبط من جنة الخلد أن الله عزّ وجلّ قال: ﴿إِنَّ

لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى، وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾[1]، وهذه ليست مناسبة لجنان الأرض، لا تكون إلا لجنة الخُلد، ولهذا قال الله تعالى: ﴿اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾[2]، هذا دليل ثاني، وهذا يدلك على أن الإهباط كان من جهة عليا.

والإيمان بالمسيح الدجال.

.....

هذه مسألة عظيمة، نذكر لكم فيه بعض الروايات عن وصفه، نقول: هو بشر من خلق الله تعالى، وخروجه يكون بعد خروج المهدي، وفتنته أعظم فتنة على وجه الأرض، أعظم فتنة يمر الناس بها فتنة المسيح الدجال، وسمي مسيح لأن ممسوح العين اليمنى، وسمي بالدجال لأنه كذاب، وما من نبي إلا وحذر أمته منه، انظر كيف فتنته عظيمة لأن الأنبياء يحذرون أتباعهم من فتنة هذا المسيح الدجال لأنها عظيمة، ولهذا النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول: «إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، - يعني للمحاجّة له - وإن يخرج بعد ذلك؛ فالله خليفتي على كل مسلم»[3] هذا يدلك على شفقة النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم على أمته، ولهذا من شفقته أنه بيّن لنا أوصاف هذا المسيح الدجال كأننا نراه، جاء في الروايات أنه أعور عينه اليمنى، وجاء في الوصف الدقيق من النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كأنها عنبة طافئة، العنبة الطافئة يعني التي ذهب ماؤها، يدعي أنه رب العالمين، والله ليس بأعور كما جاء في الحديث، جاء في وصفه أنه أفحج، يعني مشيته معيبة بسبب تباعد ساقيه، وجاء في وصف شعره أنه جعد، يعني شعره ليس بناعم، جفال الشعر يعني شعره كثيف، مكتوب بين عينيه: كافر، في رواية على جبينه، ك ف ر، يقرؤها الكاتب وغير الكاتب، يعني الذي يعرف القراءة والذي لا يعرف، مكان خروجه من جهة المشرق من جهة خراسان، يتبعه سبعون ألفًا من يهود أصبهان، هذا المسيح معه جنة ونار في رواية، وفي رواية معه ماء ونار، له القدرة على إخراج كنوز الأرض، يخرج كنوز الأرض فتتبعه، يأمر السماء أن تمطر فتمطر، يأتي إلى قوم من البادية ممحلين يأمر السماء أن تمطر فتمطر، ومعه شياطين، يمكث في الأرض أربعين، يوم كسَنَة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع،

(١) طه: ١١٨، ١١٩.
(٢) طه: ١٢٣.
(٣) صحيح مسلم (٢٩٣٧).

وسائر أيامه كسائر الأيام، هذا يدلك على أن نواميس الكون عند خروج المسيح الدجال تتغير أول ما يخرج، لأن المعروف أن اليوم أربع وعشرون ساعة، اليوم الذي كسَنَة لاشك أن هناك أمور تحدث وقوانين ونواميس – أي القوانين –، ولهذا الصحابة رضي الله عنهم قالوا: يا رسول الله أرأيت اليوم الذي كسُنَّة –لم يقولوا: كيف؟ كما يفعل المتأخرون، بل سلّموا– قالوا: أرأيت اليوم كسَنَة؛ أتكفينا فيه صلاة يوم وليلة؟ فقال النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «لا، أقدروا له قدره»(١) والعصمة منه بأمور:

أولًا: بالابتعاد عنه، فأصحاب الشره في معرفة الأخبار ومعرفة الأحداث؛ هؤلاء ليخشوا على أنفسهم، بعض الناس أي شيء يسمعه يريد أن يراه، قال النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «من سمع به فلينأ عنه»(٢)، وهذا أصل في باب الفتن، البعد عنها، أن تكون آخرًا فيها، تذكرون كلام سفيان الثوري عن المهدي هو منطلق من هذا الأصل.

ثانيًا: الاستعاذة من فتنته، لهذا جمع من أهل العلم يرون الاستعاذة دبر الصلاة واجبة، والنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم علَّمنا أن نستعيذ دبر الصلاة – آخر الصلاة – من فتنة المسيح الدجال(٣).

ثالثًا – من أسباب العصمة من فتنة المسيح الدجال –: تعلم العقيدة الصحيحة، ما يتعلق بأسماء الله وصفات الله عزّ وجلّ، لأن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول: «إنه بأعور، وإن ربكم ليس بأعور»(٤)، لأن من يعرف العقيدة وأسماء الله وصفاته يعرف أنه ليس برب العالمين وأنه كاذب، ويكون عنده البرهان على ذلك، الله عزّ وجلّ ليس بأعور، له عينان تليقان بجلاله سبحانه وتعالى.

من أسباب العصمة كذلك من فتنته قراءة فواتح الكهف عليه حينما يخرج، أو حينما يُسمع به، وأن يحفظها كما جاء في روايات(٥).

من أسباب العصمة من فتنته تحذير الناس منه، أن يُحذر الإنسان منه، هذا من أسباب عصمة الناس، ولهذا جاء في روايات «أنه لا يخرج حتى لا يُذكر في الأرض»(٦)، وهذا إنما بسبب شيوع الجهل والبعد عن

---

(١) صحيح مسلم (٢٩٣٧).
(٢) صحيح. أبو داود (٤٣١٩). صحيح الجامع (٦٣٠١).
(٣) صحيح مسلم (٥٨٨).
(٤) صحيح البخاري (٣٠٥٧).
(٥) صحيح مسلم (٨٠٩).
(٦) مسند أحمد ط الرسالة (٢٧/ ٢٢٥) بلفظ (لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره، وحتى تترك الأئمةُ ذكرَه على المنابر)، وقال الشيخ

الدين وعن الإيمان، كما قد قدمنا لكم قول عبد الله بن مسعود (فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه، أو ما يفتقر إلى ما عنده من العلم)[١] فلو شيء قليل من العلم بالمسيح الدجال يكون عصمة للإنسان من هذه الفتنة العظيمة، سرعته سريع، سرعته كالغيث استدبرته الريح، بلدتان لا يدخلهما المسيح الدجال هما مكة والمدينة، الملائكة تمنعه من دخولهما، وأما هذا الكذاب الدجال فإن الله تعالى يقيم البرهان للناس أنه كذّاب؛ فإنه يقتل ويهلك على يد عيسى ابن مريم عليه الصّلاة والسّلام بباب لد في فلسطين حينما ينزل، هذا إنما يكون من علامات الساعة.

والإيمان بنزول عيسى بن مريم عليه السّلام؛ ينزل فيقتل الدجال ويتزوج ويصلي خلف القائم من آل محمد صلّى الله عليه وسلّم، ويموت ويدفنه المسلمون.

.....

نزول عيسى ابن مريم عليه الصّلاة والسّلام من أشراط الساعة الكبرى، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[٢]، قال صلّى الله عليه وسلّم: «يوشك أن ينزل فيكم عيسى ابن مريم حكمًا عدلًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية»[٣] وفي رواية «لا يقبل إلا الإسلام»[٤] هو معنى يضع الجزية، ويفيض المال في عهده حتى لا يقبله أحد، قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾[٥]، يعني قبل موت عيسى عليه الصّلاة والسّلام، وهذا يدلك على أن عيسى عليه الصّلاة والسّلام قد رفع وأنه بعد موته سينزل وسوف يموت لقول بعض المفسرين، والله عزّ وجلّ قال عنه: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾[٦]، يعني عيسى، لما جاء ذكر عيسى قال: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ وفي القراءة الأخرى -وهي قراءة صحيحة- (وإنه لَعَلَم للساعة) والعَلَم: الشرط والعلامة، لَعَلَم للساعة يعني

الألباني رحمه الله في قصة المسيح الدجال (ص٣٠): (قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٥): (رواه عبد الله بن أحمد من رواية بقية عن صفوان بن عمرو، وهي صحيحة كما قال ابن معين، وبقَّةُ رجالِه ثقات). وعزاه في مكان آخر (٧/ ٣٥١) لأحمد نفسه فوهم!).

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٧٢).

(٢) النساء: ١٥٩.

(٣) صحيح البخاري (٢٢٢٢).

(٤) الفتن لنعيم بن حماد (٢/ ٥٧٥).

(٥) النساء: ١٥٩.

(٦) الزخرف: ٦١.

شرط وعلامة على قرب قيام الساعة، وهو الذي يخرج في زمانه يأجوج ومأجوج، وهو الذي يقتل الدجال، وينزل من السماء في دمشق، وينزل – كما ورد في بعض الأحاديث – على جناحي ملك[١]، ثم تبدأ الأحداث الكبرى المتعلقة بذلك بأشراط الساعة وهي طويلة جدًا يضيق هذا المقام عن تفصيلها، لكن المهم بيان المسائل المتعلقة بعيسى عليه الصّلاة والسّلام.

البربهاري قال: فيقتل الدجال، هذا محل اتفاق، ويتزوج، أما زواج عيسى ابن مريم؛ فقد ورد في الفردوس في مأثور الخطاب للديلمي رواية أنه يتزوج من امرأة من بني أسد وتلد له غلامًا[٢]، وهذا الحديث لا يصح من جهة الإسناد، وقد ذكر هذا بعض أهل العلم في عباراتهم ولكنهم لم يذكروا دليلًا في هذه المسألة –أنه تزوج–، ولا شك أن الزواج من سنن المرسلين، لكن النص عليه هذا يحتاج دليلًا وليس ثمّ دليل في المسألة.

قال: صلاته خلف القائم من أمة محمد صلّى الله عليه وسلّم، وهو يعني المهدي، جاء في صحيح البخاري «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم، وإمامكم منكم»[٣]، وعند الإمام أحمد في المسند «وإذا هم بعيسى، فيقال: تقدم يا روح الله، فيقول: ليتقدم إمامكم فليصل بكم»[٤]، وأن الذي يصلي بهم هو المهدي، هكذا تدل ظاهر الروايات، أنه يصلي بعيسى ابن مريم، وهذا كما قال بعض أهل العلم أن عيسى يأتي فيحكم بشريعة محمد صلّى الله عليه وسلّم، وأما قول البربهاري رحمه الله تعالى: ويموت، فموت عيسى هذا هو المفهوم من ظاهر النصوص، لأنه ما من نفس منفوسة إلا قد كتب الله تعالى عليها الموت، وأما التصريح بذلك أنه يموت هل جاء في الروايات؟ قد جاء في روايات ضعيفة أنه يموت – التصريح بذلك –، أما أنه يموت فلا شك أنه ما من نفس منفوسة إلا قد كتب الله تعالى عليها الفناء والموت، وأما التصريح بذلك فجاء في روايات ضعيفة وأنه يدفن مع النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في حجرته[٥]، ولا يثبت في هذا شيء، يعني التصريح بذلك في الأحاديث.

---

(١) صحيح مسلم (٢٩٣٧) بلفظ (ملكين) بالتثنية.
(٢) الفردوس للديلمي (٧٠٥٣).
(٣) صحيح البخاري (٣٤٤٩).
(٤) مسند أحمد (١٤٩٥٤).
(٥) موقوف ضعيف. الترمذي (٣٦٢١). الضعيفة (٦٩٦٢).

قال البربهاري: ثم يقبض الله روحَ عيسى ابن مريم ويذوق الموت، في التذكرة أورد هذه العبارة، قال: ثم يقبض الله روحَ عيسى ابن مريم ويذوق الموت ويدفن إلى جانب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الحجرة، وقيل يدفن بالأرض المقدسة مدفن الأنبياء، وهذا الأمر مما يُتوقف فيه على النصوص – أين يدفن –، فليس ثمّ دليل على ذلك، هذا فيما يتعلق بالمسائل المتعلقة بعيسى ابن مريم عليه الصّلاة والسّلام.

والإيمان بأن الإيمان قول وعمل ونية وإصابة، يزيد وينقص، يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه شيء.

.....

لعل هذه المسألة آخر مسألة ثم نفتح المجال للسؤال فيما تقدم.

وقول البربهاري رحمه الله تعالى: الإيمان قول وعمل ونية وإصابة، هذا التعبير هو من تعابير كلام السلف، فعبارات السلف متنوعة في هذا الباب، السلف رحمهم الله في التعبير عن الإيمان ومسائل الأيمان يعبّرون بعبارات مختلفة، تارة يقولون: الإيمان قول وعمل، وتارة يقولون: قول وعمل ونية، كما قال الإمام أحمد، عبارة الإمام أحمد: قول وعمل ونية، والنية هنا هي الإخلاص في القول والعمل، وتارة يقولون: قول وعمل ونية وإصابة سُنَّة، ولهذا قال البربهاري: وإصابة يعني إصابة سُنَّة، وهذه التعبيرات كلها تعبير عن معنى صحيح واصطلاحات، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى – حينما أورد عبارات السلف – قال: وكل هذا صحيح، أي كل هذه التعبيرات صحيحة، ولهذا قول السلف رحمهم الله تعالى: قول وعمل، القول يصدق على أمور، والعمل يصدق على أمور، فالقول يشمل قولَ القلب، وهو ما يقوم به من اعتقاد، وهو التصديق، وقول الجوارح، وهو قول اللسان، والعمل يصدق على عمل القلب وعمل الجوارح، وعمل القلب هو النية والإخلاص، وعمل الجوارح الأعمال التي تُعمل بالجوارح، كالصلاة وسائر الأعمال العبادية، إذًا عبارات السلف باختصار هي القول والعمل، يعني القول: قول القلب، يعني القلب فيه قول وفيه عمل، القول ما يقوم فيه من الاعتقاد، وأعظم الاعتقاد هو التصديق، ثم عمل القلب وهو نيته وإخلاصه، ولهذا السلف رحمهم الله وبعض أهل العلم يقولون: أعمال القلوب، يُعبّرون بأعمال القلوب، يقصدون بذلك النية والإخلاص وسائر الأعمال القلبية، فالخشية من أعمال القلوب، وعمل الجوارح الأعمال التي تُعمل بالجوارح، وأما قول الجوارح فهو قول اللسان، أعيدُ: قول القلب هو ما يقوم به

من الاعتقاد، وعمل القلب نيّته وإخلاصه وسائر الأعمال القلبية، وعمل الجوارح الأعمال التي تُعمل بالجوارح كالصّلاة والحج، وقول الجوارح هو قول اللسان.

البربهاري رحمه الله تعالى قال: يزيد ما شاء الله، وينقص حتى لا يبقى منه شيء، وهذه المسألة – مسألة زيادة الإيمان ونقصانه – هو قول السلف بل قول جمهور أهل السُنَّة، ونُسب لبعض أئمة أهل السُّنَّة أنه يزيد ولا ينقص، لأن الدليل دلّ على زيادته، ولا يقولون بالنقص لعدم ورود الدليل، لكن الصحيح أن الإيمان يزيد وينقص، ومن الطوائف من قال: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وهو قول طائفة من المرجئة، ولهذا بعض أهل العلم يُرتّب على هذا أن هذه المسألة تابعة لمسألة تعريف الإيمان، وبعضهم يرى أن هذه المسألة لا تترتب على حقيقة الإيمان، يرى أنها منفصلة ليس لها علاقة بتعريف الإيمان، لأنه يقول: أنه من الأشاعرة من يقول بزيادة الإيمان ونقصانه، وهم من المرجئة، فإذا قال أحد: الإيمان لا يزيد ولا ينقص لا يدل على أنه مرجئ، وإنما يدل على أنه مخالف لاعتقاد أهل السُنَّة، وإذا قال: يزيد وينقص لا يدل على براءته من الإرجاء، فيرى بعض أهل العلم أن هذه المسألة ليست تابعة لحقيقة الإيمان وأنها مسألة منفصلة، ويستدل على ذلك بما ذكرت لك في هذا الباب في مسألة الإيمان.

وأفضل هذه الأُمَّة والأمم كلها بعد الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، هكذا روي لنا عن ابن عمر رضي الله عنه قال: كنا نقول ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم بين أظهرنا: إن خير الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أبو بكر وعمر وعثمان، ويسمع بذلك النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فلا ينكره[1]، ثم أفضل الناس بعد هؤلاء عليّ وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة – عامر بن الجراح – وكلهم يصلح للخلافة، ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم القرن الأول الذي بُعث فيهم؛ المهاجرون الأولون والأنصار وهم من صلّوا القبلتين، ثم أفضل الناس بعد هؤلاء من صحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومًا أو شهرًا أو سَنَة أو أقل من ذلك أو أكثر، نترحم عليهم، ونذكر فضلهم، ونكفّ عن زللهم، ولا نذكر أحدًا منهم إلا بالخير لقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»[2]، وقال سفيان بن عيينة: من نطق

(١) صحيح. أبو داود (٤٦٢٨). صحيح وضعيف أبي داود (٤٦٢٨).
(٢) صحيح. الطبراني في الكبير (١٩٨/ ١٠). الصحيحة (٣٤).

في أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بكلمة فهو صاحب هوى.

.....

هذه المسالة محل اتفاق بين أهل السُنَّة، وأن ترتيب الصحابة رضوان الله عليهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، ثم العشرة المبشرين بالجنة، سمّاهم المؤلف هنا، فقال: سعد بن أبي وقاص ثم طلحة ثم الزبير ثم سعيد بن زيد ثم عبد الرحمن بن عوف ثم أبو عبيدة عامر بن الجراح، وإنما سُمّوا بالعشرة المبشرين بالجنة لأنهم بشروا بالجنة في مكان واحد في حديث واحد، والرافضة يكرهون لفظ العشرة لأجل وروده في العشرة المبشرين بالجنة، ولأجل مقتل الحسين في اليوم العاشر من شهر الله المحرم، هذا دليل على سفه عقولهم، فإن العدد لا دخل له في هذه الأمور، والمسألة المتعلقة بأصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أن يقال: إن حبَّ الصحابة له علامات وأمارات يُعرف بها، العلامة الأولى: قيام المودة لهم في القلب، العلامة الثانية: الثناء عليهم والترضي عليهم عند ذكرهم، الثالثة: أن نحمل أفعالهم على أحسن محمل، وأن نعتذر عما يصدر منهم رضوان الله عنهم، وأن نكفّ عما شجر بينهم، فهو من أصول أهل السُنَّة كما في لمعة الاعتقاد وفي تعابير جمع من أهل العلم، الكف عمّا شجر بين أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، العلامة الرابعة: الذب عنهم ممن ينتقصهم، وأن تكون قلوبنا سليمة على أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، كذلك ألسنتنا سليمة فلا نتعرض لأحد من أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم – صغيرهم وكبيرهم؛ متقدمهم ومتأخرهم – رضي الله عنهم، أما ترتيبهم في الفضل فكما ذكر المؤلف صحيح، وله تمام، فأفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ، ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، ثم العشرة المبشرين بالجنة، وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الذِّكْر، لأن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كما في حديث العشرة يقول: «ائذن له وبشره بالجنة»(١)، هكذا تواردوا، تواردهم مُراد من الله سبحانه وتعالى ليبيّن منزلتهم في دين الإسلام، ثم المهاجرون الذين أسلموا في مكة، ثم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، ثم الأنصار، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم من أسلم قبل الفتح أفضل ممن أسلم بعد الفتح، والمراد بالفتح عند جماعة من أهل العلم المراد به صلح الحديبية.

المسألة الأخيرة التي سوف نختم بها إن شاء الله تعالى ثم نجيب على الأسئلة هي مسألة حكم سبّ

(١) حديث العشرة المبشرين بالجنة رواه الترمذي (٣٧٤٨)، وهو صحيح كما في التعليقات الحسان (٦٩٥٤). وأما حديث (ائذن له وبشره الجنة) فهو حديث ذكر الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم، وهو صحيح، رواه البخاري في صحيحه (٣٦٧٤).

الصحابة، فنقول: النقطة الأولى في الموضوع أن سبّ جميع الصحابة هذا كفر بالإجماع.

المسألة الثانية: سبّ أكثر الصحابة على وجه الغيظ والتغيّظ، فأكثر السلف على تكفير من فعل ذلك.

الثالثة: أن يسبّ بعضهم، واحدًا منهم لا على وجه القدح في الدّين ولكن على وجه الذمّ في الدنيا، مثل أن يقول: هذا الصحابي مَالَ إلى السلطة، وهذا الصحابي يحب الدنيا، أو هذا الصحابي نازع على الملك، فهذا لا يكفر ولكن فعله مُحرّم وكبيرة من كبائر الذنوب، ويجب على إمام المسلمين أن يُعَزِّر من يفعل ذلك، هذا فيما يتعلق في هذا المجلس وما تيسر في هذا اليوم، وإن شاء إلى تمام هذا الكتاب في الغد إن طالت بنا الحياة، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد.

نجيب عن الأسئلة:

- ما معنى قول النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الذي تقدّم بالأمس: «لم يعملوا خيرًا قط»(١)؟

أعطيكم قاعدة مهمة، أن النصوص تُجمع من جهة الدلالة على معنى، لا يمكن أن تستقلّ بفهم نص إلا بجمع النصوص، والنصوص يُفسّر بعضها بعضًا، فمفهوم هذا النص يُفهم بدلالات النصوص، والمراد أنهم لم يعملوا خيرًا قط: يعني خيرًا له قيمة؛ له اعتبار، وليس معناه أنهم لم يعملوا شيئًا أبدًا، لأن هذا النص يُفهم بالنصوص الأخرى، ولا يستقلّ، ولهذا بعض أهل الأهواء من المرجئة وغيرهم يستدلون بهذا النص، هذا النص أقل ما يقال فيه أنه من المتشابه الذي يُردُّ إلى المحكم، مع أن دلالة هذا النص مفهومة بالنصوص الأخرى.

- سمعت أن صلاة المسيح ابن مريم خلف المهدي الحديث في هذا ضعيف، والنص على أن الإمام هو المهدي؛ فإن كان من أمة محمد..

يعني هذه المسالة يسيرة، يتوقف فيها على ثبوت الأحاديث في هذا والخطب فيها يسير.

- من مات قبل خروج الدجال فهل هو معرض لفتنة الدجال؟

كما قال بعض السلف: إني أرى الموت كرامة لكل مسلم، من مات فقد أَمِنَ من فتنة المسيح الدجال، لأن المسيح الدجال لا يسلط إلا على الأحياء ولا يسلط على الأموات.

- مسألة توضيح مسألة الاستثناء في الإيمان، ويقول: أنا مؤمن إن شاء الله

(١) سبق تخريجه.

هذه إن شاء الله لعلنا في الغد نتكلم عنها بالتفصيل لأنها آخر مسألة وقفنا عليها فنبيّنها إن شاء الله.

- يقول هل يستدل بقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾(١) على أن النار في أسفل السافلين - كما يذكر بعض أهل العلم؟

هكذا قال جمع من المفسرين، لكن على التحقيق لا يدل ذلك على أن النار في الأرض السفلى، لأنه لم يقل: النار بل قال: كتاب الفجار.

- هل نقل عن شيخ الإسلام وابن القيم القول بفناء النار؟

هذه دائمًا نُسأل عنها، يعني القول بفناء النار لم أرد أن أتكلم فيها لكن لما سُئِلت فأجيب فيها، القول بفناء النار قد يراد بهذا عبارات بعض أهل العلم، من أهل السُنَّة من يقول: إن طبقة من طبقات النار تفنى، وهي الطبقة التي يُوضع فيها أهل التوحيد، فإن مصيرهم إلى الجنة، وبعض أهل العلم - ونسب إلى بعض السلف - ولا تصح هذه النسبة؛ قالوا بفناء النار، وممن نُسِبَ له هذا القول - وربما أشار إليه في مواضع - ابن تيمية وابن القيم رحمهم الله تعالى، لكن أنا أفيدكم أمرًا مهمًا جدًا أنّ تَعَلُّقَ هذه المسألة - منزعهم في القول بفناء النار - هذه الآثار التي ظنوا أنها ثابتة، والأمر الثاني نزعوا إلى أمر متعلق بأسماء الله وصفاته، من جهة أن الجنة أثر رحمة الله عزّ وجلّ، والنار أثر غضب الله سبحانه وتعالى، وصفة الرحمة ذاتية ملازمة لذات الله عزّ وجلّ، وصفة الغضب صفة فعلية، فقالوا: لو قلنا بعدم فناء النار وأنها سوف تكون إلى أبد الآبدين؛ للَزِم من ذلك أن نقول: إن صفة الغضب - التي هي صفة فعلية - أنها تكون صفة ذاتية للرب سبحانه وتعالى، هذا منزعهم، لكن ظواهر النصوص ودلالات النصوص تدل على أن الجنة والنار لا تفنيان أبدًا، هذا هو الظاهر من النصوص.

- أرجو من فضيلتكم إعادة شروط المناظرة.

لعلك ترجع إليها فيما بعد إن شاء الله وتبحثها وتلقاها إن شاء الله لأن الأسئلة كثيرة.

- هذا يقول: أحسن الله إليكم لماذا قال السلف: تفسير الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي هل هو لدفع التوهّم؟

هذا لدلالة النص ولبيان هذا، يعني أنكم سترون ربكم كما ترون، تشبيه، لأن الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن

(١) المطففين: ٧.

يكون على صورة خلقه، لأن الله ليس له مثال سبحانه وتعالى، وهو لدفع توهم من يتوهّم ذلك.

- يقول عن الإيمان: وينقص حتى لا يبقى منه شيء فيصير كافرًا.

نعم، الإيمان إذا بدأ يزول فربما يزول حتى لا يبقى منه شيء ويكفر الإنسان، لأن المعاصي - أعاذنا الله وإياكم منها - بريد الكفر، كما أن البدع طريق الكفر، هي خطوات، وبيان من البربهاري أن المعاصي توصل الإنسان إلى الكفر.

- هل رؤية الله تبارك وتعالى تكون لجميع المسلمين لمن دخل النار ثم أُخرج منها؟

الظاهر من النصوص أن من دخل الجنة أنه يرى ربه سبحانه وتعالى.

- ذكرتم أنه لا دليل صحيح على وجود النار في الأرض السابعة، فكيف وحديث البراء بن عازب؟

لعل الأخ يُبين موضع الشاهد حتى نستدل به.

- ما الفرق بين علْم الكلام وعلْم الفلسفة والمنطق، وما هو المراد منها؟

الفلسفة والمنطق أفرع من علم الكلام.

- معلوم أنه لا خلاف بين أهل السُنَّة في العقيدة، إنما في الخلاف في الفروع، فهل يعتبر الخلاف في بعض مسائل العقيدة هو من الخلاف في العقيدة؟

هذا الكلام غير صحيح، أصول الاعتقاد بين أهل السُنَّة محل اتفاق، أما فرعيات المسائل فقد يوجد فيها خلاف، وهي داخلة في مسائل الاعتقاد، وأنا ذكرت لك أمثلة على ذلك.

- ما معنى قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾[1]؟

يُبيّن هذا اللفظ المعنى في ﴿وَرَافِعُكَ﴾ يعني متوفيك وقابضك إليّ غير منقوص سليم، وهذا في حق عيسى عليه السّلام.

- هل هناك كتب توصي طالب العلم في الاعتقاد.

أما الكتب فكتب السلف رحمهم الله عظيمة ونافعة، فكتب الاعتقاد مشهورة ككتاب التوحيد والعقيدة الواسطية، وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الاعتقاد وابن القيم كالتفسير لكلام السلف، كتب عظيمة وكلها نافعة.

---

(١) آل عمران: ٥٥.

– هل ما ذكره ابن تيمية في الواسطية أن هذه الأصول السُّنَّة من أصول أهل السُنَّة؟

نعم الذي ينصّ عليه الأئمة أنه أصل من أصول أهل السُنَّة – ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية – لاشك أنه يُبدع المخالفُ فيها.

– أشراط الساعة وأهوال اليوم الآخر

المصنفات كثيرة جدًا ولا أعرف مصنفًا بعينه أنصحك به، أنا أنصحك بصحيح البخاري وصحيح مسلم فيما يتعلق بأشراط الساعة، أنا أنصحك بهذين الكتابين.

– من يصف الصحابي بأنه بخيل أو يحب الدنيا!

لا شك أن من يقع في أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقد وقع في أمر محرم وكبيرة من كبائر الذنوب، أما الحكم عليه بالتبديع فبحسب حاله ينظر فيه.

– لماذا نصّ السلف على أفضلية عليّ رضي الله عنه في حديث ابن عمر المذكور؟

هذا محل اتفاق بين السلف رحمهم الله على هذا الترتيب.

– هل سيلتقي المهدي بالدجال؟

الله أعلم، لا أعلم، لكن الذي أعلمه من ظواهر النصوص أن الذي يقتل الدجال هو عيسى ابن مريم.

– يقول في قوله تعالى ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[1] فهل يدل هذا على كفر السابّ للصحابة مطلقًا بتكذيبهم؟

قد قدمت لكم بالتفصيل الذي هو منصوص عند الأئمة رحمهم الله، ومن أراد الاستزادة في هذا الباب فليرجع إلى كلام ابن تيمية في الصارم المسلول فإنه قد فصل في هذه المسألة، حكم سابّ الصحابي.

– يقول: بعض الناس يقول أن عيسى عليه السّلام نبيّ وصحابي؟

لا شك أن مقام النبوّة أعلى مقام؛ فلا يُحتاج لمقام بعده.

– ما التفسير الصحيح لقوله تعالى في الذين يُذادون عن حوض النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم؟

طائفة من أهل العلم قالوا: هم أهل الردّة، لهذا النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يعرفهم، الذين أسلموا ومات النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهم على الإسلام ثم ارتدّوا، تعرفون أن الردّة وقعت بعد وفاة النَّبيّ صلّى الله

(١) الفتح: ١٨.

عليه وسلّم في قبائل العرب، وطائفة من أهل العلم قالوا: إن الذين يُذادون هم أهل النفاق لأنهم صحبوا النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وكانوا يُصلّون معه ويرونه ويراهم النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وطائفة من أهل العلم قالوا بأن الذين يُذادون عن الحوض: هم من أحدث في دين الله، كل هذه الأقوال صحيحة، والذي ليس بصحيح هو زعم الروافض أن الذين يُذادون عن الحوض هم أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم! لأنهم يلتزمون لأجل ذلك أن الصحابة ارتدوا إلا بضع نفر.

– هذا يسأل عن اسم ملك الموت، عزرائيل أو كذا هل ثبت هذا الاسم؟

الذي أعرفه أنه لم يثبت هذا الاسم.

– هل يستدل بقول النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الحوض أنه من شربه لا يظمأ بعده أبدًا؛ أنّ من شرب من الحوض فإنه لا يُعذب في النار؟

لا يلزم من ذلك في دلالات النصوص، لا شك أن من شرب من الحوض حريّ بأن يدخل الجنة – بشارة له –، لكن لا يلزم من ظاهر النص، لأن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لم يقل: لم يدخل النار، وإنما قال: لم يظمأ، لا يلزم.

– هل قول الأشاعرة في الرؤية يعود إلى قول المعتزلة؟

نعم، مآل هذا القول إلى تعطيل الصفة وتعطيل الرؤية، فقولهم متناقض، قول الأشعرية أنه يُرى لا في جهة قول متناقض، وإنما وقعوا في التناقض لأنهم التزموا هذه المقدمات الكلامية وأرادوا مخالفة المعتزلة، فحصل هذا التناقض، ولهذا حصل تسلط الجهمية عليهم والمعتزلة.

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا، وبعد اللهم علمنا ما ينفعنا وعلمنا العلم النافع والعمل الصالح يا رب.

سبق الكلام على مسائل الإيمان، وثمّ مسألة كنا لم نبحثها اختصارًا للوقت ولكن بعض الإخوة سأل عنها لزم أن نبيّن هذه المسألة: مسألة الاستثناء في الإيمان، وصورة هذه المسألة أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، وهذه المسألة حدث الكلام فيها والخلاف فيها بين أهل القبلة، فقال الكُلَّابية بوجوب الاستثناء، وقالت

المرجئة بتحريم الاستثناء في الإيمان، لأن الإيمان عند المرجئة شيء يكون في القلب شيء واحد لا يتبضع، فالإنسان يعلم من نفسه التصديق، فلا يصح أن يستثني فيه، وقول أهل السُّنَّة رحمهم الله هو الجواز، يجوز أن يقول الإنسان: أنا مؤمن إن شاء الله، ولكن على وجوه متعددة، يجوز إذا أراد به ألّا يزكي نفسه، عدم التزكية، لأنه لا يدري هل أتى بكل الواجبات وانتهى عن كل المحرمات، أو لأنه لا يعلم بما يختم له، فيجوز أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، يعني على وجه إن ختم الله لي بالخاتمة الحسنة، فعلى هذا الوجه يجوز، ويمنعون إذا كان ا لمستثني يستثني على وجه الشك، الإنسان يعلم من نفسه الإيمان فلا يجوز له إن يشك في هذا الإيمان، هذا فيما يتعلق بمسالة الاستثناء.

نبدأ ببيان المسائل وأظن وصلنا إلى العنوان رقم تسعة وعشرين، الحاصل أن القارئ قرأ المسألة التي قبلها ثم أورد حديثين الحديث الأول «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»(١) وهذا الحديث بعض أهل العلم يرى أنه بشواهده يصح، وأما الحديث الآخر وهو الذي أريد أن أنبّه عليه فما ذكر عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم «أصحابي كالنجوم؛ بأيهم اقتديتم اهتديتم»(٢) هذا الحديث لا يصح عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من جهة السند، كما أنه من جهة المتن لا يصح، لأن الصحابة رضوان الله عليهم في مسألة الاقتداء ليسوا على درجة واحدة، والدليل على ذلك أن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»، فبيّن أن سُنَّة الخلفاء الراشدين مرادة في المتابعة، بينما ما بعد الخلفاء الراشدين وفيهم من كان له شرف الصحبة ومع ذلك لا يُقتدى به في سُنَّتِه ورعيته وفي أشياء كثيرة من الأمور، فدل على أن الصحابة رضي الله عنهم ليسوا على درجة واحدة، كذلك النَّبيّ فرَّق في مسألة الاقتداء بين الخلفاء الراشدين، في مسألة الاقتداء؛ جاء عن النَّبيّ في الحديث الصحيح «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر»(٣) فخصّ النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم أبا بكر وعمر بمزيّة يفارقون بها سائر الخلفاء الراشدين، يعني أبي بكر وعمر في مسألة الاقتداء بالهدي ليسوا كغيرهم ممن جاء بعدهم رضي الله عنهم، إذًا هذا الحديث لا يصح لا سندًا ولامتنًا.

---

(١) صحيح. الطبراني في الكبير (١٩٨/ ١٠). الصحيحة (٣٤).
(٢) موضوع. قال الشيخ الألباني رحمه الله في الضعيفة (٥٨): (موضوع، رواه ابن عبد البر في جامع العلم (٢/ ٩١)).
(٣) صحيح. الترمذي (٣٦٦٢). صحيح الجامع (١١٣٩).

ثم قال البربهاري: والسمع والطاعة للأئمة بما يحب الله ويرضى، ومن ولي الخلافة بإجماع الناس به فهو أمير المؤمنين، وهذا يجرّنا إلى مسائل تتعلق بمسألة الإمامة، أما أن السمع والطاعة للأئمة فهذا أصل من أصول أهل السُّنَّة والجماعة، وليست مسألة جزئية كما قد بيّنت لكم في ما قد سبق، ولهذا طاعة الإمام يمكن أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما وجب بأصل الشرع، كالأمر بالصلاة، فهذا يطاع فيه أولًا طاعة لله ثم تبعًا لطاعة الإمام الذي يأمر بها.

القسم الثاني: الأمر بالمعصية، فلا يطاع، فإن الطاعة في المعروف كما قد ثبت في الأحاديث الصحيحة وكما هو معلوم من النصوص واتفاق أهل العلم، الطاعة في المعروف، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وسوف يذكر البربهاري رحمه الله تعالى عنوانًا لهذه فيما سيأتي، فلا يطاع؛ ولكن لا يخرج عليه بل يُصبر عليه.

القسم الثالث: أن يأمر بما ليس بمعصية ولا واجب في الشرع، يعني أمرًا مباحًا، فطاعته هنا واجبة، لأنه لا يأمر الإمام إلا بما يحقق مصالح المسلمين في هذه الباب ويدفع عنهم المفاسد، ولهذا يشبه قول الخوارج من لم يرَ الطاعة للإمام إلا مع الإمام الصالح الذي ليس عنده فساد، هذا قول يشبه قول الخوارج، تسمع بعض المعاصرين ويستندون على بعض كلام المتقدمين الذين لا يفهمونه على الوجه الصحيح أو لا يرون طاعة الإمام إلا فيما عُلِمَ أنه طاعة، هذا القول ليس بصحيح، وما ذكرت لك هو اتفاق أهل العلم المعاصرين، بعض الناس يرى أن الإمام لا يطاع إلا فيما عُلِم أنه طاعة، هذا ليس بصحيح.

المسألة التي تليها مسألة مهمة من المسائل المعاصرة وهي تتجدد بحسب الأزمنة والأمكنة؛ وهي طرق ثبوت الإمامة، مسألة الإمامة مسألة عظيمة، والمخالفة فيها ليست كالمخالفة في غيرها، لأنه يترتب على المخالفة في الإمامة سفك الدماء واستباحة الأموال والأعراض وأشياء كثير جدًا في هذا الأمر، فضبط هذه المسائل مما يتعين على طالب العلم، ولأن الهوى في مسألة الإمامة يعظم لأنها مسألة فارقة، وقلَّ من يعصمه الله عزّ وجلّ من الهوى في هذه المسائل – مسائل الإمامة –، لأنها تأتي بما يخالف أهواء الناس ورغباتهم كما تعرفون، فلهذا طرق ثبوت الإمامة عند أهل السُّنَّة:

الأول: الاختيار والبيعة من أهل الحل والعقد، لاحظ أن أهل العلم قالوا الاختيار من أهل الحل والعقد، هذا يدلك على فساد الأنظمة الديمقراطية التي تُسوي بين رأي العالم وبين رأي من دونه حتى ولو

كان ضعيف العقل، يسوي بين رأي الرجل وبين رأي المرأة، هي أنظمة جاهلية لا تمثل توجيهات الإسلام، وإنما هي زبالة أفكار البشر، فإذًا من أهل الحل والعقد، ولهذا مصطلح الحل والعقد يحتاج لبيان، لأنه يحصل الخلط فيه، تجد في عبارات الناس أهل الحل والعقد، فمن هم أهل الحل والعقد؟ أهل الحل والعقد باستقراء كلام أهل العلم والفقهاء هم أهل الشوكة والمكانة والقدرة من العلماء ومن دونهم، علماء الشرع ورؤساء الجند وأهل التجارة - كبار التجار - الذين لهم أثر، هؤلاء هم أهل الحل والعقد، فإذًا يحصل الاختيار والبيعة من أهل الحل والعقد، هذا الطريق الأول.

الطريق الثاني: الاستخلاف، أن يستخلف الإمام مَنْ بعده، وهذا الطريق وقعت به بيعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإن أبا بكر رضي الله عنه استخلف عمر رضي الله عنه، ويدخل في الاستخلاف ولايةُ العهد من ملوك المسلمين، وهذا وقع من معاوية رضي الله عنه ليزيد، هذا الطريق صحيح، ولهذا لم ينكر الصحابة على أبي بكر رضي الله عنه استخلافه لعمر، وقد اتفقت الأُمَّة على انعقاد الإمامة بالاستخلاف، لهذا قال الخطابي رحمه الله تعالى: الاستخلاف سُنَّة اتفق عليها الملأ من الصحابة، وهو اتفاق الأمة ولم يخالف فيها إلا الخوارج، لأن من أعظم المسائل التي يخالفون فيها الخوارج مسألة الإمامة، فقال: إلا الخوارج والمارقة، يعني: سُنَّة منقولة عن أبي بكر، والنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول: «عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين من بعدي»(١)، فهي سُنَّة عن أبي بكر رضي الله عنه، لماذا الاستخلاف؟ لأنه من فعل أبي بكر رضي الله عنه، ولأن الاستخلاف يحصل به حقن دماء المسلمين، لأن منصب الإمامة منصب تتشوف له النفوس، فحسم هذا الأمر وقطعه فيه حقن لدماء المسلمين وتحقيق الأمن، ولهذا الاستخلاف الذي حصل من معاوية رضي الله عنه ليزيد بن معاوية؛ الظن بمعاوية رضي الله عنه أنه ما أراد بالمسلمين إلا خيرًا، لا كما يقول بعض المعاصرين من أهل الأهواء أن معاوية ارتكب خطأ ووقع في انحراف عظيم، الحقيقة ما قدمت لك، لأن هؤلاء فيهم من شُعَب الخوارج، ولهم تعلق بمسألة قضية الإمامة ومنصب الإمامة وكما تعرفون، ولا نطيل بهذه القضية ولكن من باب البيان، لأن معاوية في هذا الزمان استطال بعض الناس عليه حتى كتب بعض المعاصرين مؤلفات وتكلموا عليه في هذه القضية ويرددون هذه القضية، ولأجل هذا البيان نقول: إن معاوية رضي الله عنه راعى المصلحة الشرعية، لأن عصبة معاوية هم بنو أمية

(١) صحيح. الترمذي (٢٦٧٦). صحيح الجامع (٢٥٤٩).

الذين هم في الشام لن يكون منهم استجابة وسمع وطاعة إلا لمن كان من بني أمية، فأراد رضي الله عنه أن يحقن دماء الأُمَّة باستخلاف يزيد، وهذا الظن به هذا، وسيأتي أن كلام الصحابة وأقوالهم تحمل على أحسن المحامل، وهذا الظن بكاتب الوحي رضي الله عنه، حتى كان بعض السلف يقول: معاوية ستر أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم(١)، فإذا رأيت الرجل يطعن في معاوية فاتهمه، فأفعال الصحابة وأقوال الصحابة تحمل على أحسن المحامل، هذا أصل من أصول السُّنَّة رضي الله عنهم، فأهل السُّنَّة قلوبهم سليمة على أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

نعيد: قال الخطابي: الاستخلاف سُنَّة، اتفق عليها الملأ من الصحابة، وهو اتفاق الأُمَّة لم يخالف فيه إلا الخوارج والمارقة الذين شقّوا العصا وخلعوا ربقة الطاعة، هذا ذكره الخطابي في كتابه العزلة صفحة سبعة وخمسين.

الطريق الثالث: يمكن أن نعدّه طريقًا ثالثًا ويمكن أن ندخله في الطريق الثاني، لكن لا بأس من التقسيم فنقول طريقًا ثالثًا: ثبوت البيعة بتعيين جماعة من الإمام تختار من يخلف الإمام، وهذا وقع من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»(٢)، فمن السُّنَّة قد يكون هذا؛ أن يكون الإمام يولي بضعة نفر؛ فيقول: الأمر فيكم فاختاروا من تروه مناسبًا لمنصب الإمامة، هكذا فعل عمر رضي الله عنه، لذا لا خلاف في ثبوت الإمامة في هذه المسائل.

الطريق الرابع – الذي قلت لك يمكن أن تعدّه ثالثًا ويمكن أن تعدّه رابعًا –: ثبوت البيعة والإمامة بالغلبة والقهر، هذه مسألة عظيمة، لهذا بعض الناس لا يفهم هذه المسألة على وجهها؛ فيحاول أن يُشنّع فيها على أهل السُّنَّة، وأهل السُّنَّة أرحم الناس بالخلق، فهذا الثّبوت من أهل السُّنَّة وانعقاد الإمامة به؛ أهل السُّنَّة لاحظوا النصوص التي تُعظم دماء المسلمين وأموالهم، ولهذا قالوا بثبوت الإمامة بالغلبة والقهر، صورة هذه المسألة أنه إذا غلب رجلٌ الأُمَّةَ بسيفه – بالقهر والغلبة – وأذعنوا له واستقر له الأمر وتمّ له التمكين؛ صار المتغلب إمامًا للمسلمين الذين تغلّب عليهم – وإن لم يستجمع شروط الإمامة –، صرّح بذلك الأئمة كأحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ونصّ على هذه المسألة بعينها وهو إمام أهل السُّنَّة، ولهذا النَّبيّ صلّى الله عليه

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث (٨/ ١٤٨) عن أبي توبة؛ الربيع بن نافع الحلبي.
(٢) سبق تخريجه.

وسلّم قال: «اسمعوا وأطيعوا؛ وإن تولى عليكم عبد حبشي»[١]، ممن لم يستجمع شروط الإمامة كأن يكون عبد وهو الرقيق المملوك وهذا فاقد لشرط من شروط الإمامة وهي الحرية ومع ذلك النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم أمر بالسمع والطاعة، ومما يُمَثِّل له أهل العلم – مسألة الغلبة والقهر – ولاية عبد الملك بن مروان، ولايته واضحة وظاهرة أنه غلب الناس وقهرهم وتولى وصار أميرًا للمؤمنين، وأمر أهل العلم بالسمع والطاعة له.

المسألة التي تليها: أسباب الخروج على الولاة، هذه مسألة مهمة.

الأول من أسباب الخروج: التأويل، ولم يخرج أحد على الإمام إلا وله في خروجه على الإمام تأويل، ولهذا هذا التأويل باب انتُهكت فيه حرمة الشريعة، ولهذا الإنسان لا بد أن يعرف أن التأويل منه ما هو مقبول ومنه ما هو ليس بمقبول، ولهذا دائمًا الذي يخرج يحاول أن يتكأ في خروجه على أشياء شرعية، والشيطان يزين هذا، ولهذا قلت لك: باب الإمامة باب تعظم فيه الفتنة لتعلق النفوس بمنصب الإمامة، وكثير ممن خرج خرج لأجل الدنيا في الغالب وإن تظاهر بأنه يريد نصرة الدين في الغالب.

الأمر الثاني: أن يرى المرء ما يكرهه في دينه أو دنياه، ويترك الصبر الذي أمر الرسول صلّى الله عليه وسلّم به، فيكون معتقدًا للخروج أو خارجًا، يكره في دينه مثل ما حصل لّما امتُحن الناس بالقول بخلق القرآن، هذا مما يكرهه الناس في دينهم، ولهذا الإمام أحمد مع أنه امتحن وجُلِد وسجن وأوذي ما أمر الناس بالخروج، فلما تُكُلِّم في مسألة الخروج قال: سبحان الله، سبحان الله، الدماء، الدماء، فقال بعض جلساء الإمام أحمد: ألسنا في فتنة؟ قال: نعم في فتنة خاصة، ولكن إذا خرج الناس عظُمت الفتنة، هذا من فقه الإمام أحمد رحمه الله تعالى واعتصامه بالنصوص، وقد صدق رحمه الله تعالى، لهذا النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «من رأى من أميره شيئًا يكرهه»[٢] وما يكرهه قد يكرهه في الدين وقد يكرهه في الدنيا من الأثرة، قد يستأثر الإمام بالأموال وبأشياء كثيرة من الدنيا، هذا أمر النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالصبر؛ ولمن هم أولى بالإحسان وهم الأنصار، قال النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إنكم سترون بعدي أثرة»[٣] يعني استئثار، هذا

(١) صحيح البخاري (٧١٤٢).
(٢) صحيح البخاري (٧٠٥٣).
(٣) صحيح البخاري (٤٣٣٠).

واقع في الأُمَّة من أزمنة متطاولة، فالأثرة هي دنيا، والنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أخبرنا أن مصير الدنيا إلى الفناء؛ وأن الصبر على هذه الأثرة كما قال أهل العلم فيه تكفير السيئات ورفعة الدرجات وسبب للفلاح في الآخرة، لأن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض»(١)، فالصبر على الأثرة ليس له حد، لهذا بعض الناس يقول: إلى متى نصبر؟ هذا لم يتحقق من معاني النصوص، النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول: «اصبروا حتى تروني على الحوض» أو حتى تردوني الحوض أو كما قال صلّى الله عليه وسلّم، لهذا السلف رحمهم الله كانوا يُعَبّرون بهذا؛ يقولون: اصبروا حتى يستريح برّ أو يُستراح من فاجر، البرّ يستريح بالموت، كما قال بعض السلف: إني أرى الموت كرامة لكل مسلم، يعني إذا مت استرحت من هذا الجَور، أو يُستراح من فاجر بأن يقبضه ملك الموت؛ فينفس الله عزّ وجلّ عن الأُمَّة من هذا الإمام الظالم والجائر، وإذا تركوا الصبر – والصبر مأمور به – عاقبهم الله بضدّ ذلك في الدنيا والآخرة، لهذا ينبغي على عامة الناس أن يهددوا بالنصوص وأن يُربّوا على قهر الأهواء بمثل هذا الأمر، لأن ما أحد يسلم من الهوى في هذه المسألة إلا من سلّمه الله سبحانه وتعالى، والعصمة لمن عصمه الله عزّ وجلّ وفقهه وعلّمه وكانت الآخرة همّه.

والسمع والطاعة للأئمة فيما يحب الله ويرضى، ومن ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به؛ فهو أمير المؤمنين، لا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن ليس عليه إماما برًّا كان أو فاجرًا.

.....

هذا بعض الناس يقول أنا ليس في عنقي بيعة، الرسول صلّى الله عليه وسلّم يقول: «من مات وليس في عنقه بيعة؛ مات ميتة جاهلية»(٢)، وقول البربهاري (لا يرى) أي لا يعتقد أن في عنقه بيعة، والبيعة لازمة، وبعض الناس يستشكل هذا فيقول: أنا لم أبايع بنفسي! نقول: البيعة إذا ثبتت للإمام بأهل الحل والعقد لزمت لمن دون هؤلاء، ولم يقل أحد من الناس أن البيعة لا تتحقق حتى يبايع الناس جميعًا، هذا فاسد من

---

(١) صحيح البخاري (٤٣٣٠).
(٢) صحيح مسلم (١٨٥١).

جهة الشرع وفاسد من جهة العقل، لأنه إذا كانت لا تثبت البيعة إلا بمبايعة الناس معنى ذلك أن الإمام ربما لا تنعقد الإمامة له إلا بعد سنوات متطاولة لأن الناس لا يزالون يبايعونه، وهذا فساد عظيم.

مسألة: قال والحج والغزو مع الإمام ماض، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة، ويصلّى بعدها ست ركعات يفصل بين كل ركعتين، هكذا قال أحمد بن حنبل.

.....

قال: الحج والغزو، وهذه المسألة من المسائل الفقهية التي صار القول بها علامة على السُّنَّة وعلامة على السُّنِّي لمخالفة الروافض و الخوارج في هذا الأمر، فتأمل يرعاك الله هاتان عبادتان عظيمتان وهما الحج والجهاد لا صلاح لهما إلا بالإمام، فالحج عبادة يجتمع فيها الخلق، ولا بد فيها من أمير ينْفِرُ الناسُ معه حين ينفر وينزلون معه حين ينزل، ولهذا نص الفقهاء رحمهم الله تعالى على أمير الحج، لهذا الإمام هو الذي تكون الأمور به في الحج، وللإمام أن يُنَوِّب على الحج أميرًا ينطلق الناس معه، هذه سُنَّة والحمد لله قائمة إلى وقتنا هذا، وإذا لم يكن للناس أمير في الحج عند ذلك تكون أمور الناس فوضى لا تتحقق هذه العبادة هذا نص الفقهاء رحمهم الله تعالى، وكذلك الجهاد لا بد أن يكون فيه أمير حتى يتحقق المقصود منه، المقصود من الجهاد ليس هو قتل الكافر فقط، ليس مراد الشريعة بالجهاد قتل الكافر، وإنما المراد بالجهاد إعلاء كلمة الله عزّ وجلّ وإقامة الدين، لا بد للإنسان أن لا يغيب عن ذهنه هذا الأمر، والجهاد لا يكون إلا بالولاية على أي وجه كانت الولاية، سواء كان الوالي برًّا من أهل الطاعة أو من أهل الفجور والمعصية، فإنه يتحقق بالجهاد معه دفع شر عظيم، وهذا وقع من الصحابة رضوان الله عليهم أنهم قاتلوا مع بعض الأئمة الذين ليسوا على وجه الطاعة والبرّ، ربما ينقل عنهم معاصي ربما، ومع ذلك قاتلوا معهم، لأن هذا مصلحة عظيمة، لهذا نص الأئمة رحمهم الله على هذه المسألة بعينها وهي الحج لأن المخالف فيها هم من أهل الأهواء، فإن الخوارج لأنهم لا يرون الجهاد مع الأئمة وكذلك الروافض يخالفون في هذه المسألة؛ فنقول المخالف في هذه المسألة – مسألة جديدة – المخالف في هذه المسألة طائفتان أو فرقتان، الروافض فإنهم لا يرون الحج والجهاد إلا مع الإمام المعصوم الذي ينتظرون خروجه – وهو محمد بن الحسن العسكري – المختفي كما يزعمون في سرداب سامراء، وهم يَدْعُونَ عند ذكره بتعجيل خروجه، الروافض لا يرون الحج والجهاد إلا مع الإمام

المعصوم، هذا هو المعلوم من مذهبهم، إلا في العصور المتأخرة حينما خرجت فيهم بدعة ما يسمى بولاية الفقيه – بدعة في مذهبهم طبعًا – ينوب عن الإمام المعصوم في إقامة بعض الشعائر ومنها الجهاد والحج، كذلك الخوارج فهم يرون أن هذه الأعمال – يعني الحج والجهاد – لا تكون إلا تحت الإمام البرّ الصالح، ولهذا هم ينصبون لهم إمام ويجاهدون معه، والحقيقة أن غالب جهاد الخوارج هو جهادهم لأهل القبلة من أهل الإسلام، كما هو معلوم من تاريخ الخوارج، فالنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال عنهم: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»(١) وسوف يأتي معنا ذكر الخوارج في بعض العناوين التي يعقدها البربهاري رحمه الله تعالى.

المسألة التي بعدها وهي قول البربهاري رحمه الله تعالى: ويصلي صلاة الجمعة خلفهم يعني خلف الأئمة الفجار، أو خلف أئمة الجور، والصلاة خلفهم سُنَّة ماضية دلت عليها السُّنَّة، وإنما نص البربهاري على صلاة الجمعة لأنه في الغالب كان الأئمة يتولّون هذه الصلاة بعدما اتسعت بغداد دون غيرها من الصلوات، أما في السابق فكانوا يتولون الصلاة جميعًا حتى صلاة الفروض، كان السلف يتولون حتى صلاة الفرائض الظهر والعصر، ونص البربهاري عن الجمعة لأنه يتكلم عن عصره، والله أعلم، فإذًا صلاة الجمعة وسائر الصلوات، وهي سُنَّة ماضية دلت عليها السُّنَّة، قال النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «يصلون لكم؛ فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم»(٢)، ولهذا جاء عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم «سيكون فيكم أمراء يميتون الصلاة»(٣) وهذا حدث في عهد خلفاء بني أمية، فكانت عندهم عادة تأخير الصلاة عن وقتها – نسأل الله العافية والسلامة –،فقيل: يا رسول الله ماذا نصنع؟ قال: «صلوا الصلاة لوقتها ثم صلوا معهم»(٤) لأجل أن يراعى عدم المفارقة، ولأن أمثال الصحابة رضوان الله عليهم وأهل الإشارة والاعتبار إذا فُقِدوا دل على شيء، فيصلون معهم نافلة لأن تأخير الصلاة عن وقتها لا يجوز وكبيرة من كبائر الذنوب، وعند بعض أهل العلم أن تأخير الصلاة عن وقتها على وجه التعمد أنه كفر، ومع ذلك النَّبيّ صلّى الله عليه

(١) صحيح البخاري (٣٣٤٤).
(٢) صحيح البخاري (٦٩٤).
(٣) صحيح مسلم (٦٤٨).
(٤) صحيح مسلم (٦٤٨).

وسلّم قال: «صلوا الصلاة لوقتها ثم صلوا معهم»[١]، ولهذا صح عن عبد الله بن مسعود أنه صلّى خلف الوليد بن عقبة وقد صلّى الفجر أربعًا وهو في صحيح مسلم[٢]، وعبد الله بن عمر صلّى خلف الحجاج بن يوسف[٣] وهو من أظلم أهل عصره، كذلك أنس بن مالك رضي الله عنه صلّى خلف الحجاج، وكان الحجاج أمير الحج في ذاك الوقت، ومع ذلك صلوا خلفهم الصلوات، فإذًا الصلاة خلف أئمة الجَور سُنَّة ماضية وهي تابعة لمسائل الصبر على جورهم.

ثم قال البربهاري رحمه الله تعالى: ويصلي بعدها ست ركعات، هذا من التفريعات للمسائل، فإن الصلاة بعد الجمعة ست ركعات لا يثبت فيها شيء مرفوع عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الست ركعات التي ذكرها البربهاري رحمه الله تعالى.

والخلافة في قريش إلى أن ينزل عيسى بن مريم عليه السّلام.

.....

الخلافة في قريش؛ جمهور أهل العلم على أن خليفة المسلمين يجب أن يكون من قريش لقوله صلّى الله عليه وسلّم «الأئمة من قريش»[٤] رواه الإمام أحمد في المسند، ولقوله صلّى الله عليه وسلّم «الناس تبع لقريش في هذا الشأن»[٥] وهو مخرج في الصحيحين، يعني شأن الإمامة، طبعًا هذا إذا كان ثمّ اختيارٌ للناس، وأما طرق انعقاد الإمامة فقد ذكرت لكم أنها تنعقد بمن لم يستجمع شروط الإمامة وبأن لا يكون من قريش، طبعًا قول البربهاري: إلى أن ينزل عيسى بن مريم؛ يشير إلى الحديث عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا أكبّه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين»[٦]، وأما قوله إلى أن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الذي في صحيح مسلم (١٧٠٧) أن الوليد بن عقبة صلى الصبح ركعتين ثم قال: (أزيدكم؟)، أما رواية الأربع فهي عند أحمد (١٢٣٠)، ولم أعثر على ذكر لابن مسعود رضي الله عنه في الحديث، وقد أورده ابن أبي العز الحنفي في شرحه كما ذكره الشارح هنا، انظر شرح الطحاوية – ط الأوقاف السعودية (ص ٣٦٦).

(٣) صحيح. مصنف ابن أبي شيبة (١٣٩٨٣). الإرواء (٥٢٥).

(٤) صحيح. أحمد (١٢٩٠٠). صحيح الجامع (٢٧٥٧).

(٥) صحيح البخاري (٣٤٩٥).

(٦) صحيح البخاري (٣٥٠٠).

أن ينزل عيسى بن مريم؛ فالله أعلم أنه كذلك، يريد ما ورد فيما تقدم لكم من أن في آخر الزمان يخرج المهدي وهو من قريش كما وردت الأحاديث بذلك، وأنه يكون له منصب الإمامة على المسلمين.

ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي قد شق عصا المسلمين، وخالف الآثار و ميتته ميتة جاهلية.

.....

هذه المسألة من أصول أهل السُّنَّة، فقد ذكر الإمام أحمد في رسالته أصول السُّنَّة النصَّ على هذه المسألة، قال: ومن خرج على إمام من المسلمين، قول الإمام أحمد: من خرج على إمام من أئمة المسلمين، لاحظ عبارة الإمام أحمد: أئمة المسلمين، هذا يدلك على تعدد الأئمة، أن الواجب واحد ولكن تعدد الأئمة جائز، قال: ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه، وهذا يفيدك في مسألة التمكين والغلبة والقهر وأن الناس اجتمعوا عليه وأقرّوا له بالخلافة بأي وجه كان، بالرضا والاختيار أو بالغلبة، حكم الخارج كما قال الإمام أحمد فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الأثار، عصا المسلمين والله أعلم أن الخارج يضعف الأُمَّة بخروجه لأنه يترتب على خروجه ضعف الأُمَّة وسفك الدماء، تكون الدولة التي يحصل فيها الخروج تكون دولة ضعيفة واهنة يتحكم فيها الأعداء كما تعرفون حتى في السابق وفي الزمن المعاصر، قال: وخالف الأثار عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فإن مات الخارج عليه - مات على الخروج - مات ميتة جاهلية - نسأل الله السّلامة والعافية - مات ميتة جاهلية، وهذا من ألفاظ الوعيد، كون الإنسان يموت على الجاهلية من ألفاظ الوعيد، وهذا هو مسلك الخوارج الذين يقاتلون الأئمة ويخرجون عليهم لأجل المعاصي كما هو معلوم من مذهب الخوارج.

لا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه وإن جار؛ وذلك لقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأبي ذر الغفاري: «اصبر وإن كان عبدا حبشيًا»(١)، وقوله للأنصار «اصبروا حتى تلقوني على الحوض»(١)، وليس من السُّنَّة قتال السلطان؛ فإن فيه فساد الدنيا والدين

---

(١) صحيح البخاري (٧١٤٢).

.....

هذه المسألة: ولا يحل قتال السلطان، هذا محل إجماع بين أهل العلم، وممن حكى إجماع على أهل العلم على أنه لا يجوز الخروج على السلطان وعلى قتاله ابن بطال والنووي رحمه الله تعالى، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته[٢]، أعيد الكلام، هذا طبعًا ابن تيمية رحمه الله تعالى بيننا وبينه تقريبا سبعة قرون، وهو مستقرأ، ابن تيمية رحمه الله تعالى من أكثر أهل العلم استقراء للتاريخ، بل عنده دقة في مثل هذه الأمور، يقول: ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته - وهذا يبين لك أن الخارج يريد إزالة الفساد -، يعني بعض الخارجين يريدون إزالة الفساد، قال: ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته، ابن تيمية يمكن السلطان في ذلك الوقت أعطاه قصرًا أو شيئًا كي يكتب الكلام هذا[٣]، ابن تيمية صاحب الكلام هذا مات مسجونًا في سجن القلعة - للعلم والإحاطة - رحمه الله، ولهذا كان مذهب أهل الحديث ترك الخروج، يقول شيخ الإسلام: مذهب أهل الحديث ترك الخروج بالقتال على الملوك البغاة، والصبر على ظلمهم إلى أن يستريح برّ أو يُستراح من فاجر، ولهذا بعض المعاصرين يحاول أن يشغب؛ بأن هذه المسألة فيها خلاف، ويستدل بكلام ابن حجر أن الخروج كان مذهب للسلف قديم، وهذا على وجه الحقيقة فهم لابن حجر، لأن ابن حجر رحمه الله تعالى فهم من فعل بعض السلف - كالحسين وغيره - فهم أن هذا مذهب، الصحيح أن الخروج ثبتت الأدلة من كلام الله وكلام رسوله صلّى الله عليه وسلّم بعدم جواز الخروج، والأحاديث في هذا ظاهرة بيّنة وواضحة، ما وقع من السلف يُعتذر له ويُحمل على أحسن المحامل، لكن لا ينسب لمذهب السلف، أرى أن نسبته إلى مذهب السلف من الغلط، مذهب السلف لم يختلف وإنما هو مستقر، أما قولهم أنه انعقد الاجتماع بعد ذلك أو كذا؛ الأصل أن هذا هو مذهب السلف، المخالف لمذهب السلف إذا كان من السلف فإنه يُعتذر له، وقع هذا من أئمة كبار لكن

---

(١) صحيح البخاري (٤٣٣٠).

(٢) منهاج السُّنَّة النبويّة (٣/ ٣٩١).

(٣) طبعًا الشارح هنا يذكر ذلك على سبيل التهكم بأصحاب فكر الخروج على الأئمة.

العصمة ليست لأحد، فمن يقرأ قصة فتنة عبد الرحمن بن الأشعث الكِندي؛ وقع أئمة كبار في الخروج على وجه التأويل على الحجاج بن يوسف فخلعوه ثم بعد ذلك خلعوا ولاية عبد الملك بن مروان، وفتنة ابن الأشعث ترتّب عليها أحداثٌ جِسَام وإراقة دماء حتى بعض أهل العلم يسميها فتنة القرّاء، مات فيها طلبة علم ومات فيها علماء، وكل من ساهم في الخروج ندم على الخروج، سعيد بن جبير كان من أئمة التابعين اختفى ونقل عنه أنه كان نادمًا، والشّعبيُّ أظهر هذا وبيّنه، بل بعضهم شارك في البدايات ثم ترك، ومنهم مسلم بن يسار، كان من أئمة السلف، وكان مسلمٌ شارك في البدايات ثم خرج، فتنة عبد الرحمن بن الأشعث، اقرؤوها في البداية والنهاية قصة طويلة جدًا، وكان مسلم بن يسار يحمد الله تعالى قال: أحمد الله أني لم أرمِ بها بسهم ولم أحمل بها سيف، يعني خرج من البدايات ثم انسحب من الفتنة، فقال أبو قلابة الجرمي – كان من فقهاء التابعين – فقال: يا مسلم – وعنده سبحان الله فقه وله أقوال عجيبة؛ هذا التابعي الفقيه – قال: يا مسلم فكيف من أبصرك بالصف؛ فقال: مسلم معنا؛ الحق معنا، لأن الناس يغترون بالكبار، قال: فبكى حتى أشفقنا عليه، بكى مسلم بن يسار، ولهذا قال بعض السلف: كان مسلم بن يسار يُفَضَّل على الحسن البصري – يفضلونه على الناس –، قال: فلما وقعت الفتنة ارتفع الحسن واتضع مسلم، يشارك حتى من الفقهاء رحمهم الله جميعًا لكن الإنسان يستبصر ويعرف، الاستمساك بالنصوص و السّلامة من الفتنة هذا نعمة عظيمة، حتى الناس يقدرون للعالم الإمساك عن الفتنة والموقف، وإلا كيف يعرف الناس العالم والفقيه؟ عند الفتن، وإلا الكلام والسماع وتحسين الألفاظ كلٌّ يحسن هذا، لكن الفقه كل الفقه عند العالِم وقت الفتن، لأن حاجة الناس له عند الفتن، ولهذا الفتنة إذا أقبلت لا يعرفها إلا العلماء، وإذا أدبرت علمها وعرفها كل أحد، هذا هو الشأن.

وقوله للأنصار «اصبروا حتى تلقوني على الحوض»[1]، وليس من السُّنَّة قتال السلطان؛ فإن فيه فساد الدنيا والدين، ويحل قتال الخوارج إذا عرضوا للمسلمين في أموالهم وأنفسهم وأهليهم، وليس له إذا فارقوه أن يطلبهم، ولا يجهز على جريحهم، ولا يأخذ فيْئَهم، ولا يقتل أسيرهم، ولا يتبع مدبرهم.

.....

(١) سبق تخريجه.

طبعًا النصوص التي أوردها البربهاري رحمه الله تعالى ظاهرة، قد تقدم الكلام عليها «اصبروا وإن كان عبدًا حبشيًا»[١] كما قد ذكرنا لكم «اصبروا حتى تلقوني على الحوض»[٢]، ثم قال البربهاري رحمه الله تعالى: ويحلُّ قتال الخوارج، هذه مسألة مهمة، قال: إذا عرضوا للمسلمين، ما معنى عرضوا للمسلمين؟ هذه عادة وسُنَّة عند الخوارج معلومة يسمونها التعريض، والتعريض هو عند الخوارج قطع الطريق لأنهم مجرمون وعصابات، الخوارج أهل إجرام، يكفي أنك تعرف أنهم قاتلوا الصحابة، هذا أعظم إجرام، يقطعون الطريق، هذا من عادتهم، كانت معروفة حتى ذكر هذا ابن كثير رحمه الله تعالى في أن الخوارج يعرضون للناس يقطعون الطريق وهذا من عادة الخوارج، كما فعلوا بالسابق – أنهم قطعوا الطريق – في أول خروجهم، عبد الله بن خباب بن الأرت كان له صحبة قتلوه وقتلوا أم ولده وهي حامل، حتى قيل: إنه قُبض وسُئل وحدثهم بحديث الفتنة لعلهم ينتهون، قال: إني سمعت عن أبي عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم»[٣] إلى آخر الحديث، ومع ذلك قتلوه حتى سال دمه كشراك النعل وحتى بقروا بطن أم ولده الحامل منه، وهذا هو من أسباب أن عليًّا رضي الله عنه بدأ بقتالهم، والغريب في أمرهم أنهم بعدما قتلوا هذا العابد الصالح مروا بحائط – يعني بستان لذميّ يهودي أو نصراني –؛ فتناول أحدهم منه شيء ثمرة فقالوا: ذمّة رسول الله! كيف تأخذ الثمرة بدون إذن! كيف تستحل هذا؟ انقلاب المفاهيم، مستحلين دم الصحابي عبد الله بن خباب وقاتلين زوجته، فإذًا الحاصل أن هذا من عادة الخوارج قطع الطريق، طبعًا ما قرّره البربهاري رحمه الله تعالى واضح إلى أنه يميل هنا إلى عدم تكفير الخوارج، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الأئمة متفقون على ذم الخوارج وعلى تضليلهم؛ وإنما تنازعوا في تكفيرهم، يعني كفر الخوارج فيه نزاع بين الأئمة، أما الذين قالوا بكفرهم– بكفر الخوارج – فاستدلوا بظاهر النصوص، ظاهر النصوص عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم تدل على كفرهم، وأحاديث ذم الخوارج في الصحيحين كما تعرفون، في صحيح مسلم وفي صحيح البخاري، في البخاري ثلاثة وفي مسلم سبعة أحاديث في ذم الخوارج، وأما ظاهر النصوص فيدلك على ذلك قول النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «يمرقون

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) صحيح البخاري (٣٦٠١).

من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة»[1]، والرميّة يعني المكان الغرض الذي ترميه، فإذا دخل السهم وخرج، ولهذا في بعض الروايات «ثم لا يعودون إليه»[2]، هذا صريح في الظاهر بأنهم لا يعودون إلى الإسلام وأنهم يخرجون، ولأنهم يستحلون ما هو معلوم من الدين بالضرورة، فحرمة دم المسلم معلومة من الدين بالضرورة، واستحلالهم له – يعني اعتقاد أنه حلال – وهذا فعل الخوارج، وأهل العلم يكفرون في مسائل الاستحلال بما هو دون هذه المسألة، ما دون قتل المسلم، أليس كذلك؟ لأن أهل العلم ينصّون على أن مستحل الخمر كافر، لأنه مستحل لأمر معلوم من الدين بالضرورة، ينصّون على ذلك في مسائل، ولهذا ممن قال بتكفير الخوارج ابن العربي المالكي – صاحب العواصم من القواصم وأحكام القرآن –، والسبكي من الشافعية، ابن العربي مالكي، والسبكي شافعي، والقرطبي صاحب كتاب المفهم على صحيح مسلم، وهذا القول رواية عن الإمام مالك وهو قول طائفة من أهل الحديث أنهم كفار، ومن المعاصرين سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى، فإنه يرى كفر الخوارج، ومن أهل العلم من لم يقل بكفرهم كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى والنووي رحمه الله تعالى وابن قدامة، وثمّ قول بالتوقف في تكفيرهم، من أهل العلم من يتوقف في تكفيرهم لأجل ما ذكرت لك من جهة النصوص، والحاصل أن البربهاري رحمه الله تعالى إنما قال ما قال: ليس له أن يطلبهم ولا يجهز على جريحهم مراعاة لعدم تكفيرهم، وأما من يرى تكفيرهم فإنه لا يرى مثل هذا.

واعلم أنه لا طاعة لبشر في معصية الله عزّ وجلّ.

.....

طبعًا هذا مرّ معنا أن الطاعة إنما هي في المعروف، وأن الطاعة في المعصية لا تجوز، وكون الإنسان لا يطيع الإمام إذا أمره بمعصية ليس معنى ذلك أن يخرج عليه، بل يصبر ولا يطيعه في هذا الأمر

---

(١) صحيح البخاري (٣٦١١).
(٢) صحيح البخاري (٣٦١١).

ومن كان من أهل الإسلام فلا تشهد له بعمل خير ولا شر، فإنك لا تدري بما يختم له عند الموت، ترجو له رحمة الله وتخاف عليه ذنوبه، لا تدري ما سبق له عند الموت إلى الله من الندم، وما أحدث الله في ذلك الوقت إذا ما تاب على الإسلام، ترجو له الرحمة وتخاف عليه ذنوبه.

.....

قول البربهاري: ومن كان من أهل الإسلام إلى آخر كلامه، وهذه الفقرة في بيان موقف أهل السُّنَّة في التعامل مع أهل الإيمان ومع أهل الإسلام، فإنهم يرجون للمحسن، ويخافون على المسيء، وهكذا يُعبّرون، نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، وهم وسط بين أهل الأمن وأهل الإياس، وسط أهل السُّنَّة، طبعًا أهل الأمن هم المرجئة وأهل الإياس هم الخوارج، وذلك أن أهل الإيمان منهم الأول هو المحسن، والقسم الثاني مسيء، والقسم الثالث من خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، قد جاء بيان ذلك في النصوص، فالمحسن نرجو له الجنة، والمسيء نخاف عليه من النار، لكن لا نُقَنِّطُه من رحمة الله سبحانه وتعالى، فأهل السُّنَّة يُعْمِلُون نصوصَ الوعد ونصوصَ الوعيد، لأن ثمَّ نصوص وعد بالجنة وثمَّ نصوص وعيد، والله عزّ وجلّ جمع بين الأمرين في النصوص ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١)، جمع الله بين سرعة العقاب والمغفرة والرحمة، وهم في هذه المسألة وسط بين المرجئة الذين يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب؛ وبين الخوارج الذين يكفرون الفاسق الملّي – مرتكب الكبيرة –،يرون أنه كافر، بين الأمرين، المرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب وبين الخوارج، وما كانوا وسطًا إلا لمتابعتهم للنصوص، وسطيتهم جاءت من متابعة النصوص وهذه المسألة تجرّنا إلى بحث مسألة مهمة متعلقة بهذا الباب، هي مسألة الخوف والرجاء، متى يكون المسلم خائفًا أو راجيًا، وهل يُغَلِّب الخوفَ أم يغلب الرجاءَ، بحث أهل العلم في كتب متعددة في السلوك فيما يتعلق بأبواب الزهد في هذه المسألة، ولهذا أهل العلم فيها على أقوال:

القول الأول: تغليب جانب الخوف مطلقًا، يكون الإنسان خائفًا على وجه الإطلاق في حياته، قالوا: هذا أفضل لأنه إذا غَلَّب جانب الخوف حصل له الانتهاء عن المحرمات وفعل الواجبات.

القسم الثاني: تغليب جانب الرجاء، هؤلاء نظروا إلى نصوص الوعد، وقالوا: إن الإنسان إذا غَلَّب جانبَ الرجاء اشتد في فعل الصالحات وطلب الخير – هذا مأخذهم –.

(١) الأعراف: ١٦٧.

القول الثالث: أن يسوي بين الخوف والرجاء، يكون خائفًا وراجيًا بنفس الوقت، لا يغلب جانب على جانب، لأن الخوف والرجاء كجناحي الطائر التي لا بد للطائر حين يطير أن يطير بهما، متوازن بين الأمرين.

القول الرابع: التفصيل، بعض أهل العلم قال: كل بحسبه، قال: الإنسان في وقت يغلب جانب؛ وفي وقت يغلب جانب آخر، فيغلب حال الخوف في حال السلامة والعافية، مادام أنه سليم ومعافى ولا يخاف شيئًا وليس بمريض؛ فيغلب جانب الخوف، لأن العافية في الغالب - إلا من رحم الله عزّ وجلّ - تطغي الإنسان، فإذا غلب جانب الخوف فإنه يرتدع عن كثير من المحرمات، قالوا: والرجاء يُغَلَّب حال المرض وحال قرب الموت، قالوا: لأن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه»(١)، ولأن الله تعالى قال - كما جاء في الحديث القدسي:«أنا عند ظن عبدي بي - إن ظن بي خيرًا فله؛ وإن ظن بي شرًا فله»(٢)، قالوا: وهذا هو المنصوص من كلام أصحاب الإمام أحمد، وذكره ابن عبد القوي في منظومته، تغليب جانب الخوف حال الصحة، وأما حال الموت وقرب الاحتضار والمرض - مرض الموت - أنه يُغَلِّبُ جانب الرجاء حتى لا يموت إلا وهو يحسن الظن بربه، لهذا هؤلاء المحتضرين لا بد أن يُحدَّثوا بأحاديث الرجاء، نُقِلَ عن بعض السلف طلبوا أن يُسمعوا أحاديث الرجاء، هذا والله أعلم ما يتعلق بهذه المسألة.

وما من ذنب إلا وللعبد منه توبة.

.....

هذا عنوان جديد، والتوبة من الذنوب مأمور بها، وهي كما قال أهل العلم: وظيفة العمر، أي الوظيفة التي ينبغي للإنسان أن يشتغل بها، يعني العمل الذي يشتغل به كل وقت، يجدد التوبة، وهي واجبة على كل أحد كما قال أهل العلم، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾(٣)، والنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم – وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر - يُحصى له في المجلس الواحد «اللهم اغفر لي

---

(١) صحيح مسلم (٢٨٧٧).
(٢) صحيح. أحمد (٩٠٧٦). الصحيحة (١٦٦٣).
(٣) التحريم: ٨.

وتب عليّ؛ إنك أنت التواب الغفور»[١] أو «إنك أنت التواب الرحيم»[٢]، وجاء عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «وإني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مئة مرة»[٣]، في مجلس واحد يُحصى له استغفار كثير، عليه الصّلاة والسّلام، ولهذا ينبغي للإنسان أن يكون تائبًا ومجددًا للتوبة، وما من ذنب إلا وله توبة، لذلك التوبة أعظم الأسباب لتكفير الذنوب ورفعة الدرجات، كما أن هذه التوبة عامة من كل الذنوب، ليس ذنب إلا والتوبة قاضية عليه كما جاء في حديث صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص قال النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «ألم تعلم أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله»[٤]، فالتوبة تهدم ما كان قبلها من السيئات ولكن بشرطين، ولها شروط، من شروط التوبة: الندم، والعزم ألا يعود إلى الذنب، والإقلاع عن الذنب، وإذا كانت فيما يتعلق بحق مخلوق؛ فلا بد من أدائه والتحلل منه، كما هو مذكور في كلام أهل العلم، لكن وقت التوبة يشترط له قبل أن تبلغ الروح الحلقوم، قال أهل العلم: قبل أن يغرغر، والغرغرة آخر مراحل الحياة، وهذا من رحمة الله أن فتح باب التوبة إلى أن تبلغ الروح الحلقوم، ولهذا رحمة الله سبحانه وتعالى واسعة لأهل الإيمان وأهل الإسلام، وأن تكون قبل طلوع الشمس من مغربها، وكما قال البربهاري رحمه الله تعالى: وهي جائزة من كل ذنب؛ ومن تابَ؛ تابَ اللهُ عليه، وجاء في الحديث الذي رواه بن ماجة وهو حسن بشواهده «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[٥].

ومن تابَ؛ تابَ الله عليه.

والرجم حق، والمسح على الخفين سُنَّة.

.....

المسألة الأولى وهي الرجم حق، ولهذا جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الصحابي المُلْهَم والمحدث كما قال رسول الله: «إن يكن من أمتي محدثون فهو عمر»[٦]، فهو مُلْهَم مُوفق، فإنه قال: (إن الله

---

(١) صحيح. أحمد (٤٧٢٦). الصحيحة (٥٥٦).

(٢) الحديث بهذا التردد المذكور هو في أحمد (٥٣٥٤)، ولكن في إسناده كلام. انظر التعليق على حديث الصحيحة السابق (٥٥٦).

(٣) صحيح مسلم (٢٧٠٢).

(٤) صحيح مسلم (١٢١).

(٥) صحيح. ابن ماجه (٤٢٥٠). انظر التعليق على حديث الضعيفة (٦١٥).

(٦) صحيح البخاري (٣٦٨٩).

بعث محمدا بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل الله عليه آيةَ الرجم، فقرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ورجمنا بعده)، هذا وقع من النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه رجم، رجم ماعزًا الأسلمي والغامدية (فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله! فيضل الناس بترك فريضة أنزلها الله)[1] هذا واقع حتى من كلام المعاصرين - جملة من المعاصرين وقبلهم - من أهل الأهواء؛ ينكرون حدّ الرجم، علامة فارقة، كما ذكرت لك أن البربهاري يُعَنْوِنُ لمسائل حصل فيها الخصومة والمخالفة من أهل الأهواء، ولهذا ما نص على الرجم إلا أنه قد أُنْكِرَ في وقته وقبل البربهاري، منصوص على هذا، فهو نص على هذا في الاعتقاد، مع أنها مسألة فقهية ومع ذلك أُدخلت في مسائل الاعتقاد، لأن المخالف فيها علامة على المخالفة لأهل السُّنَّة، والرجم كما تعرفون هو لمن زنى إذا كان محصنًا،

طبعًا بعض الناس يظن أن الإحصان مربوط بالزواج، وهذا ليس بصحيح، فمن حصل منه الوطء فقد حصل منه الإحصان، بل إذا وقع منه الوطء فهو محصن في الشريعة، بعض الناس يظن أنه إذا لم يكن متزوجًا فإنه لا يعتبر محصنًا، ولهذا البكر هو من لم يقع منه الوطء، وهذا حكمه الجلد كما هو معروف، فإذًا المخالف في هذه المسألة مخالف للسُّنَّة، وممن خالف في حكم الرجم الخوارج، فإنهم أنكروا الرجم، قالوا: لا نجده في كتاب الله، ولهذا قال بعض المفسرين: إن الآية التي ذكرها عمر بن الخطاب أن لفظها نسخ لفظًا وبقي معناها وأحكامها (والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة نكالًا من الله والله عزيز حكيم)[2]، يُتوقف على صحة الإسناد في هذا، هذا مما يعبّر أهل العلم في هذا الموضع، إذًا هذه الآية نسخت أو ما جاء من اللفظ نسخ وبقي المعنى كما قد ذكر لك هذا الخليفة المُلهم رضي الله عنه، ولهذا تجدهم إلى الآن يقولون: أبشع جريمة وأبشع قِتلة! فهم لانقلاب المفاهيم؛ رحموا المجرم وتركوا جريمته - جريمة الزنى - ممن كان محصنًا، لأن الشريعة ما جاءت بتعظيم هذه العقوبة إلا لشناعة الجريمة، تصوّر أن من عرف طريق الحلال ويلجأ إلى ما حرّم الله عزّ وجلّ؛ ولِمَا يترتب على الزنى – أعاذنا الله منه - من ضياع الأنساب؛ وإدخال في القوم من ليس منهم؛ وهتك حرمة الرجل وبخاصة إذا كان هذا واقع من امرأة، وهو كله محرم وكله كبيرة، ولكن تعدي الآثار، - نسأل الله السلامة والعافية -، هتكت ستر زوجها وأسرتها، فهي لا تستحق الرحمة، وما يصيبها

(١) صحيح البخاري (٦٨٢٩).
(٢) صحيح. مصنف ابن أبي شيبة (٢٨٧٧٦). الصحيحة (٢٩١٣).

من العقوبة هو خير لها في الدنيا لأنه تكفير، لأن الحدود كفارات إذا صاحبتها بعد ذلك التوبة، فهي كفارة لها في الدنيا وهي تحت مشيئة الله سبحانه وتعالى في الآخرة.

والمسح على الخفين سُنَّة.

.....

هذا مذهب أهل السُّنَّة، وهي من مسائل الفقه التي أُدخلت في الاعتقاد لأجل أن أهل السُّنَّة تميزوا بها عن الفِرَق المنحرفة، ومن هؤلاء الروافض الذين ينكرون المسح على الخفين، ولهذا أنت تعرف الرافضي- إذا رأيته يتوضأ فإنه لا يمسح على خفيه، ومن شناعة مخالفتهم أنهم لا يمسحون على الخفين ويمسحون على الرجلين! فإنهم يرون أن ضرب الرجل هو المسح وليس الغسل - كما هو مذهب أهل السُّنَّة -، طبعًا المسح على الخفين متواتر ومنقول عن ثمانين صحابيًا كما في استقراء بعض المعاصرين، وأما المسح على الجورب، الخف هو ما يلبسه الإنسان في قدمه من جلد، كي تفرقوا بين الخف والجورب، الخف غير الجورب، أما المسح على الخف فهذا متواتر منقول عن ثمانين صحابيًا، وأما المسح على الجورب فنُقل عن سبعة من الصحابة، ولهذا يقول الإمام أحمد في المسح على الخفين: ليس في نفسي- شيء من المسح على الخفين، فيه أربعون حديثًا عن أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فهو متواتر، المسح على الخفين.

وتقصير الصّلاة في السفر سُنَّة.

.....

تقصير الصلاة هذا من فعل النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، القصر هذه رخصة من الرخص لسماحة الدين الإسلامي، وقصر الصّلاة هذا متفق عليه بين أهل السُّنَّة والجماعة، والسفر أهل العلم اختلفوا في الحد الذي يكون به الترخص برخص السفر، ومن رخص السفر قصر الصلاة، اختلفوا على أقوال متعددة، يطول المقام على ذكرها، بعض أهل العلم يرى أن حدّ السفر الذي يتحقق به الترخص هو في عرفنا وعصرنا هذا ما يقارب ثمانين كيلو متر، له أن يترخص برخص السفر إذا كان السفر ثمانين، ليس معنى ذلك أنه لا يترخص إلا بعد ثمانين كيلو! لأن أهل العلم قالوا: إذا فارق عامِرَ قريته فإنه يترخص، هذا السفر الذي تقصر لأجله

الصلاة، المقصود بالعامِرِ النهاياتُ، فله أن يترخص ولو لم يتجاوز إلا عشرة كيلو، وممن يرى هذا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى، وبعض أهل العلم يرى أن مناط الأمر هو العرف، فما يُعدُّ عند أهل البلد أنه سفر فله أن يترخص فيه، وممن قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، ومن المعاصرين مشهور بفتاواه القول بذلك الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى.

والصوم في السفر؛ من شاء صام ومن شاء أفطر، ولا بأس بالصلاة في السراويل.

.....

والصوم في السفر لمن شاء هذا مما لا خلاف فيه بين أهل السُّنَّة، وإنما الخلاف هو في الأفضلية، ما الأفضل؟ هل هو الصوم أم الإفطار؟ بعض أهل العلم يرى أن الفطر أفضل لأن المشقة في السفر غالبة، وبعض أهل العلم يرى أن الأمر يُناط بحال الشخص، فإذا كان الشخص لا يشق عليه الصيام في السفر فإنه لا يفطر، يعني الأفضل في حقه أن لا يفطر، وبخاصة ان بعض الناس يشق عليه القضاء أعظم من مشقة الصيام في السفر، فالأمر مناط بالمشقة من جهة حال الإنسان، ولهذا الإنسان إذا شق عليه الصيام فالأفضل في حقه الفطر، وإذا كان لا يسبب له مشقة كأن يذهب الإنسان في سفر قصير، ربما بعض الأحيان يذهب الإنسان من الرياض إلى جدة بعد صلاة العصر فلا يبقى إلا ثلاث ساعات وليس فيه مشقة لا نمنع الإنسان، ولكن الكلام في الأفضل، نقول الأفضل في حقك أن تصوم لأنه لا مشقة عليك، أما إذا شق الأمر عليك فالحمد لله هذه رخصة ثابتة.

ثم قال البربهاري: ولابأس بالصلاة بالسراويل، والسراويل هذه جمع لا تفرد وإنما يقصد الواحد منها، هذا كما قال سيبويه، سراويل واحد - مفردة -، وأنكم ذكرت لكم أن البربهاري يتكلم عن عصره، وهو مرآة عصره، وهو يتكلم عن مسائل حصل فيها الخلاف وربما التنطع من بعض الناس، ولهذا نقول السراويل التي يجوز الصّلاة فيها هي السراويل الواسعة الساترة للعورة، أما إذا كانت ضيقة كما هو حال البنطال الآن مظهرة لحجم العورة؛ فالصلاة فيها مكروهة، وربما أبطلت الصلاة، وتبطل الصلاة إذا لم يتمكن من أداء الأركان، هذا قد يقع من النساء ومن الرجال، لا يستطيع الجلوس أو السجود على الأعضاء

السبعة بسبب هذا ا لبنطال، أو لا يستطيع الجلوس على القدمين، فعند ذلك تبطل الصلاة إذا كانت بهذا الحجم.

والنفاق أن يظهر الإسلام باللسان ويخفي الكفر بالضمير.

.....

هذا الذي ذكره البربهاري فيما يتعلق بالنفاق، وهذا هو النفاق الاعتقادي وأصحابه في الدرك الأسفل من النار – أعاذنا الله وإياكم من النار –، والنفاق العملي، ثمَّ نفاق اعتقادي ونفاق عملي، أو نفاق أكبر ونفاق أصغر، فالنفاق الاعتقادي هو ما ذكره لك البربهاري رحمه الله تعالى أن يظهر الإسلام ويبطن الكفر، ولهذا هذا هو المراد بالنفاق الاعتقادي، وثمّ في النصوص نفاق وهو ليس بنفاق اعتقادي ويسميه أهل العلم نفاق عملي أو نفاق أصغر، وهذا لا يخرج من الملة بعكس النفاق الأول فإنه مُخرج من الملة، ولهذا جاء في الحديث «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كان فيه خصلة منهن؛ كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[1]، فهذه من خصال النفاق العملي، النفاق الأصغر، وهي خطيرة ومن الكبائر، وربما أدت إلى النفاق الاعتقادي إذا استحكمت في الإنسان – نسأل الله السلامة والعافية –.

واعلم بأن الدنيا دار إيمان وإسلام، وأمة محمد صلّى الله عليه وسلّم فيها مؤمنون مسلمون في أحكامهم ومواريثهم وذبائحهم والصلاة عليهم.

.....

واعلم أن الدنيا دار إيمان وإسلام، وقد قدمت لك قبل أن البربهاري مرآة عصره، كل هذه المسائل عايشها البربهاري، ولهذا المسائل التي عايشها البربهاري تجد أنها تتكرر وتحدث، لهذا هذا العنوان وضعه المؤلف للرد على طائفة من المعتزلة، يعني أن الدنيا فيها دار إيمان ودار إسلام، لهذا قال أبو بكر الإسماعيلي في اعتقاد أهل السُّنَّة: ويرون أن الدار دار إسلام، يعني أن الدار في الدنيا دار إسلام لا دار كفر، يعني إذًا بُحثت

---

(١) صحيح البخاري (٣٤).

هذه المسألة، مسألة دور الإسلام لا دور الكفر، قال: كما رأته المعتزلة – هذا أبو بكر الإسماعيلي – يقول: يرون أن الدار دار إسلام لا دار كفر كما رأته المعتزلة، هذا والله أعلم مبني على مذهبهم في مسألة الفاسق الملّي، قال: ما دام النداء بالصلاة والإقامة بها ظاهرين، وأهلها مُمكنين – يعني أهل الصلاة ممكنين –، هكذا قال أبو بكر الإسماعيلي، ولهذا يشبه قول المعتزلة المنسوب لطائفة من المعتزلة من يقول بجاهلية هذا الزمان، سبحان الله لكل قوم وارث، كل هذه المذاهب الباطلة تجد من يتأثر بها ويعيد بعثها في الناس، ولهذا تكلم الناس؛ ما هي الدار التي تكون دار الإسلام؟ أين دار الإسلام؟ هل الدول الآن القائمة؛ هل الدار الآن دار الإسلام؟ لأن بعض الناس يشكك في مثل هذا، فيورث شبهات، لهذا الضابط في عدّ بقعة من البقع أنها دار إسلام؛ ما هو الضابط؟ يقول: كل بقعة تكون تحت سيطرة أهل الإسلام؛ والمسلمون هم أهل الشوكة فيها؛ وشَعائرهم ظاهرة دون نكير فهي دار إسلام، أعيد: كل بقعة تكون السيطرة فيها لأهل الإسلام وهم أهل الشوكة فيها – يعني أهل القوة، الشوكة القوة – وشعائرهم ظاهرة، مثل الصلاة وصلاة العيدين، والأذان والإقامة كل سائر الشعائر دون نكير، ما أحد ببلاد المسلمين بحمد الله ينكر هذه الشعائر، فهي دار إسلام، ولا يُراد بدار الإسلام أن تكون خالية من الكبائر والمعاصي والظلم، قد يُوجد في دار الإسلام كبائر ومعاصي مثل شرب الخمور والزنى، أشياء كثيرة جدًا توجد فيها، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وكون الأرض دار كفر أو دار إيمان أو دار الفاسقين ليست صفة لازمة لها، بل هي صفة عارضة بحسب سكانها، يعني إذا كان سكان الأرض هذه أهل الإسلام فهي دار إسلام، لهذا الغرب عندهم إحصائيات في عام ألفين وخمسين – بالميلادي – أن في أوربا ستكون الكثرة فيها للإسلام والمسلمين، لهذا هم يحاولون الآن وضع عوائق لكثرة أهل الإسلام، فقد تتحول بلد من البلدان بعدما كانت دار كفر إلى دار إسلام لكثرة أهل الإسلام فيها وشيوع الخير فيها وظهور الخير من دون نكير، تكون دار إسلام ويكون أهل الكفر ليس لهم شوكة ولا يستطيعون أن يفعلوا شيء، ولهذا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى يقول: دار الإسلام هي التي تُقام فيها شعائر الإسلام؛ بقطع النظر عن حُكَّامِها، هذا الضابط يزيل كثير مما يشتبه عليك في هذا الزمان مما يُشَبِّه به بعض الناس، قد يكون في الحكام فسوق، فالكلام أن الدار دار إسلام حتى لا يقال يترتب بعد ذلك الأحكام الشرعية، لأنه إذا كانت دار كفر لا بد أن يترتب عليها من وجوب الهجرة وما يتبع ذلك من أحكام مبسوطة في كلام الفقهاء رحمهم الله.

والصّلاة عليهم، ولا نشهد لأحد بحقيقة الإيمان حتى يأتي بجميع شرائع الإسلام، فإن قصر في شيء من ذلك كان ناقص الإيمان حتى يتوب، واعلم أن إيمانه إلى الله تعالى تام الإيمان أو ناقص الإيمان إلا ما ظهر لك من تضييع شرائع الإسلام

.....

تحت عنوان وأمّة محمد صلّى الله عليه وسلّم فيهم مؤمنون في أحكامهم؛ قاعدة مهمة، وهي معاملة الناس بالظاهر وهو اعتقاد أهل السُّنَّة، كما قد بيّن لك البربهاري رحمه الله تعالى، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: من أظهر التوحيد والإسلام وجبّ الكف عنه، ولأن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»(١)، قول النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم «وحسابهم على الله» هو موضع الشاهد والاستدلال، يعني أن نعاملهم بما يُظهرون، ولهذا النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنكر على خالد لما قتل ذلك الرجل قال: «أقتلته؛ وقد قال: لا إله إلا الله»، لهذا قال خالد: إنما قال ذلك متعوذًا(٢)، ومع ذلك النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنكر عليه، معاملة الناس بالظاهر هذا هو اعتقاد أهل السُّنَّة، لهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: والإيمان الذي عُلّقت به أحكام الدنيا هو الإيمان الظاهر وهو الإسلام، يعني إظهار الشرائع، لأن الإيمان الظاهر هو الذي تجرى عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان في الباطن، لا يستلزم، النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عامل أهل النفاق معاملة أهل الإسلام في جريان الأحكام، والله عزّ وجلّ قال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾(٣)، ووصفهم في القرآن ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾(٤)، مع ذلك أمر بالحذر منهم ومع ذلك أمر بأن يعاملوا معاملة أهل الإسلام في سائر الأحكام، ولهذا النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أجرى الأحكام العامة

---

(١) صحيح البخاري (٢٥).

(٢) قصة القتل هذه هي في حق أسامة بن زيد كما في صحيح البخاري (٤٢٦٩)، وأما قصة خالد ففيه الاستئذان بالقتل كما في صحيح البخاري أيضًا (٤٣٥١) رضي الله عنهما.

(٣) محمد: ٣٠.

(٤) المنافقون: ٤.

عليهم في الموارثة والذبائح والصّلاة عليهم، ولهذا ألفت نظرك أن بعض الناس ربما يخلط في مثل هذه الأمور ويشكك الناس، أو يصيبه شيء من الوسواس فيلبسه لباس الغيرة على التوحيد والدين، وأنا أعني ما أقول، بعض الناس يصير عندهم وسواس في مسائل التوحيد وعنده غيرة فيلبس هذا الوسواس الشيطاني لباس الغيرة على التوحيد والسُّنَّة فيزعم أنه لا يجوز للإنسان أن يأكل من الذبائح إلا ما ذبحه بيده، فانتبه لمثل هذا، لأن هذا يكون وسواس شيطاني ويُلْبَس لباس الغيرة على التوحيد والكلام ثم يدخل التشكيك الناس يعاملون بالظاهر، وعلى هذا فتوى أهل العلم بحمد الله من المتقدمين ومن المتأخرين، الناس يعاملون بالظاهر وجريان الأحكام عليهم إلا ما علمنا أنه مخالف لذلك، أما الوسوسة الشيطانية هذا لا مجال له، وأنا سمعت هذا من بعض الناس – وهم فئة قليلة – يشكك في مثل هذه الأمور، فلا يأكل إلا ما ذبحه بيده، فهذه من الوساوس الشيطانية، ويزعم أن هذا من الورع، وهذا ليس بصحيح، فانتبه لمثل هذه الملاحظ وهذه النقاط المهمة.

مما يجرّنا للكلام في هذه المسألة؛ مسألة الإيمان المطلق ومطلق الإيمان، هذه عبّر بها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الواسطية، يقول شيخ الإسلام عن أهل السُّنَّة: ولا يسلبون الفاسق الملّي اسم الإيمان بالكلية، الفاسق الملّي مصطلح، يعني مرتكب الكبيرة، يسمونه باصطلاح أهل العلم الفاسق الملّي، ولهذا تجد في بعض الكتب النص على هذه المسألة، وهي أول مسألة اختلف فيها أهل القبلة مسألة الفاسق الملّي – مسألة حكم مرتكب الكبيرة – ، قال: ولا يسلبون الفاسق الملّي اسم الإيمان بالكلية ولا يخلدون بالنار، كما تقول المعتزلة والخوارج عن مرتكب الكبيرة أنه خالد مخلد في النار، خروج الخوارج – كلهم خوارج – الخوارج خرجوا عمليًا واعتقاديًا، وهؤلاء خرجوا اعتقاديًا، ومذهبهم حقيقة يحتاج إلى بحث ونظر في أسباب هذا المذهب الخبيث، وهو مذهب المعتزلة لأنه في الحقيقة متناقض، كما تقول المعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق، اذًا إيمان الفاسق الملّي لا يدخل في الإيمان المطلق يعني الإيمان الكامل، وإنما يدخل في مطلق الإيمان، يعني في أصل الإيمان وأقل درجات الإيمان، هذا فيما يتعلق بكلام البربهاري في هذه المسألة، ونقف عند هذا الموضع لنكمل إن شاء في المجلس القادم، ونبدأ بقراءة الأسئلة والجواب عليه.

– بماذا يُردُّ على فعل الحسين وعبد الله بن الزبير؟

تحقيق مسائل التاريخ يحتاج إلى نظر واعتبار، وقلت لك: العبرة بالنصوص لا العبرة بأفعال المكلفين، اختلف أهل العلم في حجية قول الصحابي، فما بالك بفعله! هذا الكلام إذا لم يعارض النص، أما إذا عارض النص فلا قول لأحد في معارضة النصوص، ومع ذلك أفعال الصحابة تحمل على أحسن المحامل - رضي الله عن الحسين -، وقد قدمت لك بمقدمة مفيدة أنك لا نستطيع أن تحكم على الأشياء إلا بمعايشة العصر، فأنت كي تحكم على الأحداث وتتصور تصورًا كاملًا لما فعله الحسين وعبد الله بن الزبير لا بد أن تعيش العصر الذي عاش فيه الحسين وعاش فيه عبد الله بن الزبير، فعبد الله بن الزبير فيه كلام كثير، أما الحسين في مسألة أنه خرج هذا لا خلاف فيه، أنه خرج لأمور ولأشياء مبحوثة في التاريخ، أما مسألة عبد بن الزبير فبعض المؤرخين يقولون أن الأمر استتب لعبد الله بن الزبير، وأن عبد الله بن الزبير ما خرج على عبد الملك بن مروان، إلى غير ذلك، ولن نطيل في بحث هذه المسائل، لكن أنا قلت: تحمل على أحسن المحامل، والصحابة نهوا الحسين عن الخروج إلى العراق، وهو اجتهد رحمه الله ورضي الله عنه، اجتهد اجتهادًا هو مأجور عليه، وأفعاله تحمل على أحسن المحامل، ونظن به خيرًا؛ أنه ما خرج لطلب الملك، وإنما خرج غيرة، وخرج يريد المصلحة، وخروجه كان له أمور كثيرة ونهاه ابن عباس عن الذهاب إلى العراق، هو ظن عن اجتهاد أن الأمر مستتب له بالعراق، وأنه قد بويع إلى غير ذلك من الأمور التي لا تستطيع أن تُلِمَّ بها إلا إذا عاصرت هذه المرحلة.

- هذا يقول: قيل إن طرق ثبوت الإمامة بخلاف التغلب تؤول كلها إلى نظر الناس وإقرارهم بذلك كما جاء في فعل عبد الرحمن في ولاية عثمان.

قلت لك: باب الإمامة باب تعْظُمُ فيه الأهواءُ، كثير من الناس يحاول أن يتعسف في كثير من النصوص وكثير من القضايا ليوافق ما يعتقده من الهوى والباطل، لهذا أقوال الناس لا حدّ لها، بعض الناس الآن يقول: ما حدث في سقيفة بني ساعدة؛ إنما هو برلمان! يعني يتطاولون، وأن هذه ديمقراطية، وأنها أول ديمقراطية حدثت، لا تنظر إليه ولكن أنظر إلى كلام أهل العلم ولا تبال، هذا تعسف أنه برضى الناس! الأئمة صرّحوا قالوا بالغلبة، يعني غالبهم وقهر (جملة غير مفهومة)، ما لهم رضا، استتب له الأمر، يأتي شخص يقول: رضا الناس! ثم حتى الديمقراطية ما فيها رضا، من قال لك إن الديمقراطية رضا،

الديمقراطية ما هي؟ انتخاب، والانتخاب تَغَلُّب ولكن ليس بسيفه ولكن بالأصوات، (جملة غير واضحة)، ومع ذلك يصير هذا رئيس منتخب وهذا، كل هذا من الكلام الذي لا قيمة له.

- ما الكلام في مسألة الإيمان شرط كمال؟

أنا أنصح الشباب أن لا يدخلوا في تفاصيل هذه المسائل، وأن يعتصموا بالجمل من قواعد أهل السُّنَّة، لأن هذه تعْظُمُ فيها الفتنةُ والكلامُ، كثير من الناس يتكلم في هذه المسائل وهو أصلًا لا يفهمها، لا يعرف معنى الشرط ولا غيره، فأنا أنصح الشباب أن يتلقوا العلم ويتركوا عنهم بحث مثل هذه المسائل.

- ما حكم الاستثناء في الإيمان لمن يقول: أنا مؤمن ويزكي نفسه؟

قلنا: إذا كان على وجه التزكية فالله عزّ وجلّ نهى عن تزكية النفس ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾(١).

- يقول بعض من يحارب الدعوة السلفية يقولون بأن الشيخ محمد بن الوهاب خرج على الخلافة العثمانية، كيف الرد عليهم؟

قلت لك ما قد قدمته لك سابقًا، مَنْ عايش العصر هو الذي يعرف أن يجيب عن مثل هذه الأمور، ومحمد بن عبد الوهاب وغير ذلك كتب جملة من أهل العلم من المؤرخين وغيرهم بيانًا في هذه المسألة وثمَّ أقوال كثيرة، لا تستدل بأفعال الناس ولا أقوال الناس أنظر إلى النصوص.

- الكلام في كرامات الأولياء وهل يمكن للولي أن يعلم بعض الأمور الغائبة عنه.

كرامات الأولياء ثابتة لكن مسألة الأمور الغائبة؛ لا أعرف في مثل هذا شيء، لكن كرامة الأولياء ثابتة، لكن ليس كل شيء خارق للعادة يكون كرامة، قد يكون حالًا شيطانيًا، ولهذا السلف رحمهم الله ومنهم الشافعي رحمه الله تعالى لمّا قيل له لما جاء مصر قيل له: إن الليث بن سعد يقول: لا تغتروا في الرجل ولو رأيتموه يمشي على الماء حتى تنظروه عند الأمر والنهي - أي عند النصوص -، فقال الشافعي: قصَّر الليث رحمه الله تعالى: لا تغتروا به ولو مشى على الماء أو طار في الهواء حتى تنظروه عند الكتاب والسُّنَّة.

- ما حكم إثبات الولاية بالتصويت والانتخاب، وما حكم من لم يرَ انتخاب من قدّم نفسه للولاية؟

أنا قلت لك: إذا كان هذا طريق للإمامة وحصلت به الإمامة وجبت طاعته وحرُم الخروج عليه، وهم من جملة المتغلبين.

---

(١) النجم: ٣٢.

- يقول: أحسن الله إليكم، من أدلة من كفر الخارج والمستحل لدماء المسلمين.

أي مسألة هذه، استحلال لهذا الأمر العظيم، أنا ذكرت مأخذ أهل العلم، أما النصوص فظاهرة في تكفيرهم.

- هل يعني نتمكن من إكمال الكتاب؟

إن شاء الله سوف نتمكن، إن شاء الله سنتمكن من إكمال الكتاب إن شاء الله، لأن المسائل بعضها سنمرّ عليها مرورًا لكن المسائل المهمة نقف عندها لأنها تحتاج بيان.

- هل من إعادة للكلام في مسألة الاستثناء؟

إن شاء الله نعيدها.

- هل معاوية خرج على عليّ رضي الله عنهم؟

قلت لكم: اتركوا هذه المسائل التي لا يترتب عليها كثير فائدة، قلت لكم: الصحابة نحمل أفعالهم وأقوالهم على أحسن المحامل، ولهذا من أصول أهل السُّنَّة الكفُّ عما شجر بين الصحابة، لأجل ذلك، لماذا؟ كفّ عما شجر بينهم، ما حصل بين الصحابة من خلاف كف عنهم، (جملة غير واضحة)، اتركوها، هذا أصل، إذا بحثت هذه المسائل خذ منها الجمل، يعني القواعد والأساسات والأحداث فقط، واحمل كلامهم وأقوالهم على أحسن المحامل، لأنك إذا بحثت هذه المسائل وبدأت تدخل في التفاصيل؛ كل مسألة رواية تاريخية، تحتاج تُحقق، هذه الرواية ثبتت أو ما ثبتت، لا تخرج بشيء، وربما رواية تاريخية في سندها تالف يوقع في قلبك شيء على أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم مثل عليّ أو معاوية، كرواية كَذَبَهَا شيعيٌّ مثلًا في موقف عليّ من عائشة رضي الله عنها أو موقف معاوية من عليّ رضي الله عنه، فكفّ عنها.

- يسأل عن المظاهرات والاعتصامات وما يتبع ذلك.

أهل العلم المعاصرين ذكروا أن من صور الخروج الاعتصامات والمظاهرات وما يتبع ذلك، هذه مبادئ الخروج،.

- كيف أجيب من يقول: كيف أعرف أن كتاب البخاري كله صحيح؟

ليس بلازم أن تعرف أنه صحيح، الأصل أن تسكت عن مثل هذه المسائل وتقلّد من هو أعلم منك، أئمة الحديث هم من أثنوا على صحيح البخاري ورووا تقديمه.

- الدول التي لا تطبق الشريعة.

ذكرت لكم قول الشيخ ابن عثيمين هل تعد دولة إسلامية، قال: الدول الإسلامية أو دار الإسلام تُعدّ بسكانها لا بحُكَّامِها، إذا كان الإسلام والشوكة ظاهرة.

- من يرى تكفير تارك الصلاة هل يجوز أن ينزل عليه الحكم؟

مسألة التكفير للأعيان لا بد من تحقق الشروط وانتفاء الموانع، التكفير عند الأئمة بالإطلاق والعموم لا بالتقييد والتعيين، هذا هو التكفير عند السلف، يعني إذا تكلموا عن حكم التكفير فإنهم يوردون الإطلاق، أما عند التخصيص والتعيين لا بد من تحقق الشروط في ذلك الشخص وانتفاء الموانع حتى يحكم عليه بالكفر، ويتولى ذلك من له مصلحة في الحكم، وهو القاضي والإمام الذي له قدرة على تطبيق شرع الله عزّ وجلّ على هذا الذي وقع منه هذا الكفر.

- أين يوجد كلام شيخ الإسلام: لا يكاد يُعرف طائفة خرجت.

هذا موجود في مجموع الفتاوى[1].

- يقول شيخ الإسلام نقل اتفاق الصحابة على عدم كفر الخوارج.

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هو رأيه وليس ثمّ اتفاق.

- نقل عن عليّ رضي الله عنه، رواية (من الكفر فرّوا)[2] هذه لا تصح عنه رضي الله عنه.

- ألا نستطيع أن نقول في هذا الزمان ثبتت فيه الإمامة بالانتخاب ننظر المصلحة.

قلت لكن: إن الانتخاب نوع من أنواع التغلب.

- هل من تزوج ولكنه لم يطأ هل يعتبر أنه قد حصل منه الإحصان.

لا، ذكرت لك عبارة الفقهاء الذي حصل منه الوطء.

- الخلاف الذي حُكي فيه تغليب الخوف والرجاء ما الفرق بينه وبين خلافنا مع المرجئة والخوارج؟

فرق، الكلام أن الإنسان لا بد أن يكون بين الخوف والرجاء، لكن أيهما يغلب؟ لكن هؤلاء غلبوا على وجه الإطلاق الخوف، وهم الخوارج، والطائفة الأخرى غلبت جانب الرجاء.

---

(١) لم أعثر عليه بلفظه هناك، وإنما سبق أنه في منهاج السنة النبوية (٣/ ٣٩١).

(٢) مصنف عبد الرزاق (١٨٦٥٦).

- يقول: الشيعة تدعي المهدي المنتظر.

هم ليسوا أهل إسناد، فإنهم يعمدون إلى الأسانيد التي عند أهل السُّنَّة فينزلونه على من يعتقدونه، أصلًا دين الروافض قائم على الكذب، هم يكذبون، وهم كما ذكر بعض أهل التاريخ أن الحسن العسكري لا يولد له هو عقيم، وهم يعتقدون أن الإمامة موروثة، فانتحلوا له ولد وأنهم في سرداب سامراء، وهو أقرب ما يكون إلى جحر فأر يعتقدون أنه اختفى فيه هذا المهدي المنتظر.

- يقول البعض أن طاعة ولي الأمر وتحريم الخروج عليه ليس من أصول أهل السُّنَّة وإنما أُدخل لمخالفة الخوارج في ذلك كمسألة المسح على الخفين، فلا يبدّع من خالف فيه، وإلا لزم بتبديع كل من خالف في مسألة فقهية، فهل هذا القول صحيح؟

هذا القول باطل، السلف رحمهم الله ذكروا أن هذا أصل، الإمام أحمد وجمع من الأئمة تكلموا في رواية الحسن بن صالح بن حي المصري وتركوا روايته لأنه يرى السيف وبدّعوه، يقول هذه مسألة فقهية! قد تكون المسألة يخالف في كلام الفقهاء المتأخرين، هذا ليس بحجة، ففي كلام الفقهاء المتأخرين ما يعارض العقيدة هل يكون حجة كفقهاء المالكية والشافعية؟ الحجة في كلام الأئمة المتقدمين الذين استقرت بأقوالهم السُّنَّة.

- ما معنى التنزيه؟

تنزيه الله تعالى عن ما لا يليق بجلاله سبحانه وتعالى، ونفي الصفات الناقصة عنه سبحانه وتعالى.

- هل يقصد بتأخير الصلاة عن وقتها الذي أخبر الرسول صلّى الله عليه وسلّم من أول وقتها أو إلى أن يخرج وقتها؟

نظن أنه يقصد رواية «يميتون الصلاة»[1]، إماتة الصلاة لا تكون إلا بتأخيرها عن خروج وقتها، لهذا بيّن شيخ الإسلام أن الأئمة الذين يميتون الصلاة يخرجونها عن وقتها، وهذا حجة لمن من قال بأن تارك الصلاة لا يكفر إلا بتركها بالكلية، ومن هم من المعاصرين ابن عثيمين رحمه الله تعالى، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى قال: الإماتة هنا إخراجها عن وقتها.

---

(١) سبق تخريجه.

- هل يرى الإمام البربهاري بأن من خالف في بعض المسائل كتقصير الصلاة في السفر أنه يخرج عن السُّنَّة؟

الذي أعرفه أنه ذكر هذه المسائل وهو ليس وحده من ذكر هذه المسائل، ولكنه يذكر العلامات التي تفرّق بين السُّنّي والبدعي، ما نص على أن المخالف فيها أنه مخالف للسُّنَّة وأنه يُبدّع.

- إذا كان المرء يقول: أنا مؤمن وهو يعتقد كمال الإيمان؟

هذا لا يصلح، يعتقد أنه كامل الإيمان! لا يعرف هل أدى كل الواجبات وانتهى عن كل المحرمات.

- هل من يرى كفر الخوارج يحكم على أعيانهم؟

كما قلت: الكلام العام ليس كالكلام الخاص، أن الخوارج الذين يقولون بكفرهم يعاملون بالظاهر – على أحكام الظاهر –، لكن على التعيين من هذا؛ هذا يحتاج لتحقق الشروط وانتفاء الموانع، لأنه قد يكون معهم وهو قام به قائم من القوائم التي لا يُكفّر لأجلها، لكن إذا قلنا بكفرهم فإنّا نعاملهم معاملة ما ورد عن السلف، أما قتالهم فبالاتفاق لا شك أنهم يقاتلون، وإبادتهم مما نص عليه النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال: «لأن أدركتهم لأقتلنّهم قتل عاد»[1] يعني إبادة، لأن هذه العقيدة لا يصلح معها الحوار، لا يصلح معها إلا الإفناء، الذهاب والقطع، هؤلاء لا يصلح معهم الحوار ولا المناقشة، هؤلاء والعياذ بالله، طبعًا بالنسبة لهذه الأمور الذي يستفسر بالواقع والأحداث يعرف من هم هؤلاء.

- الترجيح في مسألة الخوف والرجاء.

ذكرت لك أن الإنسان يغلب في حال الصحة جانب الخوف، ويرجو، وإذا نزل به الموت فإنه يغلب جانب الرجاء.

هذا والله أعلم، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد.

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه، وصلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلّم تسليمًا كثيرا، أما بعد

هذا الذي في المجلس الرابع من مجالس شرح السُّنَّة للبربهاري، ونواصل إن شاء الله قراءة العناوين، نسأل الله أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يوفقنا إلى السُّنَّة وأن يثبتنا عليها وأن يتوفانا عليها غير

(١) صحيح البخاري (٣٣٤٤).

مُحدثين ولا مغيرين ولا مبدلين بمنّه وفضله وجوده وإحسانه وهو السميع العليم.

العنوان عندي رقم ثمانية وأربعين، والصّلاة على من مات من أهل القبلة سُنَّة، المرجوم والزاني والزانية والذي يقتل نفسه وغيره من أهل القبلة والسكران وغيرهم؛ الصّلاة عليهم سُنَّة.

هذا يجرّنا إلى مسألة مهمة جدًا يمكن أن نقسمها إلى أربعة أقسام في الصّلاة على من مات من أهل القبلة، والمراد بأهل القبلة هم أهل الإسلام، هذا مصطلح عند أهل العلم، المراد بأهل القبلة أهل الإسلام وإن وقعوا في الفسق والبدعة، وإن وقعوا في الكبائر فهم لا يخرجون عن دائرة أهل القبلة، والمراد بأهل القبلة أهل الإسلام، وهم من استقبل قبلة المسلمين وهي الكعبة، الصّلاة على من مات من أهل القبلة يمكن أن نقسمها إلى أربعة أقسام:

أما الصّلاة على أهل الإيمان فهي قُربة وحق ومن حق المسلم على المسلم، هذا القسم الأول.

أما القسم الثاني: فالصّلاة على المسلم العاصي الذي يقع منه العصيان، فهذا يُصلّى عليه ولا يُشرع التخلّف عن الصّلاة عليه إذا كان غير داعية لهذا الفجور.

القسم الثالث: الصّلاة على أهل الكبائر، وهم من ذكرهم البربهاري رحمه الله تعالى، ومَثَّل لأولئك بالمرجوم والزاني والمحدود والزانية والذي يقتل نفسه؛ فهذا يصلى عليه، ويصلي عليه أهلُ الإسلام، وإنما يترك الصّلاة عليه أهلُ الأمر والإشارةِ والأعيانُ والكبراءُ وأهلُ العلم كأمراء القبائل والعلماء وطلبة العلم، فهؤلاء يتركون الصّلاة عليه على وجه التّعزير؛ وحتى يترك الناس مثل هذه الأفعال.

القسم الرابع ممن يُصلى عليهم: الصّلاة على أهل النفاق ممن لم يتبيّن لنا نفاقه، فهؤلاء يُصلى عليهم، وإنما تُترك الصّلاة على من تبيّن لنا منه النفاق، من تبيّن لك أنه منافق، والنفاق أمر باطني ولكن قد تظهر علامات النفاق الكبرى على الإنسان، فهؤلاء لا يجوز الصّلاة عليهم.

ثم قال البربهاري: ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله عزّ وجلّ أو يرد شيئًا من آثار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أو يذبح لغير الله أو يصلي لغير الله، وإذا فعل شيئًا من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام، وإذا لم يفعل شيئًا من ذلك فهو مؤمن مسلم بالاسم لا بالحقيقة، ما ذكره البربهاري رحمه الله تعالى كما سمعت من كلامه جملة من نواقض الإسلام التي إذا ارتكبها الإنسان فإنه يخرج من الدين، ومما مثَّل له البربهاري الردُّ بالآية أو الحديث، المراد بالرد هنا ما يكون الردُّ فيه على سبيل

الجحود والإنكار، يرد الآية على سبيل الإنكار والجحود لا على وجه التأويل، إذا كان على وجه التأويل فإنه لا يخرج من الملة، فَرْقٌ بين الردّ على وجه التأويل وبين الردّ على وجه الجحود، لأنه قد يتأول في آية أو في حديث، أما إذا أنكرها فقال: هذه ليست من كتاب الله أو قال: أنا أردُّ هذا الحديث ولا أقبل كلام الرسول في هذا الموضع، أو إلى غير ذلك من صور الجحود والإنكار، أو يذبح لغير الله، هذه من جملة النواقض، من ذبح لغير الله، فالذبح عبادة وصرف شيء من العبادة لغير الله كفر أكبر، أو يصلي لغير الله أو يسجد لغير الله أو يركع لغير الله، فهذه أمور مُكفرات معروفة عند أهل العلم، يذكرها الفقهاء رحمهم الله تعالى في كتبهم في كتاب يسمى كتاب الردة، وهي المسائل التي إذا وقع فيها الإنسان يكون مرتدًا، كل فقهاء الحنابلة وحتى فقهاء الحنفية ذكروا أشياء إذا قالها أو فعلها الإنسان فإنه يكفر؛ حتى توسعوا في التكفير حتى في مسائل الألفاظ، مَنْ قال: مُصيحف على وجه التحقير أو مُسيجد على وجه التحقير؛ فإنهم يكفرونه، فالحاصل أن هذه المسائل داخلة في كتاب الردّة.

ثم قال رحمه الله تعالى:

كل ما سمعته من الآثار ما لم يبلغه عقلك نحو قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن عزّ وجلّ»(١)، وقوله «إن الله تبارك وتعالى ينزل إلى سماء الدنيا»(٢)، «وينزل يوم عرفة»(٣)، «وينزل يوم القيامة»(٤)، و«جهنم لا يزال يطرح فيها حتى يضع عليها قدمه»(٥) جل ثناؤه، وقول الله تعالى للعبد «إن مشيت إليّ هرولت إليك»(٦)، وقوله «إن الله تبارك وتعالى ينزل يوم عرفة»، وقوله «خلق الله آدم على صورته»(٧)، وقول النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم «رأيت ربي في أحسن صورة»(٨)، وأشباه هذه

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٥٤).
(٢) صحيح البخاري (١١٤٥).
(٣) حسن. الطبراني في الكبير (١٢/ ٤٢٥) من حديث ابن عمر. صحيح الجامع (١٣٥٩).
(٤) صحيح البخاري (٤٩٣٥).
(٥) صحيح البخاري (٤٨٥٠).
(٦) صحيح البخاري (٧٤٠٥) بنحوه.
(٧) صحيح البخاري (٦٢٢٧).
(٨) حسن. الترمذي (٣٢٣٤). صحيح وضعيف الترمذي (٣٢٣٤).

الأحاديث؛ فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض، لا تفسر شيئًا من هذه بهواك، فإن الإيمان بهذا واجب، فمن فسر شيئًا من هذا بهواه أو ردّه هذا فهو جهميّ.

.....

هذا العنوان تحته مسائل مهمة جدًا.

المسألة الأولى: كل هذه الأحاديث التي ذكرها البربهاري تمرُّ كما جاءت بغير كيف ولا تمثيل مع القطع بأن الله سبحانه وتعالى لا مثيل له، لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته، ويؤمن الإنسان بآثار تلك الأخبار، الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم ما أخبرنا بهذه الأسماء والصفات التي يتصف بها إلا ولها آثار، ليست ألفاظًا مجردة عن المعاني – كما يقول المفوضة –، وإنما لها آثار، على سبيل المثال حديث «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن تعالى»[١] هذا يفيدك الخوف من تقليب الله عزّ وجلّ للقلوب وعظيم قدرة الرب سبحانه وتعالى، لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الله تعالى يقلبها كيف يشاء، أما حديث أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا[٢] فهذا يفيدك من المعاني والآثار قُربُه سبحانه وتعالى من عباده في ذاك الوقت، وإذا كان سبحانه قريب في ذاك الوقت فلا شك أن رحمته قريبة من خلقه في ذاك الوقت، وإجابته للدعاء أحرى كما ورد في الحديث «فيقول من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فاغفر له»[٣]، فهذا يفيدك فائدة عظيمة، كذلك حديث نزول الله تعالى يوم عرفة[٤] داخل في هذا السياق، وجهنم لا يزال يطرح فيها حتى يضع عليها قدمه قدمه جل ثناؤه[٥]، هذا يفيدك – مع إثبات صفة القدم لله تعالى كما أثبتها السلف الصالح رحمهم الله – كذلك يُفيدك في تحقق وعد الله تعالى، والخوف منه سبحانه وتعالى، وأن النار عليه سبحانه وتعالى امتلاؤها، وأنه لا بد لها أن تمتلئ، وأن هذا الامتلاء لا يكون حتى يضع الجبار سبحانه وتعالى قدمه فيها فينزوي بعضها على بعض، فتقول كما في الحديث «قط قط»، وكذلك الحديث الذي بعده حديث الهرولة[٦] يفيدك أن الله سبحانه وتعالى أسرع بالخير لعبده من إسراع العبد بالخير، فان العبد إذا أسرع بالخير أسرع الله تعالى له بالخير

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) سبق تخريجه.
(٦) سبق تخريجه.

والإجابة والإثابة، ولهذا هذه الصفات التي ذُكِرت تُثبت لأن الله هو الذي أخبرنا عنها وأخبرنا رسوله صلّى الله عليه وسلّم كما جاءت بلا كيف ولا تمثيل، ولهذا فان السلف رحمهم الله وهم الصحابة حينما حُدِّثُوا بهذه الأحاديث لم يفهموا منها ما يقع في قلوب العباد من أدران التشبيه والتمثيل، بل فهموها على الوجه اللائق، وآمنوا بها، وآمنوا بآثارها التي من أسباب ورودها إخبار الناس بهذه الآثار، أثر الصفة، على سبيل المثال صفة الضحك ما أثر هذه الصفة؟ لها أثر في أهل الإيمان، لهذا النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر فيدخلان الجنة»(١)، الصحابي حينما سمع النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ما سأل النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم الأسئلة التي يسألها المتأخرون على الله سبحانه وتعالى، إذا ضحك بكذا أو هل له شفتين؟ أو هل له لسان؟ تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، بل قال: "أَوَ يضحك ربنا" على سبيل التقرير، فقال النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «نعم»، فقال: لن نعدم من رب يضحك خيرًا(٢)، فآمن بأثر الصفة، فإذا كان الله سبحانه وتعالى يضحك على الوجه اللائق به؛ فأثر هذه الصفة ما هو؟ الرحمة والخير والكرم والإحسان، فإن الله سبحانه وتعالى له صفات تليق بجلاله وإن لم نستطع أن نصل إليه لأننا بعقولنا لا نستطيع أن نعرف كيفية اتصاف الله عزّ وجلّ بالصفات، ولهذا عائشة رضي الله عنها كانت في حجرة النَّبيّ فجاءت المجادلة – وهي خولة – تشتكي إلى النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ما حدث بينها وبين أوس بن الصامت، قالت عائشة: وأنا في ناحية البيت يخفى عليّ بعض حديثها؛ فأنزل الله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾(٣)، وأنزل الله فرَجها وبيان الأحكام المتعلقة بذلك، فقالت عائشة: سبحان من وسع سمعُه الأصوات، فهو سميع سمعه ليس كسمع المخلوقين، سمع إحاطة وشمول، لا يخفى عليه شيء سبحانه وتعالى مما يتحرك ويُسمع، فهذا هكذا منهج السلف، ولهذا الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يناديهم بصوت كما ورد في الحديث «يسمعه من بَعُدَ كما يسمعهم من قَرُبَ»(٤) يستوي به

(١) صحيح البخاري (٢٨٢٦).
(٢) صحيح. ابن ماجه (١٨١). الصحيحة (٢٨١٠).
(٣) المجادلة: ١.
(٤) صحيح البخاري (٩/ ١٤١) معلقًا.
قال الشيخ الألباني رحمه الله في الصحيحة (٧/ ٧٥٧): (وهو حديث صحيح، علقه البخاري في صحيحه، ووصله في أفعال العباد (ص ٨٩)، وفي الأدب المفرد (٩٧٠) وغيره، وقوّاه الحافظ ابن حجر، وقد خرجته في ظلال الجنة في تخريج السُّنَّة (رقم ٥١٤)).

القريب والبعيد، أما أصوات المخلوقين فإن القريب لا يستوي مع البعيد، وهكذا سائر أسماء الله تعالى وما جاء من صفاته سبحانه وتعالى، ينبغي للإنسان أن يؤمن بها على هذا الوجه اللائق، وليس فيما أخبر به الله تعالى أو أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلّم شيء من التمثيل، ولا حاجة للتأويل ولا التعسف في ذلك، بل نؤمن بما جاء في كتاب الله وما جاء عن رسول الله على ظاهره ونقطع بنفي المماثلة، ولهذا أخطأ من قال: إن هذه الصفات مجاز، أو قول النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم «أتاني يمشي- أتيته هرولة»(١) أن ذلك على وجه المشاكلة! هذا ليس بصحيح، ولهذا في كلام لابن قتيبة لما جاء يتكلم عن حديث الصورة، حديث الصورة «أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم على صورته» وفي رواية: «خلق الله آدم على صورة الرحمن»(٢)؛ قال ابن قتيبة رحمه الله تعالى – واستمسك بهذا الكلام؛ فإنك تستفيد منه في مواضع كثيرة: "والذي عندي أن حديث الصورة ليس بأعجب من اليدين والأصابع والعين"، هو يقول مثله لا فرق، كما أخبر الله سبحانه وتعالى أن له يدان كما جاء في حديث الصورة، وإنما وقع الحديث الإلف لتلك لمجيئها في القرآن ووقعت الوحشة من هذه – يعني حديث الصورة – لأنها لم تأتِ في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول بشيء منها بكيفية ولا حدّ، انتهى كلام ابن قتيبة رحمه الله تعالى، ولهذا قول البربهاري رحمه الله تعالى: فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض، والتفويض هنا تفويض الكيفية لا تفويض المعنى، لأن التفويض نوعان: تفويض المعنى؛ هذا الذي جاء ذمُّه على لسان السلف، معنى تفويض المعنى أن نؤمن بأن هذه الألفاظ وأن ليس لها معاني، السميع البصير مثل العليم الحكيم، مجرد ألفاظ، هذا هو مذهب المفوضة وهو أشر المذاهب، ومن نسبه إلى مذهب السلف فقد غلط على السلف، وهو جاهل بمذهب السلف، هذا الذي تقول به الأشعرية، والذي تعتقده الأشعرية أنه مذهب السلف، ليس بمذهب للسلف، فالتفويض المراد هنا هو تفويض الكيفية وليس تفويض المعاني، وهو المراد من كلام البربهاري في الظاهر بحمد الله، لأنه تكلم قال: نؤمن بها ولا نفسرها، قال: عليك بالتسليم والتصديق والتفويض – يعني تفويض الكيفية –، ويدلك على أنه أراد ذلك قال: لا تفسر شيئًا من هذه بهواك؛ فإن الإيمان بها واجب؛ فمن فسر شيئًا من هذا بهواه أو ردّه فهو جهمي، طبعًا

(١) سبق تخريجه.

(٢)حديث (إن الله تعالى خلق آدم على صورته) رواه البخاري (٦٢٢٧).

وأما بلفظ (على صورة الرحمن) فقد رواها ابن خزيمة في التوحيد (٨٥/ ١)، ولكن قال الشيخ الألباني رحمه الله في مختصر صحيح البخاري (٢/ ١٧٨): (منكر لا يصحُّ، فيه أربع علل، ولذلك ضعَّفه ابن خزيمة وغيره)، وانظر تفصيل الكلام في الضعيفة (١١٧٦).

لفظ البربهاري في قوله جهمي؛ فإن التجهم في اصطلاحات أهل العلم أصحاب الإمام أحمد ومنهم الإمام أحمد قبل ذلك، ثمَّ تجهم عام وثمّ تجهم خاص، فإنهم يطلقون التجهم؛ فهو جهمي؛ قول الجهمية، يريدون به التجهم بالمعنى العام وهو تعطيل الصفات؛ لا أن المراد بذلك أن ذلك القائل على مذهب الجهمية – الفرقة المعروفة المعينة –، حتى يستقيم لك الكلام وتعرف، لأنه ليس كل من قيل له ذلك أنه جهمي؛ أنه يلزم أنه على مذهب الجهمية، بل يراد التجهم بالمعنى العام، هذا من إطلاقات الأئمة وأصحاب الإمام أحمد.

ومن زعم أنه يرى ربه في دار الدنيا فهو كافر بالله عزّ وجلّ.

.....

رؤية الرب في الدنيا لا تكون، لماذا؟ لأن موسى عليه السّلام طلبها من الله سبحانه وتعالى ولم تتحقق لعجزه بصفته البشرية قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، ورؤيته لقوله صلّى الله عليه وسلّم «واعلموا أنه لن يرَ أحد ربه حتى يموت»[2]، هذا تصريح، وذلك أن الدنيا دار التكاليف والتكليف، وأما في الآخرة فأهل الإيمان أهل السُّنَّة يُثبتون رؤية الله تعالى في الآخرة، ويرون أن رؤيته من أعظم النعيم، ولهذا ما ذكره البربهاري صحيح فيمن ادّعى أنه رأى ربه، هذا قد يكون من طوائف من المتصوفة وغيرهم.

والفكرة في الله بدعة لقول رسول الله صلى اله عليه وسلّم «تفكّروا في الخَلْقِ؛ ولا تفكروا في الله»[3]، فإن الفكرة في الرب تحدث الشك في القلب.

.....

ما أورده من الحديث فيه ضعف، ولكن ربما يُحَسَّنُ بشواهده، وما ذكره البربهاري رحمه الله تعالى في

---

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) صحيح. أحمد (٢٢٧٦٤). صحيح الجامع (٢٤٥٩).

(٣) حسن. الحلية (٦/٦٦). انظر حديث الصحيحة (١٧٨٨).

مسألة التفكر في الله تعالى والتفكير في ذات الله سبحانه وتعالى فالمؤمن ممنوع من هذا، لأنه من مداخل الشيطان على قلب العبد الوسوسة في ذات الله تعالى، ففي صحيح مسلم أن الشيطان يأتي للإنسان بأسئلة ويتسلسل في هذه الأسئلة حتى يصل إلى السؤال الذي يريده الشيطان، ورد في الحديث الذي هو في صحيح مسلم «إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلق السماء؟ من خلق الأرض؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغ هذا فلينتهِ وليستعذ بالله من الشيطان»[(١)]، ولهذا جاء في الحديث «لن يبرح الناس يتساءلون؛ حتى يقولوا هذا الله خالق كل شيء؛ فمن خلق الله؟»[(٢)] هذا مُخَرَّج في البخاري، فإن التسلسل في الأسئلة والسؤال من مداخل الشيطان على قلب العبد، ولهذا ورد في الحديث أن الإنسان إذا بلغ هذا السؤال أن يقول: «آمنت بالله وآمنت برسوله؛ فإن ذلك يُذْهِبُ عنه»[(٣)] يعني هذا الإيمان وهذا القول، وفي سنن أبي داود فليقل: «الله أحد، الله الصمد»[(٤)]، والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم مأمور بها في هذا الموضع كما صرحت الأحاديث بذلك كما في قوله تعالى ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[(٥)]، والاستعاذة: العوذ بالله من وسوسة الشيطان، والشيطان له مداخل إلى القلب ويجري من ابن آدم مجرى الدم، فله نفوذ عظيم على قلب الإنسان، ولن يعتصم من وسوسة الشيطان ولا من هذه الشرور التي يقذفها في قلب الإنسان إلا بالاستعاذة بالله منه حينما يصل إلى مثل هذه الأمور، الاستعاذة مأمور بها في مواضع، هذا من المواضع التي أُمرت بها بالاستعاذة فيه، لهذا جاء في الحديث عن أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنهم قالوا: إنا نجد في أنفسنا ما نتعاظم أن نتكلم به[(٦)]، من هذه الأسئلة – التسلسل في هذه الأسئلة –، لأن الإنسان قد لا يملك دفع هذه الأسئلة لأنها خواطر ووسوسة شيطانية لن يدفعها إلا بالاستعاذة والاعتصام بالله عزّ وجلّ «أن نتكلم به»، وهذا موجود في خير الناس وهم الصحابة، وفي بعض الروايات "إن أحدنا ليتمنى أن يخرّ من شاهق"[(٧)] ولا يقول هذا الكلام وينتهي عن هذا الأسئلة، فقال

(١) صحيح مسلم (١٣٦) بنحوه.
(٢) صحيح البخاري (٧٢٩٦).
(٣)صحيح. أحمد (٢٦٢٠٣). صحيح الجامع (١٥٤٢).
(٤) صحيح. أبو داود (٤٧٢٢). الصحيحة (١١٨).
(٥) الأعراف: ٢٠٠.
(٦) صحيح مسلم (١٣٢).
(٧) البزار (٩٢٢٠).

النَّبيّ عليه الصّلاة والسّلام: «أوجدتموه؟» يعني وجدتم هذا الإنكار لهذه الوسوسة؟ فذاك الإنكار بالقلوب صريح الإيمان، وفي رواية أن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «الحمد لله الذي ردَّ أمره إلى الوسوسة»(١)، لهذا إن الوسوسة الشيطانية لها أبواب ومداخل لن يقطعها إلا الاستعاذة والاعتصام بالله عزّ وجلّ وبمداومة ذكر الله سبحانه وتعالى والانتهاء، يعني الانتهاء هو الباب يغلق أمام الشيطان، ينتهي ويغلق الباب أمام الشيطان فلا يستطيع، وهذا يحتاج مجاهدة وصبر حتى يستقيم.

واعلم أن الهوام والسباع والدواب نحو الذرّ والذباب والنمل كلها مأمورة، ولا يعلمون شيئًا إلا بإذن الله تعالى.

.....

هذا العنوان الذي ذكره البربهاري تابع لمسألة العلم، وأن الله سبحانه وتعالى لا يقع في شيء في العالم إلا ما عَلِمَهُ سبحانه وأراده، ثم قال بعد ذلك:

والإيمان بأن الله قد عَلِمَ ما كان من أول الدهر وما لم يكن، وما هو كائن أحصاه وعده عدًا، ومن قال: إنه لا يعلم ما كان وما هو كائن؛ فقد كفر بالله العظيم.

.....

هذا – كما قد ذكرت لك – تابع لمسألة علم الله سبحانه وتعالى، ولهذا مُنْكِرُ عِلْمِ الرب سبحانه وتعالى هم القدرية الأوائل، هؤلاء كفّرهم السلف، وصاروا إلى الإقرار بالعلم، قال الشافعي رحمه الله تعالى عن القدرية: "ناظروهم بالعلم؛ فإن أقرّوا به خُصموا، وإن أنكروه فقد كفروا"، وأما تَعَلُّقُ عِلْمِ الله سبحانه وتعالى فكما ذكر لك البربهاري رحمه الله تعالى أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما هو كائن وما لم يكن؛ وما لم يكن لو كان كيف يكون، فعلمه شامل لكل شيء، لا يخفى عليه شيء، ليس في علمه نقص بأي وجه من الوجوه.

ولا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل، وصِداق قلّ أو كثر، ومن لم يكن لها ولي فالسلطان ولي من لا ولي له.

---

(١) صحيح. أبو داود (٥١١٢). صحيح وضعيف أبي داود (٥١١٢).

.....

هذا جاء مرفوعًا إلى النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو ثابت «لا نكاح إلا بولي»[١]، وفي رواية «وشاهدي عدل»[٢] وهي رواية صحيحة، وعند الطبراني جاء في رواية «السلطان ولي من لا ولي له»[٣] هذا الحديث وما ذكره الشارح صحيح، ولهذا لا بد في أركان النكاح من توفر الزوج والزوجة والولي والصيغة وهي الإيجاب والقبول، وثمّ شروط للنكاح معروفة وهي رضا الزوجين وأن يكونا خاليين من الموانع كالنسب والرضاع، وشاهدي العدل، كما جاء في رواية «وشاهدي عدل»، فالإشهاد على النكاح واجب، والصداق في النكاح واجب لأن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال لذلك الرجل: «التمس ولو خاتمًا من حديد»[٤]، طبعًا هذه مسألة فقهية أوردها البربهاري رحمه الله تعالى وقد ذكرت لك أن البربهاري يذكر حتى بعض المسائل التي يُميز فيها السُّنِّي من البدعي وان كانت من مسائل الفروع.

وإذا طلق الرجل امرأته ثلاثًا فقد حرمت عليه، لا تحل له حتى تنكح زوجًا غيره.

.....

هذه المسألة محل إجماع بين أهل العلم لا خلاف بينهم، لأن من طلق زوجته ثلاثًا أنها لا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره، لأن الله عزّ وجلّ قال: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾[٥]، ثم قال بعدها: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾[٦]، هذا محل إجماع، وإنما اختلفوا – اختلف أهل العلم – في النكاح الذي بموجبه تكون المرأة حلالًا لزوجها الذي طلقها، وإنما لم يختلفوا في أصل هذه المسألة، وإنما اختلفوا في موجب هذا النكاح – أثر هذا النكاح – اختلفوا في الأثر الذي يترتب عليه أن ترجع إلى زوجها الأول، وإنما لم يختلفوا أنه لا بد من أنه إذا طلقها ثلاثًا أنه لا بد من زوج، تتزوج بعقد صحيح، لكن هم اختلفوا في متى تحل إلى زوجها الذي طلقها؟ فاختلفوا، بعض أهل العلم قال أنه بمجرد العقد، وأكثر أهل العلم قال: إنه

---

(١) صحيح. أبو داود (٢٠٨٥). صحيح وضعيف أبي داود (٢٠٨٥).
(٢) صحيح. البيهقي في الصغرى (٣٢٨٥). صحيح الجامع (٧٥٥٧).
(٣) صحيح. ابن ماجه (١٨٨٠)، والطبراني في الكبير (١٤٢/ ١١). صحيح الجامع (٧٥٥٦).
(٤) صحيح البخاري (٥١٣٥).
(٥) البقرة: ٢٢٩.
(٦) البقرة: ٢٣٠.

بالوطء، لا يكون ذلك إلا بالوطء، قول النَّبيّ «حتى تذوقي عسيلته ويذوق عُسيلتك»[1]، لا بد من الوطء، وبعضهم زاد أمرًا آخر، المسألة في تفاصيل في مسائل الفروع، لكن الأمر الذي يجب عليك أن تفهمه أن هذه المسألة محل إجماع وإنما اختلفوا في النكاح الذي تحل به المرأة لزوجها، والصحيح أنها لا تحل لـه إلا بـالوطء كما جاء عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

ولا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله إلا الله ويشهد أن محمدًا عبده ورسوله إلا بإحدى ثـلاث: زنـى بعد إحصان، أو مرتد بعد إيمان، أو قتل نفس مؤمنة بغير حق؛ فيقتل به، وما سوى ذلـك فـدم المسـلم عـلى المسلم حرام حتى تقوم الساعة.

.....

وهذا أمر متحقق وهو أن دم المسلم على أخيه المسلم حرام، وهذا أمر معلوم من الـدين بالضـرورة، ولا يحل دم المسلم إلا ما ذكره النَّبيّ صلى اله عليه وسلّم إما بالزنا بعد الإحصان فيستحق صاحب هذه الكبـيرة الرجم، أو الارتداد، أو يقتل نفسًا مؤمنة؛ فالقصاص، وما سوى ذلك فدم المسلم على المسلم حرام.

وكل شيء مما أوجب الله عليه الفناء يفنى إلا الجنة والنار والعرش والكرسي والصُّـوَر والقلـم واللـوح ليس يفنى شيء من هذا أبدًا، ثم يبعث الله الخلقَ على ما أماتهم عليه يوم القيامة، يحاسبهم بما شـاء، فريـق في الجنة وفريق في السعير، ويقول لسائر الخلق ممن لم يخلق للبقاء: كونوا ترابًا.

.....

ما ذكره المؤلف حق والمراد بالصُّوَر الأرواح، لهذا قال الناظم[2]:

ثمانية حكم البقاء يعُمُّها من *** الخلق والباقون في حيّز العدم

هي العرش والكرسي نار وجنة *** وعجب كذا اللوح والقلم

نعيدها ليسهل حفظها:

---

(١) صحيح البخاري (٢٦٣٩).

(٢) هنا يذكر الشارح الأبيات ويعيدها مع شيء من تداخل الشرح؛ فذكرنا الأبيات لوحدها ثم ذكرناها مشروحة كما أفادها حفظه الله.

ثمانية حكم البقاء يعُمُّها من *** الخلق والباقون في حيّز العدم

هي العرش والكرسي نار وجنة، وعجب - عجب الذنب الذي يعرف الآن بالدّارجة العصص - وأرواح – التي قال عنها البربهاري الصُّوَر، أرواح الناس لم يكتب الله عليه الفناء فهي باقية -كذا اللوح والقلم) اللوح المحفوظ والقلم الذي كتب الله به القدر.

والإيمان بالقصاص يوم القيامة بين الخلق كلهم بني آدم والسباع والهوام حتى الذرة من الذرة حتى يأخذ الله عزّ وجلّ لبعضهم من بعضهم لأهل الجنة من أهل النار ولأهل النار من أهل الجنة، ولأهل الجنة بعضهم من بعض، ولأهل النار بعضهم من بعض.

.....

هذا ثابت في صحيح مسلم أنه يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء[1]، وفي رواية «لتؤدَّن الحقوق» وفي رواية «لتؤدُّن الحقوق» يعني بالضم وبالفتح، تارة في بعض الروايات بفتح بالدال «لتؤدَّن» وفي بعض الروايات بضم الدال كما ذكر ذلك القاري في مرقاة المفاتيح، لتؤدَّن أو لتؤدُّن الحقوق لأهلها حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، وذلك يوم القيامة لأنه يوم الحساب ويوم العدل، ومن عدل الله سبحانه وتعالى أنه يقتص البهائم بعضهم من بعض، وإنما مثّل النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وذكر يوم القيامة وهو أن الشاة الجلحاء – التي ليس لها قرن - تُقاد من الشاة القرناء، وهذا من كمال عدل الله سبحانه وتعالى، من كمال عدل الله سبحانه وتعالى أنه كل إنسان وكل ما هو كائن ومخلوق يكون له العدل يوم القيامة، فالله عزّ وجلّ يحاسب كل شيء، وما ذكره المؤلف رحمه الله مما فُهِم مما يظهر لي من الحديث الذي أوردته لكم في صحيح مسلم، وما ذكره المؤلف البربهاري من اقتصاص الناس بعضهم ببعض، ففي البخاري أنه «إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا» القنطرة التي بين الجنة والنار، إذا مروا على الصراط وجاءوا القنطرة وهي قبل دخول الجنة قال: «فيتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا أُذِنَ لهم بدخول الجنة»[2] لأن الإنسان لا يمكن أن يدخل الجنة إلا وهو

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٨٢).

(٢) صحيح البخاري (٢٤٤٠).

نقي، وحتى مع هذا القصاص يزيل الله تعالى ما في القلوب لأن القلوب يبقى فيها شيء، فلا يدخل أهل الجنةِ الجنةَ إلا وقد زال ما في قلوبهم، ولهذا قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾(١)، نسأل اللهَ الجنةَ، إذًا الجنة لا مكان فيها للأحقاد والحسد ولا البغضاء ولا الكراهية، بل النعيم المقيم السرمدي، الراحة الأبدية وهي الحياة الحقيقية كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾(٢)، الحياة الحقيقية هي دخول الجنة، ولهذا قيل للإمام أحمد: متى الراحة؟ قال: عندما تضع أول قدم في الجنة(٣)، لن يكون لك راحة لا بالموت ولا بغيره حتى تدخل الجنة، نسأل الله أن أكون أنا وإياكم في الجنة بمنَّه وفضله وجوده وإحسانه ورحمته.

وإخلاص العمل لله والرضا بقضاء الله.

.....

إخلاص العمل لله سبحانه وتعالى هذه من مسائل السلوك التي يذكرها أهل العلم في الاعتقاد، وهذا يدلك على أن منهج أهل السُّنَّة شامل لجميع نواحي الحياة ولأعمال القلوب ولأعمال الظواهر، لا كما يقول المتصوفة: إن أهل السُّنَّة لا يعتنون بأعمال القلوب، أو أنهم علماء الحروف والظواهر ونحن أهل العلم بالبواطن وأهل تزكية النفوس، كل هذا من خرافات المتصوفة الذي ليس عليه دليل، إخلاص العمل لله عزّ وجلّ من الأمور المهمة التي ينبغي على الإنسان أن يتحقق منها في كل أمر، وأن يُجدد الإخلاص في كل وقت، ولكن أحب أن أذكر لكم مسألة مهمة جدًا من مسائل الإخلاص لأنها مسائل دقيقة، يقول الله عزّ وجلّ عن الإيمان: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا، فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾(٤)، تأمل هذه الآية واعرف مقام فقه السلف رحمهم الله من النصوص، أورد أهل التفسير آثارًا كابن تيمية لما تكلم عن هذه الآية أن السلف رحمهم الله ومنهم عائشة من تحقيق الإخلاص أنها كانت إذا بعثت بشيء مع الخادم بصدقة أو ما شاكل ذلك تقول:

---

(١) الحجر: ٤٧.

(٢) العنكبوت: ٦٤.

(٣) لم أعثر عليه، ولكن في الحلية (١٠/ ١٣٢) عُزي بإسناده لراهب.

(٤) الإنسان: ٩ - ١١.

اذهب إلى قوم فلان أو قوم بني فلان أو كذا وقِفْ بالباب عندهم واسمع بماذا يدعون لنا وادعُ لهم بمثل ما يدعون[1]، حتى لا يكون في سبيل مقابلة، فإنها رضي الله عنها وأرضاها من فقهها ومن فهمها للآية أن من طلب الجزاء طلب الدعاء، هذا من عظيم تحقيق الإخلاص، ولهذا قال بعض أهل السلف: إذا أعطيت الفقير فقال لك: بارك الله فيك؛ فقل له: وفيك بارك، حتى يكون مقصودك مما تفعل وجهَ الله سبحانه وتعالى في الآخرة، ولهذا المخلص على النحو لو قُوبل بالإساءة فإنه لا يبالي لأنه يريد ما عند الله عزّ وجلّ كما أخبر الله عنهم ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[2]، لا نريد جزاء منكم في الدنيا ولا دعاء ولا شيء من الدنيا ولا نريد أن تشكروننا على هذا، فتحقيق مقام الإخلاص عظيم، ولهذا إذا تبصرت بهذا تعلم أن بعض الناس مما يقوله العوام إذا فعلت كذا أو كذا أو تصدقت بكذا أو كذا فإنه يدفع عنك البلاء؛ هذا تجوّز في الكلام والألفاظ وربما يؤثر على الإخلاص، لاشك أنه مؤثر، لكن ربما يُحْبِط العمل إذا كان الباعث لهذا الأمر طلب شيء من الدنيا، فقد يعمل الإنسان شيئًا من الأعمال التي يظنها صالحة وهو يطلب بها شيئًا من الدنيا، فالأصل أن الإنسان لا يطلب إلا وجه الله سبحانه وتعالى؛ فلا يحركه ولا يبعثه، قد يشكل على بعض الناس ما ورد في الأحاديث أن صلة الرحم تجلب سعة الرزق من الأحاديث مما فيه أمور تكون في الدنيا! نقول: هذه من بركات الأعمال الصالحة، لكن نسأل ما الباعث لك الذي ينهزك ويحركك للعمل الصالح؟ ولهذا استغفر كما جاء في الآيات واستمسك بها فإنها محكمات، أن تفعل الأعمال وأنت تريد وجه الله تعالى، فعند ذلك الله يجمع لك خيري الدنيا والآخرة، ولهذا مقصودك هو ما عند الله سبحانه في الآخرة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾[3]، الإنسان – والعياذ بالله – قد يُسَوِّل له الشيطان: أني أفعل وأفعل ولا جاءني شيء من هذه الدنيا! نسأل الله السّلامة والعافية، لهذا فإن الإنسان قد يبتلى ولا يُحَصِّلْ شيئًا في الدنيا؛ يموت فقيرًا، فهل معنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى لم يتقبل منه؟ قد يكون الله سبحانه وتعالى قد ادّخرها في الآخرة وهذا لا ينقص من ثوابه عند الله تعالى شيء.

---

(١) أورده شيخ الإسلام رحمه الله في مجموع الفتاوى (١٨٨/ ١).

(٢) الإنسان: ٩.

(٣) الحج: ١١.

والرضا بقضاء الله، والصبر على حكم الله، والإيمان بأقدار الله كلها خيرها وشرها وحلوها ومرها.

.....

هذه المسألة هي من مسائل القضاء والقدر، وأنت كما ترى فإن البربهاري فرّق الكلام في مسائل القضاء والقدر، وله عذره في ذلك، فهو يكتب رحمه الله تعالى ما يرى أنه من الاعتقاد والسُّنَّة، وفرّق الكلام فيه لأمر يريده هو في تراكيب الكلام.

فالمسألة الأولى في الرضا بقضاء الله تعالى والصبر على حكم الله سبحانه وتعالى، تحت هذا العنوان مسائل قبل أن نتكلم عن مسألة الرضا بالقضاء والقدر، فأولًا: الرضا بالمقدور هو مستحب أما الصبر على ما قدَّره الله عزّ وجلّ فهو واجب في كلام أهل العلم، والإيمان بالأقدار هنا نتكلم عن منشأ من ضلّ في قدر الله عزّ وجلّ، فإن باب القضاء والقدر ضلّت فيه طائفتان، الطائفة الأولى وهم الجبرية، وهؤلاء الجبرية الذين يزعمون أن العبد مجبور، وأنه كالريشة في مهب الريح، وأنه كالقلم في يد الكاتب، وكالآلة في يد الصانع، لا قدرة له ولا اختيار، وهذا المذهب من أفسد المذاهب، ويتضمن تعطيل الشريعة والأمر والنهي – والعياذ بالله –، وهذا مذهب الجهمية، والجبرية أنواع ليسوا على درجة واحدة، جبرية غلاة وجبرية دون ذلك ما يسمى جبرية متوسطة، فهم ليسوا على درجة واحدة في الجبر، وأما المذهب الثاني فهو مذهب القدرية، وأوائل هؤلاء نشأوا في عهد الصحابة، وأنا ذكرت لكم رأس من رؤوس القدرية، معبد الجهني الذي قُتل، كان معاصرًا لابن عمر وتبرأ عبد الله بن عمر منه ومن قوله كما قد مرّ معنا، هؤلاء القدرية نشأوا في عهد الصحابة والسلف كفروهم، ثم صار مذهب القدرية إلى الإقرار بصفة العلم، وورث مذهبَ القدرية المعتزلةُ، فالمعتزلة قدرية، والروافض المتأخرين على مذهب القدرية، والزيدية قدرية، والإباضية قدرية، هؤلاء القدرية يقولون: إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق أفعال العباد، هؤلاء الذين ورد في كلام السلف وفئة من الصحابة أنهم يُسمون بمجوس هذه الأُمَّة، ما وجه تسميتهم بالمجوس؟ لأنهم زعموا أنه ثمَّ خالق غير الله، قالوا: العبد يخلق فعل نفسه وأن الله ما يخلق أفعال العباد، لن نطيل وإنما نذكر إشارات، وقد قدمت لك بذكر هذا الخلاف، ثم نقول منشأ الضلال في القدر هو جهل حكمة الله تعالى في الأشياء، وحِكَمُ الله تعالى في خلقه منها ما هو معلوم ومنها ما هو مجهول، ولهذا ما يظهر لك من حِكَم الله فهو خير، وما جهلت

فسَلِّم؛ لأنه لا يثبت الإيمان لك إلا على قدر التسليم، ولهذا يقول ابن تيمية في التائية: "وأصل ضلال الخلق من كل فرقة هو الخوض في فعل الإله بعلة"، لم فعل كذا؟ ما العلة بكذا؟ قال: "فإنهم لم يفهموا حكمة له فصاروا على نوع من الجاهلية" هذا من أسباب الضلال في القدر، كذلك من أسباب الضلال في القدر قياس أفعال الله على أفعال العباد من جهة الظلم والعجز، هم يرون في أفعال العباد ما هو عدل وما هو ظلم؛ فيقيسون أفعال العباد على أفعال الله سبحانه وتعالى ويسوون بين أفعال الله وبين أفعال العباد، وهذا من أسباب الضلال والانحراف، كذلك من أسباب الضلال ابتداع ألفاظ في باب القضاء القدر كلفظ الاستطاعة ولفظ التحسين والتقبيح وغيره ذلك من الألفاظ، وحمل ما جاء في كتاب الله وسُنَّة رسوله على هذه الألفاظ المبتدعة، كذلك من أسباب الضلال في القدر التسوية بين الإرادتين، الإرادة الكونية القدرية والإرادة الدينية الشرعية، وأنتم تعرفون الفرق بين الإرادتين، فالله تعالى قد يريد شيئًا كونًا وقدرًا ولا يرضاه دينًا وشرعًا، والإرادة الكونية كما تعرفون مستلزمة لوقوع المراد، لا بد أن تقع، والإرادة الدينية الشرعية لا تستلزم وقوع المراد، والإرادة الكونية القدرية لا تستلزم المحبة والرضا، فقد يحبها الله تعالى وقد لا يحبها ولا يرضاها، مثل إيمان المؤمن يحبه الله ويرضاه، أما كفر الكافر فلا يحبه الله تعالى ولا يرضاه وقد أراده كونًا وقدرًا، والإرادة الدينية الشرعية تستلزم المحبة والرضا، فلم يفرّقوا بين ما أمر الله تعالى به كونًا وقدرًا وبين ما أمر به دينًا وشرعًا، فالله تعالى قد يأمر بالشيء ويأذن بالشيء كونًا وقدرًا وينهى عنه دينًا وشرعًا، فزنى الزاني وكفر الكافر وسائر المعاصي قد وقعت بالإذن الكوني ولكنها لم يُرِدْهَا الله عزّ وجلّ دينًا وشرعًا بل نهى عنها، لذلك بعث الله الرسل وأنزل الكتب من أجل إقامة الحجة على الخلق، ولهذا من الأمور التي ينبغي أن تعلمها بباب القضاء والقدر أن الإيمان بالقضاء والقدر مترتب على أربع مراتب:

المرتبة الأولى: مرتبة العلم، أن الله سبحانه وتعالى عَلِم ما هو كائن وما لم يكن وما لم يكن لو كان كيف سيكون ، علمه الشامل.

المرتبة الثانية: والكتابة، أن الله قد كتب في اللوح المحفوظ كل شيء.

المرتبة الثالثة: الإرادة الشاملة والمشيئة، فلا يقع في ملكه ما لا يريد، سبحانه وتعالى، قد شاء كل شيء كونًا وقدرًا، سبحانه وتعالى.

المرتبة الرابعة: الخلق والإيجاد، أن الله تعالى سبحانه وتعالى خلق كل شيء، ومما خلقه الله سبحانه وتعالى

أفعال العباد، ولهذا لما وقع من المعتزلة القدرية إنكار أفعال العباد صنف إمام من الأئمة الكبار كتاب باسم خلق أفعال العباد وهو البخاري سمّاه خلق أفعال العباد، مصنف عظيم فيه من الآثار والعلم العظيم ما يدفع به بدعة القول أن الله لم يخلق أفعال العباد

والإيمان بما قال الله، قد عَلِمَ الله ما العباد عاملون، والى ما هم صائرون لا يخرجون من علم الله ولا يكون في الأرضين والسموات إلا ما أذن الله تعالى، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطاك، وما أخطاك لم يكن ليصيبك، ولا خالق مع الله عزّ وجلّ.

.....

هذا الرد على المعتزلة القدرية، وأنه الله سبحانه وتعالى خالق أفعال العباد، وأما قول البربهاري أن "ما أصابك" هذا يفيدك في باب القضاء والقدر، ولهذا من أسباب راحة القلوب وطمأنينة القلوب الإيمان بالقضاء والقدر، ولهذا من لم يؤمن بالقضاء والقدر لم يذق حلاوة الإيمان، لا يستقيم له قلب، فالمؤمن مرتاح القلب لأنه يعلم أن ما هو كائن قد كتبه الله عزّ وجلّ.

والتكبير على الجنائز أربع، وهو قول مالك ابن أنس وسفيان الثوري والحسن بن الصالح وأحمد بن حنبل والفقهاء، وهكذا قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

.....

ما ذكره البربهاري هو الذي بوّب له البخاري في صحيحه من أن التكبيرات على الجنائز أربع[1]، ولكن روي عن زيد بن أرقم أنه يكبر خمسًا ورفعه إلى النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم[2]، وروى ابن المنذر ورفعه إلى النَّبيّ إلى أنه كان يكبر ستًا على أهل بدر[3]، يعني على من مات ممن شهد بدرًا وعلى الصحابة خمسًا،

---

(١) صحيح البخاري (١٢٤٥).

(٢) صحيح مسلم (٩٥٧).

(٣) لم أعثر عليه، ولكن قال الشيخ الألباني رحمه الله في أحكام الجنائز (١/ ١١٢): (وأما الست والسبع، ففيها بعض الآثار الموقوفة، ولكنها في حكم الأحاديث المرفوعة، لأن بعض كبار الصحابة أتى بها على مشهد من الصحابة دون أن يعترض عليه أحد منهم)، وساق بعضها رحمه الله.

والصحيح أن هذه المسألة فرعية وهي من مسائل الاجتهاد، ولا يترتب على القول بها شيء من جهة التبديع أو الحكم بأن هذا على السُّنَّة.

والإيمان بأن مع كل قطرة ملكًا ينزل من السماء حتى يضع حيث أمَرَه اللهُ عزّ وجلّ

.....

طبعًا ما جاء أنه مع كل قطرة من السماء ملكًا هذا يُتوقف فيه على النص، ولا أعلم دليلًا في هذا، وإنما يذكره أهل العلم، ولكن ليس ثمَّ دليل، فالأصل نفي ذلك، لأن مِثْل هذه الأمور من الغيبيات التي يُتوقف فيها على الدليل، ولا نعلم دليلًا على ذلك، وإنما حمل البربهاري على ذلك أنه ظن أن ثمَّ دليل في المسألة.

والإيمان بأن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين كلَّم أهلَ القليب يوم بدر؛ أن المشركين كانوا يسمعون كلامه.

.....

هذا ثابت في صحيح مسلم أن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ناداهم، نادى القتلى في قليب بدر، فإنه لما انتصر المسلمون على المشركين في بدر أُلْقِيَ القتلى في قليب بدر، فجاءهم النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعد ذلك وقال: «يا أبا جهل – لابن هشام –، يا أُميّة بن خلف، يا عُتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة – لأن هؤلاء هم صناديد المشركين – أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقًا» بالنصر والتأييد وقتل هؤلاء رؤساء الكفر، قال الراوي فسمع عمرُ قولَ النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال: يا رسول الله كيف يسمعوا وقد جيفوا؟ صاروا جيفًا، نتنًا، قال النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا»(١) لا يقدرون على الجواب، صاروا في دار أخرى، وهذا يجرّنا إلى مسألة مهمة وهي سماع الميت، هل الميت يسمع؟ من أهل العلم من نفى سماع الميت مطلقًا اعتمادًا على ظواهر النصوص، ومن ذلك قول الله تعالى ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾(٢)، وفي قوله

(١) صحيح البخاري (٣٩٧٦)، وأحمد (١٤٠٦٤).
(٢) فاطر: ٢٢.

تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾[1]، وغير ذلك من النصوص، وهذا منقول عن عائشة رضي الله عنها، ومنهم من أثبته مطلقًا كابن العز الحنفي في شرح الطحاوية، قال: "ولا شك في سماعهم"، والصحيح التفصيل في المسألة، هذا الذي يقوله أهل العلم من أهل التحقيق، وممن يفصل في هذه المسألة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى، فالأصل أن الموتى لا يسمعون إلا ما ورد الدليل به، ثَمَّ أدلة وردت على أن الميت يسمع قرع النعال إذا دفن[2]، وما ورد أن أهل بدر – قتلى بدر – سمعوا كلام النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وكذلك ما ورد في بعض الأحاديث أن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يسمع من سَلَّم عليه[3]، إلى غير ذلك، فالأمر يُتوقف فيه على النص، الأصل أن الميت لا يسمع كلام الحي، هكذا تدل ظواهر النصوص.

والإيمان بأن الرجل إذا مرض آجره الله على مرضه، والشهيد يأجره الله على شهادته.

.....

الإيمان بان الرجل إذا مرض يأجره الله على مرضه كما ورد في البخاري ومسلم أنه «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا»[4]، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى، وهذا يفيدك فائدة أن الإنسان في حال الصحة وحال الرخاء يسارع إلى الله عزّ وجلّ بالأعمال الصالحة لأنه إذا حدث عائق لك؛ فالله سبحانه وتعالى يجري الأعمال التي كنت تعملها وأنت سليم معافى مقيم، حتى إذا سافرت كتب الله عزّ وجلّ لك الأعمال التي كنت تعملها قبل أن لم تكن مسافرًا، هذا من فضل سبحانه وتعالى على عبده، وهذه المسائل التي يذكرها البربهاري ذكرت لك أنه ربما يكون فيها خصومة بين أهل السُّنَّة وبين غيرهم، كما سيتبيّن لك من خلال النص على أن بعض المعاصرين للبربهاري مخالفين فيها فيسميه لك.

والشهيد يأجره الله على شهادته.

.....

(١) النمل: ٨٠.
(٢) صحيح البخاري (١٣٣٨).
(٣) قلت: حديث (من صلَّى عليَّ عند قبري سمعته، ومن صلَّى عليَّ نائيًا أُبلِغْتُهُ). موضوع. الموضوعات لابن الجوزي (٣٠٣/ ١).
(٤) صحيح البخاري (٢٩٩٦).

والشهيد من مات من المسلمين في سبيل الله تعالى، ولهذا بوّب البخاري باب: لا يُقال فلان شهيد، قال أبو هريرة عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «والله أعلم بمن يجاهد في سبيله، والله أعلم بمن يُكلم في سبيله»(١)، ونُقل عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "تقولون في مغازيكم: فلان شهيد أو مات فلان شهيدًا"(٢)، فالأصل أن لفظ الشهادة لا يطلق إلا على وجه المشيئة، يقال: شهيد إن شاء الله أو نرجو له الشهادة، أما أن يقال: فلان شهيد فهذا من ألفاظ التزكية التي جاء النهي عنها، وأما ما ذكره البربهاري وأن الشهيد يأجره الله تعالى على القتل، لاشك في ذلك، لأن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول: «ما من مسلم يصيبه أذى إلا حاتّ الله عنه خطاياه كما تحاتّ ورق الشجرة»(٣)، فالمؤمن مأجور على كل شيء، ومن ذلك القتل، وإن وردفي بعض الأحاديث أن الشهيد – الذي يُقتل في سبيل الله – لا يجد من أَلَمِ الموت إلا كما يجد أحدكم من ألم القرصة(٤)، فهذا يُتوقف على ثبوت هذه الأحاديث، والحاصل أن ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى صحيح.

والإيمان بأن الأطفال إذا أصابهم شيء في دار الدنيا يألمون، وذلك أن بكر بن أخت عبد الوهاب قال: لا يألمون. وكذب

.....

هذا الاسم غريب – ابن أخت عبد الوهاب – وربما يكون فيها تصحف، لكن الحاصل لك أنه سمى لك البربهاري ممن يخالف في هذه المسألة، ومسألة ألم الأطفال وما يتعلق بذلك تُبحث في مسائل القضاء والقدر، والأشعري في مقالات الإسلاميين ذكر أقوالا في ألم الأطفال، وذكر أن الروافض فِرَقٌ في هذه المسألة، ولهذا ذكر أن من قول المعتزلة أن الألم الذي يحلّ بهم منه ما هو من فعل الله ومنه ما هو من فعل غيره، طبعًا كله مُنبني على مسألة خلق أفعال العباد، طبعًا هذه تابعة لمسألة التعليل والعلل والعدل والظلم،

---

(١) البخاري (٣٧/ ٤) معلقًا، والشطر الأول منه هو في صحيح البخاري (٢٧٨٧)، والشطر الثاني منه هو أيضًا في صحيح البخاري (٢٨٠٣).

(٢) صحيح. ابن حبان (٤٦٢٠). التعليقات الحسان (٤٦٠١).

(٣) صحيح البخاري (٥٦٤٧).

(٤) صحيح. الترمذي (١٦٦٨). الصحيحة (٩٦٠).

لأنهم يقولون: أنه مثلًا الطفل غير مكلف فكيف يألم وهو غير مكلف؟ وكيف يتعذب وهو غير محل التكليف؟ فيدخلون في أمور لا طائل تحتها، وإنما هي من إعمال العقول فيما ينبغي للإنسان أن يقف فيه الموقف المؤمن المُسَلِّم الذي لا يتعرض للأمور في البحث (كلمة غير واضحة)، لأنه كما سوف يأتي: القدر وما يفعله الله عزّ وجلّ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[1]، والقدر سرّ الله تعالى في خلقه.

واعلم أنه لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله، ولا يعذب الله أحدًا إلا بقدر ذنوبه، ولو عذَّب أهل السموات والأرض برّهم وفاجرهم؛ عذبهم غير ظالم لهم، لا يجوز أن يقال لله عزّ وجلّ إنه ظالم، وإنما يظلم من يأخذ ما ليس له، فالله له الخلق وله والأمر، والخلق خلقه والدار داره، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[2] ولا يقال له كيف؟ لا يدخل أحدٌ بين الله وبين خلقه.

.....

هذا ما ذكرت لك من التسليم في هذه المسائل، وعدم الخوض، وعدم قياس أفعال العباد على أفعال الرب والتسوية؛ وبين ما هو حسن من الخلق وما هو حسن من الله تعالى، كل هذا باطل، وهذا يجرّنا إلى مسألة الظلم والعدل، والتي يجب أن لا يدخل فيها الباحث والناظر إلا بما تدل عليه النصوص، فالظلم محرّم على الله سبحانه، قد حرّمه على نفسه لكمال عدله سبحانه وتعالى «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا»[3]، ولهذا ما يقع عليه الظلم أو العدل هذا هو الذي حصل به الضلال، يعني هل هذا ظلم أو هذا عدل، ولهذا بعض الناس حينما يدخل في باب القضاء والقدر يقول: هذا ظلم! كيف أن هذا يعيش فقيرًا ويعيش كذا وهذا غني! هذا ظلم، تعالى الله عما يقولون، هذه من مداخل الشيطان على الإنسان، فالله عزّ وجلّ لا يُسأل عما يفعل، والخلق كما قال البربهاري: فالخلق خلقه والحكم حكمه والأمر إليه.

إذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها، أو ينكر شيئًا من أخبار رسول الله ص فاتّهمه على

---

(١) الأنبياء: ٢٣.

(٢) الأنبياء: ٢٣.

(٣) صحيح مسلم (٢٥٧٧).

الإسلام فإنه رجل رديء المذهب والقول، ولا يطعن على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا على أصحابه؛ لأنا إنما عرفنا الله وعرفنا رسوله وعرفنا القرآن وعرفنا الخير والشر والدنيا والآخرة بالآثار، فإن القرآن أحوج إلى السُّنَّة من السُّنَّة إلى القرآن.

.....

ما ذكره البربهاري علامة وسمة ظاهرة من علامات أهل البدع، وهو الطعن في الآثار، في الأحاديث النَّبويّة لا يقبلها، أو يزعم أن له فقه آخر، كما تسمع من بعض المعاصرين والمتقدمين ممن يرد الأحاديث التي يستنكرها بعقله وهي أحاديث كثيرة في صحيح البخاري وصحيح مسلم، يقوم هؤلاء يردونها بآرائهم وبأهوائهم ويتحكمون في الأحاديث، ويضعون لهم موازين لفهم الحديث النَّبويّ، هؤلاء كما قال لك البربهاري: إذا سمعت الرجل يطعن في الآثار فاتهمه على الإسلام، وهذا طبعًا – الطعن في الآثار – يريد الزندقة، والزندقة أبواب، فالزنديق لا يستطيع أن يصرح بما عنده، لكن يبدأ شيئًا فشيئًا، حتى يصرح بالخروج عن الإسلام، فالزندقة تضعف كلما قوي سيف السلطان والقرآن، إذا كان القرآن هو السلطان في بلد وسيف السلطان قائم مع القرآن؛ تضعف الزندقة والنفاق ومثل هذا، كلما ضعف سيف السلطان وضعف استمساك الناس بالقرآن قويت الزندقة وظهر مثل هؤلاء، فالبربهاري رحمه الله تعالى أعطاك ميزانًا: إذا رأيته يطعن في الآثار فاتهمه بالإسلام؛ فانه رجل رديء القول والمذهب، إنما طعن على رسول الله والصحابة لأن الطعن في رسول الله والطعن في أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ذريعة إلى إبطال الدين، ولذلك الإمام مالك لما تكلم عمن يطعن بأصحاب النَّبيّ قال: إنما يريدون الطعن في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، يعني هم ذريعة للطعن في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولهذا يكثر الزندقة والنفاق والردّة في هؤلاء في المُنتمين للفرق التي اشتهرت بالطعن في أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كالرافضة والخوارج وغيرهم، تجد أنه يسلك مسلك الروافض في أصحاب النَّبيّ فيحصل منه الردة عن دين الله، أو يكون على مذهب الخوارج فيحصل منهم الردة، فهذا أمر خطير لأنه ذريعة لمثل هذه الأمور، لهذا قال الإمام مالك: إنما يتوصلون بذلك ليقولوا لو كان رجلًا صالحًا لكان أصحابه كذلك، فالطعن في الصحابة طعن في الرسول صلّى الله عليه وسلّم على وجه التسلسل والوصول إلى الوقوع في عرض النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وفي النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وما جعل الخير والإيمان إلا عن طريق هؤلاء، فالطعن في نقلة الآثار طعن في الآثار،

والطعن في الآثار التي جاءت عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعن الصحابة طعن في النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

والكلام والجدل والخصومة في القدر خاصة منهي عنه عند جميع الفرق.

.....

وأن القرآن إلى السُّنَّة أحوج من السُّنَّة إلى القرآن، هذا مأثور عن مكحول الشامي، كان من التابعين، مكحول كان من جهة خراسان، وكان من أئمة التابعين، وكان لا يفصح باللغة العربية، له عجمة ومع ذلك يشار له بالبنان – مكحول –، والسُّنَّة تفسر الكتاب، معنى ذلك أن السُّنَّة تفسر ما جاء في كلام الله عزّ وجلّ، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1]، ولا يمكن فهم القرآن إلا بالسُّنَّة، فالطعن في السُّنَّة طعن في القرآن لأننا لا يمكن أن نفهم ما جاء في كلام الله إلا بما جاء في كلام رسوله صلّى الله عليه وسلّم، فالفرائض على سبيل المثال، الصلوات الخمس، أين جاء تفصيلها وأحكامها؟ في السُّنَّة، هكذا سائر الشريعة في القرآن والسُّنَّة وحيان لا بد من الإيمان بهما.

والكلام والجدل والخصومة في القدر خاصة منهي عنه عند جميع الفرق، لأن القدر سرّ الله، ونهى الرب جلّ اسمُه الأنبياءَ عن الكلام في القدر، ونهى النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم عن الخصومة في القدر، وكرهه أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والتابعون، وكرهه العلماء وأهل الورع، ونهوا عن الجدال في القدر، فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان واعتقاد ما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في جملة الأشياء، واسكت عما سوى ذلك.

.....

سبق الكلام عن الخصومة في القدر، والنَّبيّ نهى الصحابة عن الكلام فيه، ونُقل عن عليّ رضي الله عنه أن القدر سرَّ الله تعالى في خلقه فلا تكشفوا سرّه[2] –أو كما ورد عنه–، فلا يمكن للإنسان أن يفهم تفاصيل

---

(١) النحل: ٤٤.

(٢) الأثر أورده ابن أبي العزّ الحنفيّ في شرح الطحاوية (ص٢٢٥)، وهو في الحلية (١٨١/٦) من كلام ابن عمر، وضعفه الشيخ الألباني رحمه

مسائل القضاء والقدر على الوجه الذي يريد فلا بد في باب القضاء والقدر من التسليم، ولهذا فأنت إذا أردت أن تدخل باب القضاء والقدر – وأنا ذكرت ذلك لكم في اللمعة – فلا بد أن تستمسك بالمحكم وأنت تبحث المسائل، والمحكم ما دلت عليه النصوص في باب القضاء والقدر، وهو أن الله تعالى لا يظلم الناس شيئًا، وأن الله تعالى حَكَمٌ عَدْلٌ، وأن الله تعالى لا يقع في ملكه إلا ما يريد، هذه تستمسك بها، فإذا خُضْتَ في هذه المسائل فسوف تسلم من وسوسة الشيطان في كثير من الأمور، ولكن إذا صرت تزيغ عن هذه المحكمات وقعت في الضلال المبين كما وقع من وقع في ذلك، ولهذا كره السلف الخوض في هذه المسائل والتعمق فيها، وقد يقول القائل لماذا تكلم أهل العلم إذًا في مسألة الاستطاعة؟ نقول: تكلموا في هذه المسائل على وجه الضرورة لا على وجه الابتداء، هناك فرق بين من يتكلم في هذه المسائل على وجه الضرورة وبين من يتكلم على وجه الابتداء، هم لم يبتدؤوا الكلام في التحسين والتقبيح والاستطاعة وما سوف يأتي من مسائل التوفيق والخذلان وما يتبع ذلك من مسائل وغير ذلك، إنما ضرورةً، لأنها بُحثت فلا بد من بيان الحق فيها، لهذا بعض الناس يعيب على ابن تيمية لأنه تكلم في مسائل مثل التسلسل – تسلسل الحوادث – أو غير ذلك، هذا لم يفهم على الحقيقة مراد شيخ الإسلام ومراد الأئمة، شيخ الإسلام ما تكلم في هذه المسائل وما تكلم أهل العلم إلا على وجه الضرورة، لأنه إذا تُكلم في المسألة لا بد من البيان، مثل مسألة القول بأن القرآن مخلوق ورد هذا القول والبيان في ذلك، لم يتكلم الإمام أحمد فيه إلا لما أشهر المعتزلة هذا الأمر، وإلا كان متوقفًا على ما جاء في النصوص، ورد، وبدأوا يستدلون – الأئمة – ويردون الباطل، هذا لا بد أن تفهم هذا في مسائل الاعتقاد حتى لا تجنح، لأن بعض الناس يجنح بزعمه أنه على طريقة السلف فيتقمص شخصية ليست من شخصياته أو ثوبًا ليس من ثوبه فيطعن في الأئمة، هذا – والعياذ بالله – من مداخل الشيطان والتعالم كما نسمع من بعض المعاصرين الذين يكلمون في هذه المسائل.

والإيمان بأن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أسري به إلى السماء، وصار إلى العرش، وسمع كلام الله، ودخل الجنة، واطلع في النار، ورأى الملائكة، وسمع كلام الله عزّ وجلّ، وبشرت به الأنبياء، ورأى سرادقات العرش، والكرسي، وجميع ما في السموات في اليقظة، حمله جبريل على البُراق حتى أزاره في

الله كما في ضعيف الجامع (٨٥٦١).

السموات، وفرضت عليه الصلوات الخمس في تلك الليلة ورجع إلى مكة ليلته وذلك قبل الهجرة.

.....

هذه مسائل تتعلق بمسائل الإسراء والمعراج، والبربهاري تجوّز في اللفظ فقال: والإيمان بأن رسول الله أسري به إلى السماء، وهذا من التجوّز في الألفاظ، فالإسراء إنما يطلق على ذهاب النَّبيّ إلى بيت المقدس ليلًا، لأن الإسراء لا يطلق إلا على المشي ليلًا، فيقال: أُسري بالنَّبيّ إلى بيت المقدس وعُرِج به إلى السماء، هذا هو الصحيح من جهة الألفاظ، أنه أُسري به إلى بيت المقدس وعُرِج به إلى السماء، والصحيح أن الإسراء والمعراج إنما كان مرة واحدة، ووقع قبل الهجرة، واختلفوا في تعيين الزمان، الذي يهمك هنا أنه وقع قبل الهجرة، ووقع الإسراء والمعراج بجسده وروحه عليه الصّلاة والسّلام، لأن الله تعالى يقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾[1]، والعبد لا يصدق إلا على الاثنين: الروح والجسد، لا يقال للروح عبد ولا يقال للجسد عبد، وإنما يصدق على الروح والجسد، وهذا القول عليه عامة السلف، ومن قال: إن الإسراء والمعراج وقع منامًا فقد غلط واخطأ، ومن نسبه إلى السلف فقد جنى على السلف، لأن السلف رحمهم الله لم يقولوا إن الإسراء والمعراج كان منامًا، وإنما قال بعض السلف أن كالإسراء والمعراج كان بروح النَّبيّ ولم يكن بجسده، وأنه لم يُفقد بجسده، وهذا ليس بصحيح؛ وإن قال به بعض السلف، وإن نُسب إلى بعض أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فإن قول عامّة السلف والذي تدل عليه الأدلة على أنه وقع بروحه وجسده عليه الصّلاة والسّلام، وهي من معجزات النَّبيّ التي أعجز الله تعالى بها قريش، والمعجز هو العروج به إلى السماء، والإعجاز قد يكون في وقت معجز وقد لا يكون في وقت آخر معجز، الإسراء في وقت قريش كان معجز، الذهاب إلى بيت المقدس في ليلة معجز، لأنهم كانوا يسيرون ثلاثة أشهر، لكن في زماننا هذا الإسراء ليس بمعجز، يختلف بحسب الزمان، لكنه في زمانه معجز، فإنه ليس ثمَّ آلات، والنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أُسري به وعُرِج به على البراق، جاء في مسلم أنها دابة دون البغل وفوق الحمار؛ يرفع خَطْوُه عند أقصى طرفه -عند أقصى نظر له-[2]، هي سريعة هذه الدابة، وما ذكره البربهاري: وكلم ربه وما يتبع ذلك من مسائل صحيح.

---

(١) الإسراء: ١.

(٢) صحيح البخاري (٣٨٨٧)، وصحيح مسلم (١٦٢).

وأما قوله دخل الجنة، هذا الظاهر من النصوص أنه رأى الجنة، ولكن هل الرؤية تقتضي الدخول أو لا تقتضي الدخول؟ بعض الروايات فيها التصريح بالدخول «ثم أُدخلت الجنة فإذا هي حبائل اللؤلؤ»[١] في البخاري، هذه الرواية إذا كانت محفوظة فمعنى ذلك أنه دخل الجنة، وهذا يحتاج تحقيقًا في هذه المسألة، لأن من استدل بأن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم رأى الجنة فالرؤية لا تقتضي الدخول، فقد رأى النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم ليلة المعراج أشياء، رأى سدرة المنتهى، ورأى النار عليه الصّلاة والسّلام، ورأى أشياء كثيرة، ورأى الأنبياء في كل سماء يرى نبيًّا، رأى أرواح الأنبياء في صورة الأجساد إلا نبيًّا من الأنبياء فقد رآه بروحه وجسده هو عيسى بن مريم، وأما ما ذكره البربهاري رحمه الله تعالى وأنه رأى سرادقات الكرسي والعرش؛ هذه يتوقف فيها على الدليل.

واعلم أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة وتأوي إلى قناديل تحت العرش، وأرواح الفجار والكفار في برهوت وهي في سجين.

.....

هكذا جاء النص أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر- تسرح في الجنة وتأوي إلى قناديل تحت العرش، وجاء في الحديث أن نسمة المؤمن طير يسرح في الجنة حتى يرجعه الله تعالى في جسده[٢]، وأما كون أرواح أهل الإيمان في الجنة، و أرواح الشهداء في حواصل طير خضر كما ورد في الحديث؛ هذا من فضل الله تعالى ومن مقدمات دخول الجنان، يعني ما دخل الجنة وإنما روحه في حواصل طير خضر-، ومع هذا قال أهل العلم: إن هذه الروح لها تعلق في الجسد المدفون، الإنسان إذا مات ودخل دار البرزخ الأمر في اللذة وفي العذاب والنعيم واقع على الروح والجسد، الجسد تبع للروح في دار البرزخ بخلاف دار الدنيا، ولها تعلقات عظيمة بالجسد لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، فنؤمن بما جاء في النصوص على ظواهر النصوص، وأما ما ذكره البربهاري أن أرواح الكفار في برهوت فهذا لا يصح فيه حديث[٣]، وظاهر الأدلة أن أرواح الكفار في

---

(١) صحيح البخاري (٣٣٤٢).

(٢) صحيح. النسائي (٢٠٧٣). صحيح الجامع (٢٣٧٣).

(٣) قال الشيخ الألباني رحمه الله في تحقيق كتاب الآيات البيّنات: (فقرة أرواح الكفار – يعني أنها في بئر برهوت - لم ترد في حديث مرفوع، وإنما هي آثار موقوفة ساقها ابن القيم، وكلها ضعيفة الإسناد، نعم، وقع مرفوعاً في مؤلف لأبي سعيد الخراز كما في مجموع الفتاوى لابن تيمية

سجين، وأن سجين هي الأرض السفلى وأنها محبوسة في ذلك المكان، والله تعالى أعلم.

والإيمان بأن الميت يقعد في قبره وتُرْسَلُ فيه الروح حتى يسأله منكر ونكير عن الإيمان وشرائعه، ثم تُسَلُّ روحُه بلا ألم، ويعرف الميتُ الزائرَ إذا زاره، ويتنعم المؤمن في القبر، ويعذب الفاجر كيف شاء الله.

.....

ما ذكره البربهاري صحيح في الإقعاد، وأن الإنسان إذا مات ودفن في قبره أنه يأتيه ملكان فيقعدانه، كما في رواية البخاري ومسلم[1]، وإقعاد الميت معروف من حال الانبطاح على الظهر حتى يقوم فيقعد، حال القعود معروف، وإنكار هذا منقول عن أهل البدع، ثم قال البربهاري: ثم تُسَلُّ روحُه، هذا لا أعلم؛ غلط في اللفظ؟ لأني أرى أنه إذا كان المراد الترتيب أنه بعد أن يقعدانه تُسَلُّ روحُه فلا أعلم لهذا دليل؛ فنحتاج دليلًا لهذه المسألة، وإن كان مراده الموت فنعم، فإن خروج روح المؤمن ليس كخروج روح الكافر، فإن روح الكافر كما جاء في حديث البراء تنزع انتزاعًا؛ بخلاف روح المؤمن؛ فإنها تَسِيل كسيلان الماء من السقاء أو كما ورد في الحديث[2]، ونعيم القبر وعذابه مما اتفقت عليه أهل السُّنَّة حتى بعض الطوائف الذين وقعوا في البدع وافقوا على الإيمان بعذاب الله ونعيمه لأهل القبور كالأشعرية، وإنما أنكر ذلك المعتزلة.

واعلم أن الشر بقضاء الله وقدره.

.....

سبق الكلام عن مسائل القضاء والقدر فلا نفصل فيها، وأن الله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر، ولهذا نُقِل عن بعض القدرية أن الله تعالى خلق الخير ولم يخلق الشر، من أوائل القدرية من قال بذلك، وهؤلاء عاصروا ابن عباس، ونقل عن ابن عباس قال: والله لا يزال رأيهم بهم حتى يخرجهم من القول بأن الله تعالى خلق الخير إلى أن يجعلوه لم يخلق الخير ولا الشر، فهم صار مذهبهم إلى مراتب، أي القدرية، فربما

(٤/ ٢٢١) لكن الخراز هذا صوفي مشهور، بيد أنه في الرواية غير معروف، انظر الضعيفة (٢/ ٢٠٩)).

(١) صحيح البخاري (١٣٧٤)، وصحيح مسلم (٢٨٧٠).

(٢) صحيح. أحمد (١٨٦١٤). تحقيق المشكاة (١/ ٥١٤).

طائفة منهم قالت: إن الله يخلق الخير ولا يخلق الشر، وهو داخل ضمن مسألة خلق أفعال العباد.

والإيمان بأن الله هو الذي كلّم موسى بن عمران يوم الطور، وموسى يسمع من الله الكلام بصوت وقع في مسامعه منه لا من غيره، ومن قال غير هذا فقد كفر بالله العظيم.

.....

ما قرَّره المؤلف حق، وهو أن موسى سمع كلام الله، الله تعالى قال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾(١)، وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾(٢)، ولهذا نقل عن عمرو بن عبيد – والله أعلم بصحة القصة لكن نذكرها للاستئناس – أنه أرسل إلى أحد الأئمة القراء؛ فقال: اقرأ "وكلم اللهَ موسى تكليمًا" بنصب لفظ الجلالة – يجعل موسى هو الذي كلّم اللهَ –، وليس الكلامُ صادرًا من الله، قال: هَبْنِي قرأت بهذا – بهذه القراءة؛ وليس فيها قراءة بنصب لفظ الجلالة –، فماذا تصنع بقول الله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾(٣)، لا تستطيع لها تصريف إلا أن الكلام صادر من الله سبحانه وتعالى إلى موسى بلا واسطة، وكلام الله لموسى بلا واسطة، وهذا الكلام كما قال كما قال أهل السُّنَّة بحرف يكتب وصوت يسمع، وأن الله تعالى يتكلم بحرف وصوت، حرف يكتب وصوت يسمع، هذا محل اتفاق بين أهل السُّنَّة، يذكرونه في اعتقادهم، كما ذكر ذلك ابن قدامة في اللمعة وابن خزيمة في التوحيد، وإنما نُقِل خلاف ذلك عن الجهمية المعتزلة، إنكار كلام الله عزّ وجلّ لموسى، قالوا: إن الله تعالى لم يكلم موسى، وإن الكلام الذي سمعه موسى هو كلام خلقه الله في الشجرة، فسمع موسى الكلام من الشجرة، كل ذلك – والعياذ بالله – من الانحراف والضلال المبين.

والعقل مولود أُعطي كل إنسان من العقل ما أراد الله، يتفاوتون في العقول مثل الذرة في السموات، ويُطلب كل إنسان من العمل على قدر ما أعطاه من العقل، وليس العقل باكتساب وإنما هو فضل من الله.

---

(١) النساء: ١٦٤.

(٢) الأعراف: ١٤٣.

(٣) الأعراف: ١٤٣.

.....

يشير البربهاري إلى أن العقل مخلوق، من خلق الله سبحانه وتعالى، وهذه مسائل يبحثها أهل العلم في تفاصيل مسائل متعددة لا يترتب عليها كثير شيء في هذا، ولكن ثمَّ ألفاظ الحقيقة تحتاج إلى تحقيق لأنه قال: يتفاوتون في العقول مثل الذرة في السموات، ولا يظهر لي ترابط بين هذا الكلام وقبله، فالمسألة تحتاج لضبط، وهذا شرح السُّنَّة للبربهاري يحتاج مزيد من التحقيق والعناية حتى تُضبط الألفاظ، والعقول تتفاوت هذا صحيح، وأما ما ذكره البربهاري رحمه الله تعالى من الاكتساب؛ فإن المعارف هي التي تُكتسب، وأما الله سبحانه وتعالى خلق الخلق وأعطاهم عقولًا يدركون بها ذلك، فهم يتفاوتون في ذلك ولكن المعارف تُكتسب اكتسابًا.

واعلم أن الله فضَّل العباد بعضهم على بعض في الدين والدنيا، عدلًا منه لا يقال جارَ ولا حابَى، ومن قال: إن فضل الله على المؤمن والكافر سواء فهو صاحب بدعة، بل فضَّل اللهُ المؤمنَ على الكافر والطائعَ على العاصي والمعصومَ على المخذول؛ عدلًا منه هو فضله يعطيه من يشاء ويمنعه من يشاء.

.....

هذه المسألة التي ذكرها البربهاري وأشار إليها، وأن الإنسان غير مجبور على الضلال، لم يجبر الله تعالى أحدًا على الضلال، لأن الله تعالى أخبر أنه الله يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء، وليس معنى ذلك الجبر، هذا يجرّنا إلى مسألة التوفيق والخذلان، الله تعالى يوفق من يشاء ويخذل من يشاء، أما التوفيق فقد جاء في النصوص في قوله تعالى ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾[1]، وهي من المسائل المترتبة على القضاء والقدر، يبحثها العلماء وهي مبحوثة في شرح الطحاوية، مسألة الإعداد والإمداد، فالتوفيق إمداد الله تعالى بعونه للعبد بالإعانة والتثبيت والتيسير وبذل الأسباب، فهو فضل من الله، وأما الخذلان فهو سلب التوفيق، فالتوفيق كرم وعطاء، والخذلان عدل وسلب، فالخلق من جهة الآلات والصفات على حدّ سواء، وكذلك هم من جهة قيام الحجج على حد سواء، والله تعالى يُنعم على من يشاء بالتوفيق والإعانة، ويمنع من يشاء فلا يسدده ولا يعينه ولا يفتح له الأسباب، بل يكِلُه سبحانه وتعالى إلى نفسه – وهذا هو معنى الخذلان –، أن الله عزّ

(١) هود: ٨٨.

وجلّ يوفق من يشاء ويخذل من يشاء، إذا التوفيق إمداد وتيسير وإعانة، وأما الخذلان فهو عكس ذلك، سلب توفيق، أما من جهة الآلات والصفات فالناس سواء، والله تعالى يقول: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾(١)، والله ينعم على من يشاء بالتوفيق والإعانة، ويمنع من يشاء فلا يسدده، فالله تعالى هو الذي ينعم على من يشاء بالتوفيق والإعانة، ويمنع من يشاء فلا يسدده ولا يعينه ولا يفتح له الأسباب، بل يكله إلى نفسه وهذا هو معنى الخذلان، وكونه سبحانه وتعالى جلّ وعلا أعان هذا وخذل هذا فبمشيئته سبحانه وتعالى، وعدل منه سبحانه وتعالى، والله تعالى أعلم بالمحال القابلة للهداية، واعلم بالمحال التي لا تقبل الهداية، فالمؤمن بإيمانه له مزيد إحسان من الله سبحانه وتعالى وتفضيل، لأن الله تعالى وفقه على الإيمان وفتح له الأبواب، لهذا الله سبحانه وتعالى يُحْمَدُ على الهداية للإسلام والإعانة، وإذا نظرت في النصوص لوجدت النصوص تدل على ذلك، الله تعالى يقول عن أهل النفاق ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾(٢)، خذلان، مع أنهم متمكنين عندهم آلات، ولكن الخذلان من الله سبحانه وتعالى، واعلم أن التوفيق درجات ودركات، فالله عزّ وجلّ قد يوفق الإنسان لباب ويمنع عنه باب، والناس درجات في التوفيق، فالله تعالى ينعم على العبد بالتوفيق بحسب أعماله التي تصدر منه، لأن النَّبيّ صلى الله عليه وسلّم كما جاء في الحديث القدسي «ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه»(٣) التقرب بالنوافل سبب للتوفيق، سبب للإعانة، إذًا الإضلال ليس جبرًا، الهداية ليست الجبر، وإنما هو توفيق، والضلال إنما هو خذلان، والله عزّ وجلّ لا يظلم الناس شيئًا، حتى تعلم هذا أن الله تعالى أقام العذر على أهل النار أنهم قال - إذا رأوا النار -: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾(٤)، الله حَكَمٌ عَدْلٌ، ما عذبهم بالنار إلا لاستحقاقهم ذلك، الله عزّ وجلّ أقام الحجج وقطع المعاذير وأرسل الرسل لئلا يكون للناس حجة على الله بعد الرسل، والله تعالى حَكَمٌ عَدْلٌ، إذا فهمت هذا فهمت مسألة التوفيق والخذلان التي يذكرها أهل العلم وتكلم عنها ابن أبي العزّ في مسألة الإمداد والإعداد.

---

(١) البلد: ١٠.
(٢) التوبة: ٤٦.
(٣) صحيح البخاري (٦٥٠٢).
(٤) الأنعام: ٢٨.

ولا يحل أن تكتم النصيحة أحدًا من المسلمين - برّهم وفاجرهم - في أمر الدين، ومن كتم فقد غش المسلمين، ومن غش المسلمين فقد غش الدين، ومن غش الدين فقد خان الله ورسوله والمؤمنين.

.....

هنا عظم النصيحة، حديث تميم الداري وخرجه مسلم في الصحيح، وليس له في مسلم إلا هذا الحديث «الدين النصيحة، الدين النصية، الدين النصيحة- ثلاثًا كررها – قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[(١)]، وكان الرسول صلّى الله عليه وسلّم أخذ البيعة على جرير بن عبد الله البجلي «النصح لكل مسلم»[(٢)]، فكان ناصحًا للمسلم، والنصح للمسلم إسداء المعروف إليه بألا تغشه، ولو تأملت ما ذكره البربهاري لوجدت واقع الناس بخلاف ذلك إلا من وفقه الله سبحانه وتعالى وأعانه، فالغش والكذب والتزوير وضعف الأمانة منتشر بين الخلق إلا من رحم الله سبحانه وتعالى، هذه فائدة، تعلم مسائل الاعتقاد وأثرها في سلوك الإنسان.

والله سميع بصير عليم، يداه مبسوطتان، قد علم أن الخلق يعصونه قبل أن يخلقهم، علْمُه نافذ فيهم، فلم يمنعه علمُه فيهم أن هداهم إلى الإسلام ومنَّ به عليهم كرمًا وجودًا وتفضلًا، فله الحمد.

.....

هذا تصريح بمسائل مهمة جدًا وسبق الكلام عليها، وصفة السمع والبصر عليها تدل النصوص، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[(٣)] في مواضع متعددة، وقال الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[(٤)]، وأهل السُّنَّة متفقون على أن لله سبحانه وتعالى يدين، والله سبحانه وتعالى سميع بصير محل اتفاق، ولا خلاف في ذلك، وقد قدمنا الكلام فيما يتعلق بمسائل الصفات ومنهج أهل السُّنَّة والقانون الذي ينبغي للإنسان والقاعدة التي ينبغي للإنسان أن يمشي عليها فيما أخبر الله تعالى به من أسمائه وصفاته وما أخبر به رسوله صلّى الله عليه وسلّم، ثم تكلم البربهاري على أن عِلْمَ الله سبحانه وتعالى نافذ في خلقه، وسبق أن

---

(١) صحيح مسلم (٥٥).
(٢) صحيح البخاري (٥٧).
(٣) النساء: ١٣٤.
(٤) المائدة: ٦٤.

تكلمنا عن مسائل العلم، ونكتفي بهذا القدر، والغد نكمل، ونحن وصلنا الآن إلى العنوان في الترقيم الذي بين يدي إلى رقم ثمانين، وإن شاء الله في المجلس الخامس نأتي إلى مسائل كثيرة، وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد، والآن نجيب عن الأسئلة.

- هذا يقول: ما وجه مَنْ أنكر الحرف في كلام الله عزّ وجلّ؟

هذا إنما وقع من الأشعرية في إنكار الحرف لأنهم يقولون بالكلام النفسي.

- هذا يقول: هل يعلم الميت من يزور قبره ويستأنس به؟

ورد في بعض الآثار أن الميت يستأنس وكذا، ولكن لم تصح هذه الأحاديث والآثار؛ فيتوقف فيه على النص(١).

- يقول: هل من وصل رحمَه من أجل أن يطول العمر فقد خدش الإخلاص؟

بحسب الباعث، والأصل في الإخلاص التنقية، إذا كان هذا الذي يبعثه وحده فلا شك أن هذا يضعف الإخلاص وربما يُفسد العمل.

- هل يدخل في أجر الشهيد من ذكر الرسول صلّى الله عليه وسلّم الغريق والحريق؟

ظاهر النصوص أنه داخل في الشهداء، لكنه ليس كالشهيد الذي يُقتل في المعركة.

- يقول: استدل المشركون في جواز التوسل بالقبر وبجاه النَّبيّ – تكليم النَّبيّ يعني – وأن الموتى يسمعون كلامه.

هذه المسألة؛ أهل الأهواء والشبهات التي يستدلون بها لا حدّ لها، والشبهات بحر لا ساحل له، وهم ينزعون إلى المتشابه من الألفاظ ليشبهوا على الناس به، والرد عليهم أن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قُبِرَ في قبره؛ والصحابة رضي الله عنهم ما جاءوه في قبره ولم يسألوه ولم يطلبوا منه شيئًا، ونزلت بهم حوادث ومُلِمَّات ولم يسألوه، في وقت الردّة اختلف الصحابة هل يمضي أبو بكر جيش أسامة أو يقاتل المرتدين ومع ذلك ما أحد جاء النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم وقال: يا رسول الله أفتنا في هذا؟ لأنهم يعرفون أن الإنسان إذا مات انقطع من الدنيا.

---

(١) حديث (ما من عبد يمر بقبر رجل – كان يعرفه في الدنيا – فيسلم عليه؛ إلا عرفه وردّ عليه السّلام) ضعيف، وقال ابن الجوزي رحمه الله في العلل المتناهية (٢٢٩/ ٢): (هذا حديث لا يصح، وقد أجمعوا على تضعيف عبد الرحمن (وهو ابن زيد بن أسلم)).

- هذا يقول: ولو عذب أهل السموات والأرض برّهم وفاجرهم؛ عذبهم غير ظالم، وقد ذُكِر في عقيدة الإمام السفاريني نحو هذا الكلام، وقد درسه أهل العلم (كلمة غير واضحة) لا يجوزون على الله تعالى أن يعذب أهل الطاعة.

هذا لعله في الغد نتكلم عليه إن كان هناك متسع في الوقت، هذا من التوسع في الألفاظ، من التوسع في بيان أن الله تعالى حكم عدل، الخلق خلقه والملك ملكه، ولهذا ينبغي للإنسان أن لا يتوسع في الألفاظ.

- هذا يسأل عن مسألة تسلسل الحوادث؟

هذه لعلنا إن شاء الله نتكلم عنها في موضعها.

- ما معنى قول المؤلف: هو مؤمن مسلم بالاسم لا بالحقيقة؟

أي في معاملته، لأنه لا يعلم ما في القلوب إلا الله سبحانه وتعالى.

- إذا كان الشخص من أهل السُّنَّة ووافق الخوارج في أصل من أصولهم فهل يلحق بهم؟

بحسب هذا الأصل إذا كان موافقًا للخوارج لأصل من أصولهم فلا شك أنه من الخوارج، بحسب هذا الأصل، وربما يتكلم الإنسان في مسألة ويظن أنها أصل وليست أصلًا.

- ما هي سرادقات العرش؟

السرادق هو مثل السور، وقلت: لم يثبت فيتوقف.

- من هو الحسن بن صالح؟

لا أعرف هذا[1].

- يسأل ذا الكفل؟

يراجع في كتب التفسير.

- ما معنى قول النَّبيّ إن الله يضحك إلى رجلين[2]؟

هذا الحديث مفسر أن هذا رجل يكون كافرًا فيقتل المؤمن؛ فيدخل المؤمنُ الجنةَ؛ فيسلم الكافرُ فيدخل

(١) هو الحسن بن صالح بن صالح بن حي الهمداني، الإمام الكبير، أحد الأعلام، أبو عبد الله الهمداني، الثوري، الكوفي، الفقيه، العابد، أخو الإمام علي بن صالح، من كبار أتباع التابعين. انظر سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٧/ ٣٦١).
(٢) سبق تخريجه.

الجنة، فيضحك الله تعالى إلى هذين الرجلين.

- قول الشافعي ناظروهم أو حاجّوهم بالعلم فإذا أقروا به خُصموا؟

يعني إذا أقرّ بالعلم خلاص أقرّ بالقدر، لأن من مراتب القضاء والقدر مرتبة العلم، وهم ينكرونها، فإذا أقرّوا بها أقرّوا بالقدر، وإذا أنكروا فقد كفروا بالقدر الذي هو ركن من أركان الإيمان.

- قال: ذكر المؤلف أن الميت يعرف الزائر إذا زاره.

سبق، وأنه فيها آثار وأحاديث لا يصح فيها شيء.

- هذا يقول: هل يجوز التصدق بنية الشفاء؟

هذه سبق الكلام عليها أن التصدق بنية الشفاء وبنية الولد وبنية كذا، هذا لا يفيد، السلف ما كانوا يفعلون هذا، قد يقول القائل: كيف يكون هذا؟ ورد أحاديث «داووا مرضاكم بالصدقة»[1]، هذا يتكلم في مثل هذه المسائل أن الإنسان من أسباب قبول الدعاء ومن أسباب نفع الإنسان ودفع الأمور عنه واستجابة الدعاء أن يتصدق الإنسان، لكن أن يكون بنية الشفاء أو أن يكون بنية كذا! ما أعرف هذا والله، هذا التوسع فيه بعض الناس وبعض الدعاة وليس عليه دليل، وأنا ذكرت لك ما يخالف هذا.

- هذا يقول إحالتنا إلى كتاب في مداخل الشيطان.

كتاب إغاثة اللهفان لابن القيم وكتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي.

- ما الرد على من يقول أنه يكفي أهلَ الكتاب الإيمانُ بالله دون الإيمان بالرسول صلّى الله عليه وسلّم؟

لا تلتفتون إلى هذا الكلام، مما وقع الإجماع عليه أنه أهل الكتاب أنهم لا يكونوا على الإيمان إلا إذا آمنوا برسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

- هذا يقول: القرآن واللوح المحفوظ.

نعم، اللوح المحفوظ الذي كتب الله عزّ وجلّ فيه كل شيء، والقرآن كلام الله سبحانه وتعالى الذي تكلم به، هذا وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وإلى لقاء إن شاء الله.

الشريط الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) حسن. صحيح الجامع (٣٣٥٨)، وعزاه الشيخ الألباني رحمه الله إلى (أبو الشيخ في الثواب).

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشـهد أن محمـدًا عبـده ورسـوله وصفيه من خلقه، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد

فهذا هو المجلس الخامس في شرح كتاب شرح السُّنَّة للإمام البربهاري رحمه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المؤلف رحمه الله تعالى ووالدينا وشيخنا والحاضرين:

واعلم أن البشارة عند الموت ثلاث بشارات، يقال: أبشر يا حبيب الله برضا الله والجنة، ويقال: أبشر يـا عدو الله بغضب الله والنار، ويقال: أبشر يا عبد الله بالجنة بعد الانتقام. هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما.

.....

هذه المسألة تتعلق بتبشير الميت، وقد جاء في حديث البراء بن عازب الطويـل أن المـؤمن يقـال لنفسـه: «أيتها النفس المطمئنة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان»[1] وأن الفاجر أو الكافر يقال لنفسه «أخرجي إلى غضب من الله وسخطه»، ويدل على أن هذه البشارة واقعة لأهل الإيمان قول الله تعـالى: ﴿يَـا أَيَّتُهَـا الـنَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[2]، وكذلك ما ذكـره المؤلـف يدل عليه قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[3]، وفي قول جمع من المفسرين أن هذه البشارة تكون عند خروج الروح من الحلقوم حينما يُغرغر الإنسان فإما أن يُبَشَّر بالجنة وإما أن يُبشر بالنار – نسـأل الله السّـلامة والعافيـة –. وما ذكره البربهاري رحمه الله تعالى من ألفاظ يقال: أبشر يا حبيب الله أو أبشر يا عبـد الله؛ فهـذه مـن ألفـاظ يُتوقف فيها على ورود الدليل، وأما أصل البشارة فهذا واقع كما قد ذكرت لك من الأدلة.

---

(١) صحيح. ابن ماجه (٤٢٦٢) بنحوه. صحيح الجامع (١٩٦٨).

(٢) الفجر: ٢٧ – ٣٠.

(٣) فصلت: ٣٠.

واعلم أن أول من ينظر إلى الله في الجنة الأضرّاء، ثم الرجال ثم النساء بأعين رؤوسهم كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تُضامُون في رؤيته)[1] والإيمان بهذا واجب وإنكاره كفر.

.....

طبعًا ما قاله البربهاري رحمه الله تعالى في الأضرّاء؛ المقصود جمع ضرير، والضرير هو الأعمى وقد جاء في الحديث أن أول من ينظر إلى الله عزّ وجلّ هم الأضراء[2]، ولكن هذا الحديث لا يصح، ففي سنده مقال، وقد خرّج هذا الحديث اللالكائيّ في شرح أصول الاعتقاد بسنده والديلمي في الفردوس ولا يصح له إسناد، فالأصل في مثل هذا أن يُتوقف فيه على صحة الدليل وليس ثمّ دليل صحيح في هذه المسألة، أما أن الرؤية سوف يرى أهل الإيمان ربهم كما يرون القمر فقد صح في ذلك الأمر أحاديث كثيرة وقد قدمنا عن مسألة الرؤيا وأنها ثابتة كما قد قدمنا لكم في ما سبق.

وأما ما ذكره البربهاري رحمه الله تعالى: فالإيمان بهذا واجب هذا لاشك فيه، وهذا إنكاره كفر، هذا بحسب هذا الإنكار، لأنه قد يَتأول فلا يكفر، قد يتأول في هذه النصوص فلا يكفر، أما إذا كان على وجه الجحود والإنكار فلا شك أن ذلك كفر.

واعلم رحمك الله أنه ما كانت زندقة قط ولا كفر ولا شكٌّ ولا بدعة ولا ضلالة ولا حيرة في الدين إلا من الكلام وأصحاب الكلام والجدال والمراء والخصومة، والعجب كيف يجترئ الرجل على المراء والخصومة والجدال والله تعالى يقول: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[3]، فعليك بالتسليم والرضى بالآثار وأهل الآثار والكفّ والسكوت.

.....

هذه الوصية العظيمة من البربهاري رحمه الله تعالى نصيحة ووصية من مشفق بالابتعاد عن علم الكلام

---

(١) صحيح البخاري (٥٥٤).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٣/ ٥٧٨)، عن الحسن مقطوعًا.

(٣) غافر: ٤.

وبيان أن علم الكلام يورث الزندقة والكفر -والعياذ بالله-، ولهذا عِلْمُ الكلام يطلق عند السلف على كثرة الكلام والجدال ومخالفة السُّنَّة في الاستدلال على مسائل الاعتقاد، يمكن أن نقول في تعريفه: هو كثرة الكلام والجدال -تقريب لتعريف علم الكلام- ومخالفة السُّنَّة في الاستدلال على مسائل الاعتقاد بالأدلة المنطقية المأخوذة من علم المنطق، منطق أرسطو، يعني هذا تعريف مختصر ـ محل اجتهاد، كدليل الإمكان ودليل الحدوث ودليل الأعراض، كل هذا داخل في علم الكلام، هذا هو علم الكلام، والذين يستدلون طبعًا هذه مسألة طويلة جدًا تتعلق بأن أهل البدع عمومًا يجتمعون على الأخذ بعلم الكلام والاستدلال بالأدلة المنطقية التي ورثوها من علوم الأولين -علوم اليونان والإغريق- مقدمات منطقية يحكِّمُونها على الأدلة من كتاب الله وسُنَّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم، ومن ذلك دليل الأعراض وحدوث الأجسام الذي جعلوه أصلًا لهم في الدين، وصاروا لأجل هذا الدليل يتعسفون في رد النصوص ووقعوا في أمور كثيرة جدًا من الضلال، فعلى سبيل المثال الأشعرية ما نفت رؤية الله عزّ وجلّ، قالوا: يرى لا في جهة؛ إلا بسبب مقدمات علم الكلام، ما يتعلق بالتحيّز، وأنه ما كان في جهة كان متحيزًا، وما كان متحيزًا فهو جسم، قواعد صاروا يحتكمون إليها بالنظر إلى النصوص، طبعًا هذا بسبب أنهم بنوا هذا الأمر على مقدمة باطلة، وأنه لم يعلموا صدق الرسول صلّى الله عليه وسلّم إلا بما يُعلم به في حدوث العالم، لأنهم أثبتوا حدوث هذا العالم، أن هذا العالم مُحدث وليس بمخلوق بالدليل العقلي، فجعلوا العقل أصلًا في مسائل كثيرة جدًا، فجعلوا العقل أصلًا والنقل فرعًا، هذا في الحقيقة مخالف لما جاءت به النصوص، مخالف لما جاء به محمد صلّى الله عليه وسلّم، ولكن كما قد قدمت لك أن البدع تبدأ شيئًا فشيئًا، تبدأ شبرًا ثم ذراعًا ثم فراسخ ثم أميال، حتى بعضهم خرج من دين الإسلام بسبب علم الكلام، ولهذا السلف رحمهم الله شدَّدوا النكير بالكلام على ذمِّ ما يسمى بعلم الكلام، لأنه ليس بعلم بل جهل، هم يسمونه علم الكلام وهو ليس بعلم، بل هو جهل، ولهذا قال البربهاري: من الكلام وأهل الكلام، ما قال علم الكلام، لكن تجوّزاً هم يسمونه علم الكلام؛ أصحاب الكلام، ولهذا الشافعي مقولة مشهورة عنه يقول: حكمي بأهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم بين العشائر والقبائل؛ فيقال: هذا جزاء من أعرض عن السُّنَّة وأخذ بعلم الكلام[1]، في وقت

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١١٦).

الشافعي وقبل الشافعي رحمه الله ظهر الأخذ بما يسمى بعلم الكلام، وهذا الإمام أحمد يقول: لا تجالسوا أهل الكلام وإن ذَبُّوا عن السُّنَّة[1]، لأن بعض الفرق البدعية تنتحل علم الكلام لنصرة السُّنَّة كما يزعمون، كما يفعل الأشاعرة يردّون على المعتزلة، كذلك حتى بعضهم يدخل بنية قد تكون صحيحة يريد أن يتعلم ما يسمى بعلم الكلام يثبت الدين ويثبت السُّنَّة، ومع ذلك هذا كما قال الإمام أحمد: لا تجالسوا أهل الكلام وإن ذَبّوا عن السُّنَّة، ولهذا قال عنهم من قال: أن أهل الكلام لا الإسلام نصروا ولا الفلاسفة كسروا، ما كسروا الفلاسفةَ القائلين بقِدَم العالَم، هم يناظرون في مسألة حدوث العالم وأن هذا العالم مُحدث وليس بمخلوق، ولهذا علم الكلام ماذا أورثهم؟ أورثهم الشك والحيرة، الغزالي وكان من كبار النُّظَّار والمتكلمين ترك علم الكلام وأعرض عنه ودخل في التصوف، هو يقول عنهم -الغزالي- يقول عنهم: أكثر الناس شكً عند الموت أهلُ الكلام، وهو منهم، قضى برهة من زمنه ودهره في علم الكلام، ولهذا ألف كتابًا اسمه إلجام العوام عن علم الكلام، والرازي والجويني وابن واصل الحموي وجمع والشهرستاني وغيره وغيره، كلهم نُقل عنهم الحيرة عند الموت، الرازي يقول: (قد تأملت الطرق الكلامية فما وجدتها تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا، وخير الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[2][3]، ولذلك الشهرستاني يقول: "نهاية إقدام العقول عقال، وأكثر سعي العالمين ضلال، وأرواحنا في وحشة من جسومنا، وحاصل دنيانا أذى ووبال، ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أنَّا جمعنا قيل وقالوا"[4]، وأحدهم يقول "أضع الملحفة على وجهي وأمكث طول الليل في البحث والاعتراض، قالوا وقلنا، اعترضوا وقلنا"، ما استفاد شيء، ما استفاد العلم النافع، ولهذا سبحان الله الدلالة على أن هذا العلم منبوذ ولا يوافق دين الإسلام أن هذا بالفِطَر، الفِطَر الصحيحة تنكر هذا الكلام الذي يسمونه علم الكلام وأهل الكلام، ولهذا يقال إنه لما خرج الرازي وتبعه الطلاب، فرأته امرأة عجوز هذا الرجل الذي يتبعه الطلاب، قالت: من هذا الرجل؟ قالوا: هذا يعرف على وجود الله تعالى ألف دليل، قالت: والله لو لم يكن عنده شك ما احتاج إلى أن

---

(١) مناقب الإمام أحمد (ص٢٠٥).

(٢) طه: ٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٢١/ ٥٠١).

(٤) هذا معزو للفخر الرازي أيضًا كما في تاريخ الإسلام للذهبي (١٣/ ١٤٠).

يعرف على وجود الله ألف دليل، هذه فطرتها، ولهذا هم قَضوا أعمارهم في تقرير توحيد الربوبية وإثبات أن هذا العالم مُحدث وليس بقديم، فما أورثهم هذا إلا الشك والحيرة إلا من تداركه الله عزّ وجلّ برحمته، ونقل عن بعضهم التوبةُ، ولهذا يقولون إن الجويني لما جاء في آخر عمره قال: أموت على دين عجائز نيسابور[1]، والبربهاري رحمه الله تعالى يوصيك بترك المراء والخصومة والجدال في الله تعالى والخوض في مثل هذا، وأنه يجب على الإنسان أن يُمسك، وأن يتلقى الدليل بالقبول والتسليم والإذعان والاتباع لا بالرد، وبعض الناس يعتمد على عقله، العقول ما تهديك إلى الحق، العقل لا يهديك لوحده، لا بد من الاهتداء بنور الوحي حتى تهتدي، وإلا هؤلاء كما قال عنهم شيخ الإسلام أوتوا ذكاء ولكن ما ينفعهم الذكاء، ما فائدة الذكاء إذا ما كان على الطريق الصحيح.

والإيمان بأن الله تبارك وتعالى يعذب الخلق في النار بالأغلال والأنكال والسلاسل، والنار في أجوافهم وفوقهم وتحتهم، وذلك أن الجهميّة منهم هشام الفوطي، قال: إنما يُعذِّب عند النار؛ ردًا على الله وعلى رسوله.

.....

هذا يتكلم كما قد ذكرت لك البربهاري يذكر لك المسائل التي في عصره فهو مرآة عصره، ولذلك مثّل لك بمسألة عَنْوَنَ بها لأنه تكلم بها من تكلم من المعتزلة، وهذا حق أن الله تعالى يعذب أهل النار فيما أخبر الله عزّ وجلّ كما ذكر الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[2]، وأنهم يفترشون النار، ويلتحفون النار، وما جاء في الأحاديث والسُّنَّة الصحيحة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، هذا حق، ولهذا هذا الفوطي – هشام الفوطي– هذا معتزلي صاحب كلام وجدال، وذُكِرَ في ترجمته أنه صاحب تنطع، والظاهر من كلام البربهاري فيما نقله عنه أنه من جملة مُنْكِرَةِ الأسباب، وأنتم تعرفون أن مُنْكِرَة الأسباب في مسائل القدر هم الذين يقولون: إن الله عزّ وجلّ يفعل عند الشيء لا به، نفاة الأسباب الذين ينفون أن للأسباب تأثيرًا، وهذا يقول به طائفة من الجبرية والأشعرية، هذا قد يكون، والغريب أنه ذكر في ترجمته أنه معتزلي، فلا يستبعد أن

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٨/ ٧٥).

(٢) الحج: ٢١.

يكون هذا الرجل في هذه المسألة على طريقة الجبرية في مسألة الأسباب.

الحاصل أنهم يقولون: إن الله يفعل عند الشيء لا به، فعند الأشعرية ومنهم الجبرية يقولون: إن الله عزّ وجلّ: السكين حينما تقطع؛ الله عزّ وجلّ يخلق القطع عند الملامسة، وإلا ما ثمَّ أن السكين نفسها تقطع، كل ذلك -والعياذ بالله- سبب لدخولهم في مباحث القضاء والقدر على غير طريقة أهل السُّنَّة، لأنهم يزعمون أنهم لو أثبتوا أن السبب له تأثير لأثبتوا مؤثرًا غير الله عزّ وجلّ، وإذا قلنا بأن ثمّ مؤثرٌ غير الله؛ معنى ذلك أن هذا العالم فيه مؤثر غير الله وذلك قدح في الربوبية، كل هذا باطل، فالله عزّ وجلّ هو الذي خلق الأسباب وهو الذي خلق التأثير فيها، وليس في ذلك شيء، وهو القادر على سلب الأسباب والتأثير، فالسكين قاطعة في ذاتها، والله قادر على نزع تأثير القطع، والنار بذاتها محرقة، والله تعالى قادر على نزع خاصية الإحراق، لأن الله عزّ وجلّ هو خالق الأسباب وخالق مسبب الأسباب سبحانه وتعالى، ولا يقع في ملكه سبحانه وتعالى إلا ما يريد.

واعلم أن الصّلاة الفريضة خمس لا يُزاد فيهن ولا ينقص في مواقيتها، وفي السفر ركعتان إلا المغرب فمن قال: أكثر من خمس فقد ابتدع، ومن قال: أقل من خمس فقد ابتدع، لا يقبل الله شيئًا منها إلا لوقتها؛ إلا أن يكون نسيان؛ فإنه معذور يأتي بها إذا ذكرها، أو يكون مسافرًا فيجمع بين الصلاتين إن شاء.

.....

طبعًا لعل المؤلف يورد هذه المسألة ومسائل الفروع يرد بها على الرافضة الذين يجمعون بين الصلوات ويؤخرون الصلوات، وكان البربهاري في بلده بجواره الروافض فلا يستبعد أنه يريد الرد عليهم، فإن الرافضة لا يصلون المغرب حتى تشتبك النجوم ويجمعون بين الصلوات ويصلون على طريقة بدعية كما هو معلوم من مذهبهم، وأما ما ذكره البربهاري رحمه الله تعالى أن الناسي إذا نسيها يصليها إذا ذكرها فقد ثبت ذلك في السُّنَّة، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[1]، هذا محل اتفاق، والمسافر يجمع بين الصلاتين، هذا قول جمهور أهل العلم وقول كافة العلماء في هذا وقد قدمنا الكلام في مسألة الجمع.

---

(١) طه: ١٤.

والزكاة من الذهب والفضة والثمر والحبوب والدّواب على ما قال رسو ل الله صلّى الله عليه وسلّم، فإن قسمها فجائز، وإن أعطاها الإمام فجائز.

.....

يتحدث البربهاري عن نصاب الذهب والفضة وعن الزكاة فيه وأنها واجبة في هذه الأجناس التي ذكرها، الذهب والفضة واجبة فيها الزكاة، ونصاب الذهب عشرون مثقالًا الذي تجب فيه الزكاة، أي ما يساوي الآن خمسة وثمانين غرامًا، وأما الفضة فمئتي درهم، ما يساوي بالغرا م خمسمائة وخمس وتسعين غرامًا، وفيه ربع العشر، فإذا حال عليه الحول وبلغ النصاب وجبت فيه الزكاة، وكذلك الحبوب، ما كان مكيلًا ومدخرًا، فإن نصاب الحبوب خمسة أوسق كما جاء عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم[1]، وبالصاع ثلاثمئة وبالمد ألف ومئتين مد، وبالكيلو سبعمائة وثمانية وستين كيلو، فإذا بلغ النصاب وجبت فيه الزكاة، وأما الإبل فنصاب الإبل خمسة، ومن الغنم أربعون، والبقر ثلاثون، كما قد جاءت في ذلك الأحاديث، فإن قسمها فجائز، يعني إن تولى هذا فجائز وإن أعطاها فهذا الإمام جائز ويُسْقِط وجوبَ الزكا ة عنه.

واعلم أن أول الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

.....

يشهد لهذا العنوان الذي ذكره البربهاري ما جاء في حديث معاذ بن جبل وفيه أن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أرسله إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»[2]، وفي رواية إلى أن يوحدوا الله[3]، وفي رواية إلى عبادة الله وأني رسول الله، الشهادتين، وهذا أول الواجبات، ولهذا كل دعوة لا تقوم على التوحيد فهي دعوة ليست على هدي النُّبوّة، فأول ما يُدعى الناسُ إليه توحيدُ الله عزّ وجلّ، تذكيرهم بهذا الأمر.

---

(١) صحيح البخاري (١٤٤٧).

(٢) صحيح البخاري (١٤٩٦).

(٣) صحيح البخاري (٧٣٧١).

وأن ما قال الله كما قال، ولا خلف لما قال، وهو عند ما قال، والإيمان بالشرائع كلها.

.....

الإيمان بالشرائع كلها ما أخبر الله عزّ وجلّ، قبل ذلك واعلم أن ما قال الله كما قال ولا خلف، يعني الإيمان بما قال الله عزّ وجلّ وبوعده ووعيده سبحانه وتعالى، وعده لا يخلف، ووعيده للعصاة قد يعفو الله عزّ وجلّ عن العصاة؛ وإن أوعدهم، ثم قال: والإيمان بالشرائع كلها، يعني نؤمن بما أنزل الله عزّ وجلّ من الشرائع على نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، وما أنزله الله تعالى على أنبيائه في كافة أبواب الدين، كل الشرائع ما جاء عن الله وعن رسوله صلّى الله عليه وسلّم نؤمن بها ولا نبطلها بالتأويل ولا بما يُورث مخالفة ما جاء عن الله وعن رسوله صلّى الله عليه وسلّم.

واعلم أن الشراء والبيع ما بيع في أسواق المسلمين حلال، ما بِيْعَ على حكم الكتاب والإسلام والسُّنَّة من غير أن يدخله تغيير أو ظلم أو جَور أو خلاف للقرآن أو خلاف للعلم.

.....

يتكلم البربهاري عن البيع والشراء، وربما يكون لبيان أن بعض الناس أسرفوا في التشكيك والوسوسة حتى حرّموا على الناس البيع في الأسواق، أو أن بعضهم ربما يكون ثمَّ أمور تُحْدِثُ فتنةً والأموال التي تجلب والبضائع التي قد تكون اكتسبت بغير طريق شرعي فيمتنع بعض الناس عن البيع والشراء في بلاد المسلمين، والله عزّ وجلّ قال: ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[1]، فالبيع حلال، والأصل في المبايعات الحل، وأما هذا التشكيك فهذا ليس بصحيح وهذا من قبيل الوسواس وليس من الورع في شيء، الإنسان يتعاطى البيع والشراء المباح في الشريعة، أما الذي فيه شبهات وفيه أشياء فهذا يتركه الإنسان المسلم ويبتعد عنه، لكن البيع والشراء المعروف في صوره المعروفة التي يتفق الناس عليها فلا شيء في ذلك.

---

(١) البقرة: ٢٧٥.

واعلم رحمك الله أنه ينبغي للعبد أن تصحبه الشفقة أبدًا ما صحب الدنيا؛ لأنه لا يدري على ما يموت وما يختم له وعلى ما يلقى الله وإن عمل كل عمل من الخير، وينبغي للرجل المسرف على نفسه أن لا يقطع رجاءه من الله تعالى عند الموت ويحسن ظنه بالله تعالى ويخاف ذنوبه، فإن رَحِمَهُ اللهُ فبفضل، وإن عَذَّبَهُ فبذنب.

.....

هذه العبارات عظيمة الأثر فيها، فيها وعظ للإنسان، والإنسان لا بد أن تصحبه الشفقة يعني الخوف من الله عزّ وجلّ، وقد قدمنا لكم أنه في حال السّلامة يُغَلَّبُ جانب الخوف، لأنه يقول: ما صحب الدنيا، لماذا يخاف؟ لأنه لا يدري فيما يموت عليه، القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، والإنسان لا يدري بما يُختم له، ولهذا كان السلف يخافون من سوء الختام، لأن الإنسان لا يدري بما يختم له، وعلى ماذا يلقى الله عزّ وجلّ؟ هل يلقاه على طاعة أم على معصية، ولهذا يكون الإنسان في حال الدنيا خائف وراجي ولكن يغلب جانب الخوف، قال: وإن عمل كل عمل من الخير، لأنه لا يعرف هل هذه الأعمال تُقبّلت أو لم تقبل، لأن مدار الأعمال على الإخلاص، ولأنه لا قبول للعمل إلا بشرطين، الإخلاص والمتابعة، والمتابعة يجده الإنسان من نفسه لكن الإخلاص لا يعلم هو مخلص أو غير مخلص إلا رب العالمين، لأنه لا يعلم ما في القلوب إلا الله سبحانه وتعالى، لأنه لا يعلم هل هذه الأعمال مقبولة، ولهذا نقل عن بعض السلف كابن عمر: "وددت لو علمت أن الله تقبل مني ركعتين فأموت" لأنه لا يعرف، والسلف كانوا يخافون من قبول الأعمال، لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1]، ونقل عن السلف رحمهم الله أنهم كانوا يدعون ربهم ستة أشهر أن يُبلّغهم الله رمضان وبعد رمضان ستة أشهر أن يتقبل الله منهم، فهم بين الخوف في كلا الحالين، فيكون الإنسان خائف، ثم قال: وينبغي للرجل المسرف على نفسه أن لا يقطع رجاءه، لأن الإنسان لا بد أن يكون راجيًا، والخوف والرجاء كجناحي الطائر، والإنسان المسرف على نفسه لا ينبغي أن ييأس من رحمة الله، لأنه إذا زاد الخوف عليه وانقطع الرجاء يئس من رحمة الله، واليأس والقنوط من رحمة الله كفر -والعياذ بالله-، ولهذا قال: عند الموت، يعني إذا حضره الموت حتى لو كان مسرف فإنه يُحَدَّثُ بأحاديث الرجاء ويُذَكَّرُ بما عنده من الخير، قال: ويُحْسِن ظنّه بالله، لما قد قدمت لك من كلام السلف أنه يُغلّب جانب الخوف في حال

(١) المائدة: ٢٧.

السّلامة وأما في حال الاحتضار فإنه يُغلّب جانب الرجاء، لأن النَّبيّ قال: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه»[(١)]، حسن الظن مطلوب، تُحسن الظن بربك، بينما في حال السّلامة تخاف وترجو، هكذا مذهب أهل السُّنَّة بين الخوف والرجاء.

والإيمان بأن الله تبارك وتعالى أَطْلَعَ نبيَّه على ما يكون في أمته إلى يوم القيامة.

.....

هذا يدل عليه ما ورد في الحديث في صحيح مسلم من حديث أبي زيد؛ عمرو بن أخطب قال: صلّى بنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت صلاة الظهر فنزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس؛ فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا[(٢)]، يعني النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أخبرهم بما هو كائن وبما كان، حدثهم، لهذا جاء في بعض الروايات حتى أدخل أهل الجنةِ الجنةَ، ولهذا ذكرت لك ما نقل عن أبي هريرة أنه قال: حفظت من رسول الله وعاءين، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر لو بثثته لقُطِعَ مني هذا الحلقوم[(٣)]، ولهذا في بعض الروايات أن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم سمى لهم في هذا المقام أسماء الرجال وأسماء من تكون الأحداث والفتن الكبار على أيديهم، ولكن نسي من نسي وحفظ من حفظ، ولهذا كان حذيفة يقول وهذه حكم يعلمها الله تعالى بأن أسماء رؤوس الفتنة ورؤوس أهل الفتن أن الله عزّ وجلّ لم يظهر عليه، هذه حكم، قال حذيفة: فإذا حدث شيء كأنني أتذكر ذلك الذي حدثنا به صلّى الله عليه وسلّم -يتذكره بعد وقوعه-، ولهذا كما قدمت لك أبو هريرة من الأسباب التي بيّناها أن أبا هريرة لم يُحدّث بذلك الوعاء قال: حتى لا يُكَذَّب، قال: "فإني لو حدثتكم أنكم تقتلون إمامكم لما صدقتموني"[(٤)] وفي رواية "لكذبتموني"، إذًا النَّبيّ حدثهم كما جاء في الأحاديث أنهم يقتلون إمامهم وهو عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأما ما يتعلق

---

(١) صحيح مسلم (٢٨٧٧).

(٢) صحيح مسلم (٢٨٩٢).

(٣) صحيح البخاري (١٢٠).

(٤) البداية والنهاية ط إحياء التراث (٨/ ١١٤).

بعرض أعمال الأُمَّة على محمد صلّى الله عليه وسلّم وأن أعمال الأُمَّة تُعرض عليه فهذا لا يصح فيه حديث[1]، ولا يثبت عليه دليل وإن قال به من قال.

واعلم أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة؛ كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة»[2]، قيل: يا رسول الله؛ من هم؟ قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[3]، وهكذا كان الدين إلى خلافة عمر رضي الله عنه، وهكذا كان في زمن عثمان رضي الله عنه، فلما قُتِل عثمانُ جاء الاختلاف والبدع، وصار الناس أحزابًا، وصاروا فرقًا، فمن الناس من ثبت على الحق عند أول التغيير وقال به ودعا الناس إليه فكان الأمر مستقيمًا حتى كانت الطبقة الرابعة في خلافة بني فلان؛ انقلب الزمان وتغير الناس بالداء، وفشت البدع وكثرت الدعاة إلى غير سبيل الحق والجماعة، ووقعت المِحَنُ في شيء لم يتكلم به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا أصحابه، ودعوا إلى الفُرْقَة، ونهى رسول الله عن الفرقة، وكفَّر بعضهم بعضًا، وكلٌّ داع إلى رأيه وإلى تكفير من خالفه، فضلَّ الجهالُ والرعاعُ ومن لا عِلْمَ له، وأَطْمَعُوا الناس في شيء من أمر الدنيا، وخوفوهم عقابَ الدنيا؛ فاتبعهم الخلق على خوف في دنياهم ورغبة في دنياهم، فصارت السُّنَّة وأهلها مكتومين، وظهرت البدع وفشت، وكفروا من حيث لا يعلمون من وجوه شتى، ووضعوا القياس، وحملوا قدرة الرب في آياته وأحكامه وأمره ونهيه على عقولهم وآرائهم، فما وافق عقولَهم قبلوه وما لم يوافق عقولَهم ردّوه، وصار الإسلام غريبًا والسُّنَّة غريبةً وأهل السُّنَّة غرباء في جوف ديارهم.

.....

رحم الله البربهاري، في هذه الكلمات العظيمة يلخص ما وقع في الأُمَّة من التغيّر وما أخبر به النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقال: واعلم أن رسول الله قال: ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، هذا حديث صحيح، إخبار النَّبيّ أن هذه الأُمَّة ستفترق كما افترقت الأمم قبلها، وأن هذه الأُمَّة مصيرها إلى الافتراق إلى

---

(١) حديث (حياتي خير لكم؛ تحدثون ويحدث لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتي خيرًا لكم؛ تعرض علي أعمالكم؛ فما رأيت خيرًا حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم) فهو عند البزار (٣٠٨/ ٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وهو ضعيف. الضعيفة (٩٧٥).

(٢) صحيح. ابن ماجه (٣٩٩٣). صحيح الجامع (٢٠٤٢).

(٣) حسن. الترمذي (٢٦٤١). صحيح الجامع (٩٤٧٤).

ثلاث وسبعين فرقة، وقال النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهذه الفرق: كلها في النار، كلها من الفرق الوعيدية إلا واحدة، يعني الناجي واحد من ثلاث وسبعين، ثنتين وسبعين فرقة هالكة، قال: وهذه الفرقة هي السُّنَّة والجماعة، قد قدمنا لك معنى الجماعة الذين اجتمعوا على الأخذ بسُنَّة النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولزموا السُّنَّة ولم يخرجوا عنها، ولهذا قال البربهاري رحمه الله تعالى: قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي»، فقد أعطى النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ضابطًا تميز فيه، وأن ترجع إلى ما كان عليه السلف رضوان الله عليهم وهم الصحابة، قال: ثم كان هذا الدين إلى خلافة عمر بن الخطاب، الجماعة كلها هكذا زمن عثمان، طبعًا لا شك في ذلك أن في عهد أبي بكر وعمر لكن بدأ التغير يحدث في الأُمَّة بقتل عمر، لأن حذيفة قال -لما سأل عمرُ حذيفةَ: دونك ودونه باب، فقال عمرُ لحذيفة: أيفتح أم يُكسر؟ قال: بل يكسر، قال: إذًا لا يُغلق[1]، وفعلًا مِنْ قَتْلِ عمر رضي الله عنه بدأ التغير شيئًا فشيئًا، ثم حصل التغير الحقيقي بمقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولهذا البربهاري رحمه الله تعالى يميل إلى أن الجماعة ما كان قبل عثمان، عثمان وما قبله، بعد عثمان تغيرت الأمور، لهذه الفِرَق تكلم أهل العلم في تعيينها، والصحيح أن القول في تعيين هذا العدد لا طائل تحته، فهي فِرَق كما أخبر النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فإذًا بداية الفتنة ويسمى مقتل عثمان: الفتنة الكبرى، البداية والفتنة الكبرى من مقتل عثمان، والتغير حدث مِنْ قتل عمر ونوع التغير الذي حدث ليس من جهة الدين ولكن من جهة التوسع في الدنيا، كثرت الفتوح، أرغد الناس، كَثُرَ العطاء، الناس إذا كثرت الدنيا يبدأ يتغير الأمر، إذا تغيرت أمورهم من جهة الدنيا وصاروا في بحبوحة من العيش يبدأ عندهم التغير في الدين، ولهذا النَّبيّ كان يقول: «ما الفقر أخشى عليكم، لكن أخشى أن تُبسط لكم الدنيا كما بسطت لمن كان قبلكم؛ فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»[2]، ولهذا الذي ساهم في مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه هو ابن سبأ، طبعًا قصة مقتل عثمان طويلة جدًا راجعوها في البداية والنهاية، أول ما بدؤوا هو بالكذب على عثمان وتكبير بعض الأمور والنفخ فيها والتزوير في الكتب التي كتبها عثمان وتغيير قلوب الصحابة حتى على عثمان بالكذب والافتراء حتى وقعت الفتنة، وحتى قُتِل عثمانُ رضي الله عنه وهو صابر محتسب صائم وهو يقرأ القرآن، وقَتَلَتُهُ يظنون أنهم على خير وعلى احتساب، حتى أن عثمان

(١) صحيح البخاري (١٤٣٥).

(٢) صحيح البخاري (٣١٥٨).

بن عفان لما قُتِلَ تُرِك ودُفِن ليلًا في حائط من حوائط الأنصار -بجوار حائط-، وذكر الرواة أنه دفن ليلًا ولم يدفنه إلا أربع نفر، كانوا يحملونه على وجه السرعة لأنهم يخافون من الفتنة ومن إمام الفتنة الذي كان يصلي بالناس، فالواقع الذي عاشه الإنسان ليس كالواقع الذي يُخبرُ عنه، ليس من رأى كمن سمع، كانت فتنة عظيمة، ولهذا دفن في حائط للأنصار، وأخفى من دفنه قبرَه، حتى يقول بعض الرواة -فيما صح من الروايات- كنا نحمل النعش ويخفق رأسه، كانوا يحملونه بسرعة لأنهم يخافون من التمثيل به، لأن الذين قتلوه يمكن أن يُمثِّلوا به، فدفنوه وأخفوا قبره، حتى بعد ذلك عُيِّن قبرُه رضي الله عنه وأدخل البقيع، هذا عثمان بن عفان الذي جهز جيش العسرة وأحد العشرة المبشرين في الجنة، ولكن الفتنة مثل الليل تُظْلِم على الإنسان فلا يرى شيئًا، وما ذكره من التغير بعد مقتل عثمان فإن ابن سيرين وما نقل عن السلف يقولون قبل الفتنة كنا إذا سمعنا من يقول: سمعت رسول الله يقول أرعيناه أسماعنا؛ ولما وقعت الفتنة قلنا: سمّوا لنا رجالكم[1]، لا نأخذ لأنه وقع الكذب والتدليس، ولهذا ابن سيرين يقول: إن هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم[2]، فحصل التغيير وحصل الكذب على عثمان والافتراء وتزوير الكتب على عثمان أشياء كثيرة جدًا، قال: فلما قُتِل جاء الاختلاف والبدع وصار الناس فِرَقًا، وسوف يتكلم البربهاري عن الموقف في الفتنة، ولهذا كان بعض الصحابة رضوان الله عليهم ممن اعتزل الفتنة وذُكِرَ في بعض الروايات أن بعض أشياخ بدر لَمَّا عَلِمُوا قتل عثمان لزموا بيوتهم فلم يخرجوا منها إلا إلى المقابر، أغلق باب بيته ودخل، أعاذنا الله وإياكم من الفتن، ولهذا بعد قتل عثمان اتسع الخرق على الراقع، تفرَّق أهلُ الإسلام، أصبح معاوية وطلحة والزبير من جهة وعلي رضي الله عنه ومن معه من جهة، وحصلت فتنة عظيمة وقعة الجمل وصفّين إلى غير ذلك، قال: وجاء الاختلاف والفرق والبدع وصار الناس فرقًا؛ فمن الناس من ثبت على الحق عند أول التغيير وقال به ودعا الناس إليه فكان الأمر مستقيمًا حتى كانت الطبقة الرابعة في خلافة بني فلان، الظاهر من كلام البربهاري أنه يقصد بني العباس، انقلب الزمان وتغير الناس جدًا وفشت البدع وكثر الدعاء إلى غير سبيل الحق والجماعة، ووقعت المحنة في كل شيء لم يتكلم به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى آخر ما قال رحمه الله تعالى، وامتحان الناس بالقول بخلق القرآن وجلد الإمام أحمد، وقد نهى الله عن الفرقة، وكفَّر

(١) صحيح مسلم (١٥/ ١).

(٢) صحيح مسلم (١٤/ ١).

بعضُهم بعضًا؛ وكلٌّ داع إلى رأيه وتكفير من خالف، ثم قال: فضلّ الجهال والرعاع ومن لا عِلْمَ له وأطْمَعُوا الناس في شيء من أمر الدنيا، أغراهم بالدنيا، خوفوهم عقاب الدنيا، ويستدل بمحنة القول بخلق القرآن؛ فاتبعهم الخلق على خوف في دينهم ورقة في دنياهم، فصارت السُّنَّة وأهل السُّنَّة مكتومين، وفعلًا ما ثبت في الفتنة إلا عدد قليل على رأسهم الإمام أحمد وشاب صغير -طالب علم صغير- اسمه محمد بن نوح عمره واحد وعشرون سَنَة، ومع ذلك التاريخ له بصمة باقية من وقوفه في وجه هؤلاء، مات رحمه الله، وبعض أهل العلم الذين هم عدد قليل جدًا؛ أحمد بن نصر الخزاعي وغيره من أهل العلم لكن يعدُّون على الأصابع، لكن رأس السُّنَّة في ذاك الوقت الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله؛ أبو عبد الله؛ إمام أهل السُّنَّة رحمه الله تعالى ونضر الله وجهه وأثابه على وقوفه العظيم في وجه هؤلاء، كان هو وحده الجماعة، حاولوا فيه بالترغيب والترهيب ما استطاعوا، ثبت حتى أظهر الله به الدين، أظهر الله به السُّنَّة الإمام أحمد، ولهذا مرَّت المحنة، ثم بعد ذلك زالت في عهد المتوكل، ثم أراد المتوكل أن يصحح الخطأ الذي وقع فيه المأمون والمعتصم والواثق وبدأ يحاول أن يُغدق على الإمام أحمد الأموال، فقال الإمام أحمد: هذه أعظم، فتنة السراء أعظم من التي قبلها، يعني الانفتاح على الدنيا، وكان الإمام أحمد لا يأكل من طعامهم رحمه الله، كان فيه ورع عظيم، هذا الرجل قام لله عزّ وجلّ، لا يريد شيئًا من الدنيا، يريد ما عند الله سبحانه وتعالى، قال: وظهرت البدعة وفشت، كفروا من حيث لا يعلمون، ثم تكلم قال: ووضعوا القياس وحملوا قدرة الرب بآياته، ظهرت البدع وصارت الجهمية والمعتزلة لهم شأن وتولوا القضاء وامتحنوا الناس، صارت فتنة عظيمة لا يمكن للإنسان أن يتصورها لأنه لم يعش هذه الفترة الزمنية، والتاريخ الذي تقرأه ومضات لا تعطيك صورة كاملة، ولكن يذكر لك البربهاري يعطيك الحالة النفسية التي كان عليها أهل السُّنَّة، كان أهل السُّنَّة في غربة، لهذا الإنسان لا تضره الغربة إذا كان ثابتًا على الحق، ولهذا يقول عبد الله بن مسعود: الجماعة ما وافق الحق؛ وإن كنت وحدك[1]، كان أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى هو الجماعة، لهذا طالب العلم يتمسك بالسُّنَّة ويثبت عليها ويحذر من الدنيا، لأن الدنيا والمغالبة عليها والدخول فيها بريد إلى إفساد الدين، قد يكون الإنسان ثابت على السُّنَّة ولكن يدخل في الدنيا فإذا دخل في الدنيا؛ فالدنيا تصرفه عن السُّنَّة، نسأل الله السّلامة

(١) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (١٢١/ ١).

والعافية، كما تعرف من حال بعض الناس تجده يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل، فلا يحصل لا دنيا ولا آخرة -نسأل الله السّلامة والعافية- ولهذا الدنيا ليست بشيء، ما تستفيد شيء، وكما قال بعض أهل العلم: الدنيا كماء البحر كلما تشرب منها كلما تزداد ظمأً، لكن عليك بالقناعة، عليك بالحلال، عليك بالتقشف، عليك بالصبر حتى تَرِدَ على النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الحوضَ، لكن أكثر الناس إنما يهتم لأجل الدنيا، لأجل المظاهر، لكن أين الذي يهتم لأجل الدين، ويثبت على الدين ويثبت على السُّنَّة، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الثابتين عليها، يقول السلف: عليك بالسُّنَّة وإن رفضك الناس، والزهري رحمه الله تعالى يقول: السُّنَّة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تركها غرق، لأن هناك أناس الآن غَرقى، غرقوا في البدع والضلالات والهوى، والفتن ليس لها حدّ، الفتن لا يمكن أن تحدّها بحدّ، أعاذنا الله وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

واعلم أن متعة النساء والاستحلال حرام إلى يوم القيامة.

.....

يشير البربهاري رحمه الله تعالى كما قلت لك هو يتكلم عن عصره وعن المجاورين له، والمتعة كانت في أول الإسلام ثم حرمت، والمتعة يقول بها الآن الروافض، الروافض هؤلاء يقولون بالمتعة، وهذه المتعة عندهم – نسأل الله السّلامة والعافية – هي زنى في الحقيقة باسم المتعة، ولهذا يتمتع الرجل بالمرأة يوم أو يومين، لا ولي ولا شهود، وإنما يذهبون إلى شخص يكتب بينهم ورقة ثم يتمتع بها، هذا والعياذ بالله ضياع للأنساب والأعراض، لا فرق بين الزنى والمتعة في هذا، لهذا يقول بعض الناس في هذا: هؤلاء الروافض قدحوا في عرض رسول الله فابتلاهم الله في أعراضهم، دينهم قائم -والعياذ بالله- على الزنى، لهذا يكثر عندهم اللقطة والزناة، وهذا يدلنا على بطلان ما هم عليه من الدين، لهذا لا نكاح إلا بولي -كما قدم البربهاري- وشاهدي عدل، والإشهاد فيه الإعلان ووجود الولي أما أن يتمتع بها فترة معينة ووقت؛ هذا -والعياذ بالله- زنا -نسأل الله السّلامة والعافية-،[1] ربما يقصد الاستحلال إذا كان يقصد التيس المستعار كما

(١) هنا كأن طالبًا سأل الشيخ عن قول المصنف: الاستحلال؛ فيجيبه الشيخ.

يقول الفقهاء، وهو أن المرأة إذا بانت من زوجها فيستعيرون تيسًا مستعارًا ليحللها، هذا حرام بإجماع أهل العلم، وقد قدمنا أن المرأة لاتحل لزوجها حتى تنكح زوجًا، ولا يكون الحِلُّ لزوجها الأول إلا بالوطء، وهو الصحيح من أقوال أهل العلم، كما يدل على ذلك الأحاديث التي قدمنا لكم.

واعرف لبني هاشم فضلَهم لقرابتهم من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وتعرف فضل قريش والعرب وجميع الأفخاذ، فاعرف قدرَهم وحقوقهم في الإسلام، ومولى القوم منهم، وتعرف لسائر الناس حقهم في الإسلام، وتعرف فضل الأنصار ووصية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيهم وآل الرسول فلا تنساهم، تعرف فضلهم وجيرانه من المدينة فاعرف فضلهم.

.....

هنا يتكلم البربهاري أن تعرف لبني هاشم فضلهم، وبنو هاشم الفخذ الذي ينتسب اليه الرسول صلّى الله عليه وسلّم، هؤلاء لا تكون الزكاة لهم، تحرم عليهم الزكاة، والله عزّ وجلّ قال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1]، أي المودة في قرابتي، وفضْلُ قريش صح في الحديث أن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش»[2]، واصطفى النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من بني هاشم، ولهذا يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: إن الله تعالى خصّ العرب ولسانهم بأحكام تميزوا بها، ثم خصّ قريشًا على سائر العرب، ثم جعل فيهم من خلافة النُّبوّة وغير ذلك من الخصائص، ثم خصَّ بني هاشم في تحريم الصدقة واستحقاق قسط من البيت إلى غير ذلك من الخصائص، إذًا تعرف قدر بني هاشم وفضل العرب لأن جنس العرب أفضل من جنس العجم وتقدر لهم هذا القدر، ومع ذلك: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[3]، لكن تعرف أن الخيار ومعرفة القدر إذا كان مع الإيمان لا شك أنه أولى في أشياء كثيرة، وآل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم التي أشار إليها البربهاري رحمه الله تعالى هم أزواج النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالأصالة وذريته من فاطمة رضي الله عنها، ثمّ

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) صحيح مسلم (٢٢٧٦).

(٣) الحجرات: ١٣.

أقوال في مسألة آل النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كثيرة جدًا تراجع في مظانها، لكن هذا هو الأقرب والله أعلم.

وأما حبُّ الأنصار فقد جاء عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم «لا يحبهم إلا مؤمن»[1]، و«علامة الإيمان حب الأنصار وعلامة النفاق بغض الأنصار» [2] فلهم حق رضوان الله عليهم.

واعلم رحمك الله أن أهل العلم لم يزالوا يردُّون قول الجهمية حتى كان في خلافة بني فلان

.....

يقصد بني العباس، هو كان في حاضرة الدولة العباسية ويكني، وصار له قصة مع الحكام في زمانه وكان مختفيًا رحمه الله تعالى وكان له أحداث.

واعلم رحمك الله أن أهل العلم لم يزالوا يردُّون قول الجهمية حتى كان في خلافة بني فلان؛ تكلم الرويبضة في أمر العامة، وطعنوا على آثار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأخذوا بالقياس والرأي، وكفروا من خالفهم، فدخل في قولهم الجاهل والمغفل والذي لا عِلْم له حتى كفروا من حيث لا يعلمون، فهلكت الأُمَّة من وجوه، وكفرت من وجوه، وتزندقت من وجوه، وضلّت من وجوه، وتفرّقت وابتدعت من وجوه؛ إلا من ثبت على قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأَمْرِه وأمر أصحابه ولم يَخَطِّئْ أحدًا منهم ولم يجاوز أمرهم ووسعه ما وسعهم، ولم يرغب عن طريقتهم ومذهبهم، وعَلِم أنهم كانوا على الإسلام الصحيح والإيمان الصحيح؛ فقلدهم دينهم واستراح.

.....

هنا يتكلم عن المحنة، وقد قدمنا لك أن القول بخلق القرآن وقع من المأمون وامتحن الناس عليه ودعا الناس عليه، وزيّن له ابن أبي دؤاد القاضي المعتزلي -رئيس القضاة في ذاك الزمان- وأوقعه في أمور حتى من الناحية السياسية غلط، لأنه دخل في أمور لا طائل له منها، المأمون ومن بعده قلدوه وانتحلوا هذا القول، حتى صاروا يمتحنون الأطفال في الكتّاب -يعني الأطفال في مرحلة الكتّاب- كانوا يحفظونهم أن القرآن

---

(١) صحيح البخاري (٣٧٨٣).

(٢) صحيح البخاري (٣٧٨٤).

مخلوق، يريدون أن هذا القول ينتشر وأنه يبقى في الأُمَّة ويستقر، وصاروا يمتحنون الناس على ذلك، وربما جلدوا، وربما قتلوا، وربما عبثوا لأجل هذا، صاروا يكتبون الكتب للعلماء والولاة، اسأل فلانًا عن قوله في القرآن؛ فإن أجاب، صار بعضهم يعرِّض وصار بعضهم إلى الإجابة ورأى أنه مكره على ذلك؛ حتى فشا القول في هذا من غير نكير إلا الإمام أحمد، أنكر هذا القول فتوقف الأمر وإلا كانوا يريدون أن ينشروا هذه العقيدة، ثم أزال الله سبحانه تعالى هذه المحنة في عهد المتوكل، المأمون امتحن وهلك، ثم المعتصم، ثم الواثق ثم زالت على يد المتوكل وأظهر السُّنَّة.

وعَلِمَ أن الدين إنما هو بالتقليد والتقليد لأصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم.

.....

يعني التقليد ليس المتابعة بغير دليل، إنما مقصود البربهاري هنا الاتباع، أما التقليد المذموم عند الأصوليين هو أن يتابع الإنسان من غير معرفة الدليل فهذا لا يريده البربهاري، وإنما يقصد ان تكون متابع لما جاء عن أصحاب رسول الله، الاتباع.

واعلم أن من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع، ومن سكت فلم يقل مخلوق ولا غير مخلوق؛ فهو جهمي، هكذا قال أحمد بن حنبل.

.....

اللهم ارحم أحمد، الإمام أحمد بوقفته العظيمة صار بعد ذلك الناس يكتبون له الكتب والرسائل يا أحمد أكتب لنا عقيدتك في القرآن حتى نموت ونلقى الله عزّ وجلّ عليها، وصار الإمام أحمد رحمه الله مِحْنَة وأظهر الله به السُّنَّة، ولهذا ما ذكره لك البربهاري رحمه الله تعالى هي مسألة اللفظ -ونحن في شرح لمعة الاعتقاد قد قدمنا لكم شيئًا من ذلك- فمسألة اللفظ هذه مسألة حصلت فيها فتنة بين أهل السُّنَّة، صنفت فيها مصنفات في الرد، كل طائفة معها شيء من الحق، والأخرى معها شيء من الحق، وممن امتحن في هذه المسألة البخاري الإمام أبي عبد الله البخاري رحمه الله، وشُنِّع عليه في مسألة اللفظ، واتهموه بأشياء عفا الله عن الجميع، وممن كان وقف أمام البخاري عفا الله عنه وغفر له الحافظ يحيى بن خالد الذهلي، وانقسم الناس إلى قسمين: فئة

تابعت البخاري وفئة تابعت يحيى بن خالد؛ منهم الرّازيان أبي حاتم وأبو زرعة، تكلموا في هذه المسألة وخاضوا فيها بسبب اللفظ المجمل، كما قد قدمت لك، اللفظ لفظ مجمل يحتاج تفصيل في هذه المسألة، ولهذا يقول ابن قتيبة: لم يختلف أهل الحديث في شيء من مذهبهم إلا في مسألة اللفظ، فعظمت الفتنة بين الطائفتين، كلهم يريد الحق، غفر الله لنا ولهم، ولكن الإنسان يستفيد من الدروس، يتبصر، لأن اللفظ، دائماً الخلاف قد يكون في الألفاظ المجملة، فإذا حدث الخلاف ينبغي الرجوع للقواعد الكلية، هذا يقوله شيخ الإسلام عند الخلاف يرجع إلى الجمل يعني القواعد الأساسية من أجل أن يجتمع الناس عليها خاصة إن كان الخلاف في دائرة السُّنَّة، إذا حدث الخلاق في الجزئيات يرجع إلى الجمل والقواعد الأساسية، ولهذا كما قد قال البربهاري رحمه الله تعالى، ولهذا الإمام أحمد قال: من قال: لفظي بالقرآن فهو جهمي، ومن قال: لفظي في القرآن غير مخلوق فهو مبتدع، منع النفي والإثبات، لا تقل مخلوق ولا غير مخلوق، لماذا؟ من قال لفظي في القرآن مخلوق -في رواية عن الإمام أحمد: يريد القرآن- فهو جهمي، ومن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع، لاحظ أنه حكم بالتجهم على الأول والثاني بدَّعه، نحتاج للتفصيل، اللفظ المجمل يطلق على أمرين: إما التلفظ وإما الملفوظ، التلفظ يطلق عليه لفظ، والملفوظ يطلق عليه لفظ، فمن قال: إن القرآن مخلوق -يريد القرآن- يعني يريد الملفوظ؛ فهو جهمي، لأن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله ليس بمخلوق، من قال: القرآن مخلوق يريد القرآن يعني يريد الملفوظ فهو جهمي، لأن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله لا يقال: إنه مخلوق، ومن قال: إن القرآن غير مخلوق يريد التلفظ الذي هو من فعل الإنسان ومقدوره والذي يختلف بأحوال الناس؛ فهو مبتدع لأن هذا لم ترد فيه السُّنَّة؛ ولأنه لفظ مجمل، فهو مبتدع لا يقول مخلوق ولا غير مخلوق، بل يفصل، كما ذهب إلى ذلك الإمام أبو عبد الله البخاري، كان الحق معه في هذه المسألة، وهو الذي صنف خلق أفعال العباد رحمه الله تعالى، امتحن في هذه المسألة، إذًا التفصيل هو الذي يزول به الإشكال، الملفوظ هذا لا يتغير، فالقرآن الذي يقرأه زيد هو القرآن الذي يقرأه عبيد لا يتغير، لكن التلفظ يختلف، صوت زيد غير صوت عبيد، إذًا القرآن إن أُريد به الملفوظ فهو جهمي، ومن قال إنه غير مخلوق فهو مبتدع، فالأصل التفصيل، الملفوظ كلام الله ووحيه وتنزيله ليس بمخلوق، والتلفظ الذي هو من فعل الإنسان ومقدوره بحركة لسانه وشفتيه وحباله الصوتية؛ فهذا مخلوق، أما الملفوظ فهو كلام الله ليس بمخلوق، لذلك قال البربهاري: والواقفة هي طائفة قالوا: لا نقول: إن القرآن مخلوق ولا غير مخلوق،

هؤلاء قال عنهم الإمام أحمد: الواقفة شرّ من الجهمية، وفي رواية أخبث من الجهمية، ما تكلم السلف في هذه المسألة إلا لما تكلم المعتزلة فبيّنوا الحق بالنصوص وردوا على من قال بأن القرآن مخلوق[1]، المسألة الأولى مسألة اللفظ، والمسألة الثانية هي التكلم في أصل المسألة وهي الوقوف، لا يقول في القرآن لا مخلوق ولا غير مخلوق، هؤلاء هم الواقفة الذين قال عنهم الإمام أحمد: هم أخبث من الجهمية.

واعلم أن من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن سكت فلم يقل مخلوق ولا غير مخلوق فهو جهمي، هكذا قال أحمد بن حنبل.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، وعليكم بسنتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين وعضوا عليها بالنواجذ)[2].

واعلم أنه إنما جاء هلاك الجهمية أنهم فكروا في الربِّ؛ فأثبتوا لم وكيف، وتركوا الأثر ووضعوا القياس، وقاسوا الدين على رأيهم؛ فجاءوا بالكفر عيانًا، لا يخفى أنه كفر، وأكفروا الخلقَ واضطرهم الأمر حتى قالوا بالتعطيل.

.....

بدعة الجهمية شر البدع، ولهذا كفرهم السلف رحمهم الله، وقالوا: إن مآل القول بقول الجهمية إلى تعطيل الرب سبحانه وتعالى، ولهذا رؤوس الجهمية زنادقة، ولهذا قالوا: إن مآلهم إلى تعطيل وجود الرب سبحانه وتعالى، ولهذا كان بعض السلف يقول: إن مآل قول الجهمية هو أنه ليس إله فوق السماء وليس ثمّ إله يعبد! إلى الإلحاد والتعطيل والزندقة، هذا مآل قول الجهمية، والمصير الذي يصير إليه من يقول بهذا القول، ولهذا السلف رحمهم الله نقل عنهم تكفير الجهمية، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وكلام الائمة في تكفير الجهمية المحضة – تأمل العبارة – لأني ذكرت لك التجهم بلفظ عام غير التجهم باللفظ خاص، كلام الإمام أحمد يقول: تكفير الجهمية المحضة، لأن التجهم أنواع ودرجات، قال: وكلام الأئمة في تكفير الجهمية المحضة لا يمكن حصره إلا بكلفة بتعب ومشقة، ولهذا ذكر ابن القيم أن خمسين عالمًا من علماء أهل

---

(١) هنا يراجع الشيخ مع الطالب النسخة التي بينهما.

(٢) صحيح. الترمذي (٢٦٧٦). صحيح الجامع (٢٥٤٩).

السُّنَّة -كما في النونية[1]- قالوا بتكفير الجهمية، وشرح أصول الاعتقاد للالكائي والشريعة للآجري، كل كتب السُّنَّة طافحة بتكفير الجهمية ونقل كلام الأئمة في كفر الجهمية.

وقال بعض العلماء منهم أحمد بن حنبل، الجهمي كافر ليس من أهل القبلة، حلال الدم لا يرث ولا يورث لأنه قال: لا جمعة ولا جماعة ولا عيدين ولا صدقة، وقالوا: إن من لم يقل القرآن مخلوق فهو كافر، واستحلوا السيف على أُمَّة محمد صلّى الله عليه وسلّم.

.....

ولهذا كانوا يحرّضون على قتل الإمام أحمد، وكان يقول ابن أبي دؤاد أو غيره اقتله ودمه في عنقي، والخلفاء ما امتنعوا من قتل الإمام أحمد إلا خشية العامة، لكن جلدوه وضربوه وآذوه، رحمه الله.

واستحلوا السيف على أُمَّة محمد صلّى الله عليه وسلّم، وخالفوا من كان قبلهم وامتحنوا الناس.

.....

وهذه علامة على سائر أهل البدع أنهم يستحلون السيف على أمة محمد كما قال أبو قلابة الجرمي: افترقت بهم الأهواء واجتمعوا بهم على السيف؛ على الخروج على السلطان وعلى استحلال دماء أمة محمد صلّى الله عليه وسلّم، يستحلون دماء المسلمين، البدعة أعاذنا الله وإياكم منهم، هذا واقع حتى من المعاصرين من أهل البدع، تجدهم لا يبالون بمن خالفهم ومن خرج عن حزبهم وعن جماعتهم، -نسأل الله السّلامة والعافية- هذا نوع من أنواع استحلال دماء المسلمين، عدم المبالاة بهم.

وخالفوا من كان قبلهم وامتحنوا الناس بشيء لم يتكلم فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا أحد من أصحابه وأرادوا تعطيل المساجد والجوامع وأوهنوا الإسلام وعطلوا الجهاد.

.....

(١) لعل الشارح قصد خمسمائة، وهو قول ابن القيم رحمه الله: (ولقد تقلد كفرَهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان).

انظر آثارهم الخبيثة على الأُمَّة، البدع، ولهذا البدع سبب لسقوط الدول، ظهور البدع سبب لسقوط الدول، وابن تيمية عالم بالتاريخ وعالم بالأحداث التاريخية، يقول: إن من أسباب سقوط دولة بني أمية ظهور الجعد والجهم وظهور آرائهم، يضعفون الدين، البدع، ويوهنون الدولة، وأهل الأهواء كما قلت لك لهم أجندة سياسية وأهداف سياسية في أقوالهم، يُحذر منهم، لهذا لا تستقيم الدول إلا بالاجتماع على السُّنَّة ونصرة السُّنَّة ونصرة التوحيد كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1]، فإذا ظهر أهل البدع وصار لهم شأن وصار لهم رئاسة واستوزرهم الحاكم فلا تسلْ عن الفتن، لأنهم كالعقارب متى تمكنت لدغت، لهذا هم يدخلون مع السلاطين ويزينون للسلاطين، ويفعلون أشياء كثيرة جدًا.

وأوهنوا الإسلام وعطلوا الجهاد.

.....

جعلوا بأس المسلمين بينهم، صاروا يمتحنون الناس، من لم يقل القرآن مخلوق؛ إما يحبس وإما يجلد، بينما كان ينبغي لهم أن يحرصوا على جمع المسلمين وعلى قتال الأعداء.

وعطلوا الجهاد وعملوا في الفرقة، وخالفوا الآثار، وتكلموا بالمنسوخ، واحتجوا بالمتشابه.

.....

كما قال الإمام أحمد عنهم يشبهون على الناس، يستدلون بالمتشابه من النصوص، وهي علامة واضحة لأهل البدع، تجدهم يبحثون عن المتشابه ويشككون الناس في دينهم، ذكرت لكم فيما سبق الذي يسأل عن المتشابه صبيغ بن عسل الذي جلده عمر رضي الله عنه.

---

(١) محمد: ٧.

وتكلموا بالمنسوخ واحتجوا بالمتشابه، وشككوا الناس في آرائهم وأديانهم، واختصموا في ربهم، وقالوا: ليس عذاب قبر ولا حوض ولا شفاعة، والجنة والنار لم يُخلقا، وأنكروا كثيرًا مما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ فاستحل من استحل دماءهم من هذا الوجه.

.....

لأنهم كما ذكرت لك، عطلوا النصوص وكذبوا بالمتواتر وردوا أحاديث النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

لأن من رد آية من كتاب الله فقد رد الكتاب كله، ومن رد أثرًا عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقد رد الأثر كله، وهو كافر بالله العظيم، فدامت لهم المدة، ووجدوا من السلطان معونة على ذلك، ووضعوا السيف والسوط دون ذلك؛ فتُرِكَ عِلْمُ السُّنَّة والجماعة، وأوهنوهما وصارتا مكتومين لإظهار البدع والكلام فيها ولكثرتهم، واتخذوا المجالس واظهروا رأيهم.

.....

هو قريب من عصر الإمام أحمد ويحكي لك الحالة التي كانت عليها أهل السُّنَّة من شيوع مقالة الجهمية.

وصارتا مكتومين لإظهار البدع والكلام فيها ولكثرتهم، واتخذوا المجالس وأظهروا رأيهم ووضعوا فيه الكتب.

.....

أطمعوا الناس بالدنيا، صنفوا مصنفات وتولوا القضاء وصاروا لا يولون القضاء إلا من كان على مذهبهم وعلى نحلتهم الخبيثة، ينتحلون البدع لأجل الدنيا -نسأل الله السّلامة والعافية-، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل.

ووضعوا فيه الكتب، وأطمعوا الناس وطلبوا لهم الرياسة، فكانت فتنة عظيمة لم ينجوا منها إلا من عصم الله، فأدنى ما كان يصيب الرجل من مجالستهم أن يشك في دينه، أو يتابعهم، أو يزعم أنهم على الحق، ولا يدري أنه على الحق أو على الباطل، فصار شاكًا فهلك الخلق، حتى كان أيام جعفر الذي يقال له المتوكل.

.....

سبحان الله الذي يظهر السُّنَّة يظهر الله ذكره كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾(١)، كل من عادى السُّنَّة فهو مقطوع مبتور مذموم، ولهذا المأمون وغيره يذكر بالذم والمعتصم والواثق يذمون، وسبحان الله المتوكل الذي أعزّ الله به السُّنَّة أظهر الله به السُّنَّة، ونهى الناس عن الانتحال في هذه المسألة أظهر الله عزّ وجلّ به السُّنَّة، فالصبر، قد تشيع البدعة وتظهر لكن لا بقاء لها، البقاء للسُّنَّة، ولهذا قد يكون للباطل صولة وجولة ولكن لا يكون له الدولة، الدولة للحق ولأهل الحق ولأهل السُّنَّة كما أخبر النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، والظهور للسُّنَّة ولأهل الحق.

حتى كان أيام جعفر الذي يقال له المتوكل، فأطفأ الله به البدع وأظهر به الحق، أظهر به أهل السُّنَّة وطالت ألسنتهم مع قلتهم وكثرة أهل البدع إلى يومنا هذا، والرسم وأعلام الضلالة قد بقي قوم يعملون بها ويدعون إليها؛ لا مانع يمنعهم ولا أحد يحجزهم عما يقولون وعما يعملون.

.....

يعني فيما بعد ذلك، أنه قد ظهرت البدع وفسدت الناس، وصار الصراع بين السُّنَّة والبدعة.

واعلم أنه لم تجئ بدعة قط إلا من الهمج الرعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، فمن كان هكذا فلا دين له، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾(٢)، وقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا﴾(٣)، وقال: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾(٤)، وهم علماء السوء أصحاب الطمع والبدع.

.....

---

(١) الكوثر: ٣.

(٢) الجاثية: ١٧.

(٣) الشورى: ١٤.

(٤) البقرة: ٢١٣.

نعوذ بالله، ولهذا يقول البربهاري واعلم أنه لم توجد زندقة وبدعة إلا من الهمج الرعاع، دائمًا أهل الأهواء وأهل البدع يراهنون على العوام والهمج الرعاع أتباع كل ناعق الذين يميلون مع كل ريح، لهذا هؤلاء العوام لا بد من توجيههم إلى السُّنَّة وإلى الحق وإلا يستخدمهم الأعداء فيميلون بهم كل ميل، وهذا من فقه البربهاري رحمه الله تعالى، لا بد عوام الناس يكونون مع أهل السُّنَّة، ولهذا الفتن تأتي من قبل الهمج الرعاع، يأتي شخص يزين لهم الباطل ويحملهم على الباطل ثم تحدث الفتنة، وهذا هو الذي حصل في مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه لأن الهمج الرعاع أتباع كل ناعق هم الذين أحاطوا بعثمان رضي الله عنه -بدار عثمان- سفهاء الأحلام حدثاء الأسنان، وإلا أهل الرأي والكبار وأهل العقل ما استشيروا في هذه الفتنة، ولهذا لا بد من التنبه لهذا والحذر من أن يُوَجَّهوا هؤلاء العوام والهمج الرعاع التوجيه الغير صحيح، يوجهوا التوجيه الصحيح، ويقامون على السُّنَّة، وأهل الأهواء وأهل البدع دائمًا يحاولون تصريف هؤلاء الهمج والعوام لأنهم لا عِلْمَ لهم ولأنهم مقلدة ولأنهم تسير بهم العواطف ويحركون لأجل دنيا أو لأجل شيء، فما أعجل، الإنسان لا ينبغي أن يكون من هؤلاء الهمج الرعاع الذين تميل بهم الرياح، يجب أن يكون للإنسان عقل وتأني وحصافة ومن الثبات ما يمنعه من الدخول في الفتن، وسوف يأتي بإذن الله كلام البربهاري عن المخرج من الفتنة والسبيل إذا وقعت الفتنة، وأما كلامه عن علماء السوء الذين هم أشبه بعلماء الضلالة؛ علماء اليهود كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾[1]، ظلم وعدوان، فقد يكون عالم من علماء السوء يعرف الحق ويعرض عنه إما لأجل الدنيا أو ظلمًا وعدوانًا وهوى في نفسه، هذا أشبه ما يكون باليهود، وعلماء الضلالة الذين يُنصبون لأنهم علماء هؤلاء يضلون الناس، كما أن الإنسان إذا أفتى بجهل يضل الناس كما جاء في الحديث الصحيح «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور الناس؛ ولكن يقبضه بقبض العلماء» العلماء هم أهل الأثر وأهل الوحي وأهل الصدق وأهل الدين «حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا؛ فسئلوا» في أمر الدين والنوازل «فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[2]، الآن تسمع من خلال الفضائيات من ينصب نفسه للفتوى، تجده لا يبالي بدماء المسلمين، ويفتي بقتال فلان ولو مات ألف، مليون، -والعياذ بالله- إما جاهل وإما من علماء الضلالة، -

(١) الجاثية: ١٧.

(٢) صحيح البخاري (١٠٠).

نسأل الله السّلامة والعافية- الذي لا يبالي بحقن دماء المسلمين، هؤلاء إما جاهل وإما ضال -نسأل الله السّلامة والعافية- الإنسان يعرف مثل هذه الأمور ويدركها، فهذه الوصايا العظيمة التي ذكرها البربهاري نافعة لك في كل زمان ومكان.

واعْلَمْ أنه لا يزال الناس في عصابة من أهل الحق والسُّنَّة يهديهم الله ويهدي بهم غيرهم ويحيي بهم السُّنَن، فهم الذين وصفهم الله مع قلتهم عند الاختلاف وقال: ﴿الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾[1] فاستثناهم فقال: ﴿فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2]، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لا تزال عصابة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله»[3].

.....

يبين لك الحالة التي كان فيها سوء وظهور البدع؛ أخبرك بفرج الله سبحانه وتعالى وبفضل الله أنه لا يزال في الناس أهل الحق، لأن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لما أخبر بالفرق وأنها ستفترق الأُمَّة ؛ قال: «كلها في النار إلا واحدة»[4] قال أهل العلم: وهي الفرقة الناجية، وصفها في الآخرة بأنها ناجية من عذاب الآخرة، وجاء في الحديث «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة» طائفة منصورة «لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة»[5] يعني إلى قرب قيام الساعة، فإنه لا يزال أهل الحق لهم بقية، قد يقلّون وقد يكثرون بحسب اختلاف الزمان والمكان، لكن الله عزّ وجلّ حافظ دينه وحافظ سُنَّة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، فهؤلاء لا يخلوا منهم زمان ولا مكان وإن قلّ عددهم، هذه الطائفة المنصورة على من خالفها، منصورة بالحجة والبرهان وبالنور الذي جاء به محمد صلّى الله عليه وسلّم وهو الوحي من كلام الله ومن

---

(١) البقرة: ٢١٣.

(٢) البقرة: ٢١٣.

(٣) صحيح البخاري (٣٦٤١).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

كلام رسوله صلّى الله عليه وسلّم، ولهذا قال: ﴿فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾[1]، ودائمًا الإنسان يدعو الله أن يهديه للحق، وفي حديث قيام الليل استفتح النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم «اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض أنت تحكم بين عبادك بما كانوا فيه يختلفون؛ اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنه إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[2]، الإمام محمد بن عبد الوهاب كان يراسل خصومَه فيوصيهم بالإكثار من هذا الدعاء، هذا الدعاء العظيم الذي ينبغي للإنسان أن يلهج به حتى يهديه الله سبحانه إلى الصراط المستقيم، واذا علم الله تعالى من قلب عبده الخيرَ ومحبةَ الخير هداه الله عزّ وجلّ إلى ذلك الصراط المستقيم، هذه العصبة قائمة وهي باقية وظاهرة على من خالفها إلى قرب قيام الساعة.

فالشأن هل أنت تكون من هؤلاء الذين ينصرون الدين وينصرون السُّنَّة حتى تلقى الله عزّ وجلّ، أو تكون ممن غيّر وأحدث وبدّل؛ فإذا جاء يوم القيامة ذَادَكَ النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم عن حوضه لأنك ممن أحدث وغيّر وبدل، نسأل الله الثبات والسّلامة من هذه المحدثات والبدع.

واعلم رحمك الله أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب، إنما العالم من اتّبع العلم والسُّنَن وإن كان قليل العلم والكتب، ومن خالف الكتاب والسُّنَّة فهو صاحب بدعة وإن كان كثير العلم والكتب.

.....

هذه وصية عظيمة لطالب العلم، لا تغتر بكثرة رواية ولا بحسن كلام ولا بتنميق الألفاظ ولا بكثرة الأسباب، ولكن الشأن في هذا الذي يُعلِّمك العلم أو يدعو إلى العلم هل هو ثابت على الكتاب والسُّنَّة؟ أم مخالف لما جاء في الكتاب والسُّنَّة؟ هل هو على السُّنَّة أم أحدث وغيّر ووقع في البدع، ولهذا يقول: ليس العلم بكثرة الرواية، يقول عبد الله بن مسعود: "ليس العلم بكثرة الرواية، وانما العلم الخشية"[3]، لهذا عندما تُكُلِّم في معروف –وهو من العباد– قال أحدهم: فيه وفيه؛ قال: أسكت، معه رأس العلم، الخشية من

---

(١) البقرة: ٢١٣.

(٢) صحيح مسلم (٧٧٠).

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ١٣١).

الله سبحانه وتعالى، والخوف من الله، رأس العلم، إذا كان الإنسان يعلم ولا يعمل بعلمه هذه مصيبة، أو كان يطلب العلم لأجل الدنيا ولأجل المنصب، أو يتعالى على الخلق! مصيبة، أو كان ممن يحدث في دين الله عزّ وجلّ على غير السُّنَّة، مصيبة أخرى، وكل هذه -نسأل الله السّلامة والعافية- لا تغرك، انظر إلى من لزم السُّنَّة، فكن ممن قام على هذا المنهج وعلى هذه الطريقة وعلى هذه الوصية البليغة من الإمام البربهاري رحمه الله تعالى، لا تغتر، الديوبندية يحفظون الكتب الستة لكن لا يعلمون، عندهم انحراف في العقيدة، وهكذا، لا تغُرُّكَ الأسانيد والأحاديث، لكن الشأن هل هذا على السُّنَّة، لا تغتر بكثرة حديثه ولا بكثرة روايته ولا ببلاغته، يقول النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إن من البيان لسحرًا»[1]، الإنسان قد يسحر بألفاظه، ويكون داعية ضلالة -نسأل الله السّلامة والعافية- بل انظر إلى الأمر في السُّنَّة على الثبات ومنهج السُّنَّة والسلف والصحابة، فالزم هذا الطريق.

واعلم رحمك الله أن من قال في دين الله برأيه وقياسه وتأويله من غير حجة من السُّنَّة والجماعة؛ فقد قال على الله ما لا يعلم، ومن قال على الله ما لا يعلم فهو من المتكلفين، والحق ما جاء من عند الله، والسُّنَّة سُنَّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، والجماعة ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، ومن اقتصر على سُنَّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وما كان عليه أصحابه والجماعة فَلَجَ على أهل البدع كلها واستراح بدنه وسلّم له دينه إن شاء الله لأن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «ستفترق أمتي» وبيّن لنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الناجيَ منها فقال: «ما كنت أنا اليوم عليه وأصحابي»[2] فهذا هو الشفاء والبيان والأمر الواضح والمنار المستنير، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إياكم والتعمق، وإياكم والتنطع، وعليكم بدينكم العتيق»[3].

.....

---

(١) صحيح البخاري (٥١٤٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) لم أعثر عليه مرفوعًا، وإنما هو موقوف على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. قال في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ت حسين أسد (٢/ ٢٦٦): (رواه الطبراني في الكبير، وأبو قلابة لم يسمع من ابن مسعود)

هذه وصية عظيمة مفيدة، يقول: واعلم أنه من قال في دين الله برأيه وقياسه فقد قال على الله ما لا يعلم، ولهذا قد قدمنا لك الكلام في ذم الرأي، ولهذا علي بن أبي طالب يقول: «لو كان الدين بالرأي؛ لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه»[1]، فالدين ليس بالرأي ولا العقل لأن العقول تختلف، وإنما هو بالاتباع والمتابعة لما جاء عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، لا تُعمِل بهذا تقول الأولى كذا، خذ ما جاءك عن الله وعن رسوله صلّى الله عليه وسلّم وضعه فوق رأسك، هذا هو الاتباع، هذا هو منهج أهل السُّنَّة، وما اجتمع عليه أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ثم أشار إلى خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وهو الدين العتيق، الذي بيّنه البربهاري أن الدين العتيق ما حدث قبل الفتنة، ما كان عليه الناس قبل مقتل عثمان هذا هو الدين العتيق، ما كان عليه الناس قبل مقتل عثمان، هذا هو الدين العتيق «ما أنا عليه اليوم وأصحابي» كما قال النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فالنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أعطاك ضابطًا فاستمسك به، أن تحرص كل الحرص على لزوم طريقة الصحابة وعلى منهج الصحابة وعلى آثار الصحابة وعلى ما كانون يعملون من أمر الدين، فكل أمر حدث بعد عهد الصحابة تستبصر به وتنظر فيه ولا تتابع فيه، لأنك أنت تتابع ما كان عليه النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فكل شيء يخالف الدليل ويخالف منهج الصحابة وفقه الصحابة فهو مردود، ثم قال: ما كان عليه الجماعة فَلَجَ أهل البدع، واستراح بدنه وسلم دينه، نعم، من كان على السُّنَّة، ولهذا الإمام المجدد رحمه الله محمد بن عبدالوهاب في كشف الشبهات يقول: العامي الموحد يغلب ألف من علماء الضلالة، القائم على الحجة والبرهان، هكذا إذا كنت على السُّنَّة تستطيع أن تحاجّ هؤلاء وتفلجهم وتكسر هؤلاء بالحق الذي معك، لأنك مستمسك، الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾[2] بالوحي وأخذت بحبل الله الوثيق واعتصمت بحبل الله سبحانه وتعالى فأنت ناجٍ وأنت قويٌّ، تحفظ القرآن، تستدل بالقرآن وبالسُّنَّة، تذكر الناس بمثل هذه الأمور، إذا أردت أن تُبيّن للناس تُبيّن لهم من كلام الله من كلام رسوله من كلام أصحابه رضوان الله عليهم، فعند ذلك تستطيع أن تكسر علماء الضلالة، ولهذا علماء الضلالة وأهل الضلال الذين امتحنوا الناس بخلق القرآن حينما ناظرهم بعض الأئمة فجاءوا يتكلمون في الألفاظ صار السلف يستدلون عليهم بالقرآن والسُّنَّة، فإذا قال كلمة قال: أنا أقول: قال الله؛ قال رسول الله صلّى الله عليه

(١) صحيح. أبو داود (١٦٢). الإرواء (١٠٣).

(٢) الزخرف: ٤٣.

وسلّم؛ فلا يستطيعون أن يجيبوا، لأن الإنسان مستظهر بالدليل من كلام الله ومن كلام رسوله صلّى الله عليه وسلّم، ثم قال: وإياكم والتنطع والتعمق في الدين، مذموم، التنطع والتشدد والتعمق والأسئلة التي لا طائل تحتها أن هذا من التعمق المذموم، بُعث النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالحنيفية السمحة ليس فيها تعقيد ولا ضلال ولا تعمق ولا تنطع.

واعلم أن العتيق ما كان من وفاة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان قَتْلُه أول الفُرْقَة وأول الاختلاف، فتحاربت الأُمَّة وتفرقت، واتّبعت الطمع والأهواء والميل إلى الدنيا.

.....

سبق الكلام عن الفتنة وبيان ذلك.

فليس لأحد رخصة في شيء أحدثه مما لم يكن عليه أصحاب محمد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أو يكون رجل يدعو إلى شيء أحدثه من قِبَله أومن قِبَل رجل من أهل البدع؛ فهو كمن أحدثه، ومن زعم ذلك أو قال به فقد رد السُّنَّة وخالف الحق والجماعة، وأباح البدع وهو أضرُّ على هذه الأُمَّة من إبليس، ومن عرف ما ترك أصحاب البدع من السُّنَّة وما فارقوا فيه؛ فتمسك به فهو صاحب سُنَّة وصاحب جماعة، وحقيق أن يُتّبع وأن يُعان وأن يُحفظ، وهو ممن أوصى به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

.....

هذه وصايا عظيمة في الاتباع ومتابعة ما كان عليه أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم والحذر من البدع، فيها وصية، كذلك تحذير من شياطين الإنس، وخطر ما هم عليه من البدعة، وخطرهم على الناس، ولهذا لا بد للإنسان أن يعرف البدع ورؤوس البدع، ويبيّن لك البربهاري فيما بعد ذلك، يعرف البدع حتى يتوقاها، كما قال حذيفة بن اليمان: "كان الناس يسألون النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن الخير؛ وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني"[1]، الإنسان يعرف الشر لا على سبيل المعرفة وإنما على سبيل التوقي والحذر، لا

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٠٦).

بد للإنسان أن يعرف ما هو قول المرجئة، ما هو قول الخوارج، ما هو قول الجهمية، حتى يتجنب هذه الأقوال ويلزم السُّنَّة ويعرف السُّنَّة.

واعلموا رحمكم الله أن أصول البدع أربعة أبواب، انشعب من هذه الأربعة اثنان وسبعون هوى ثم يصير كل واحد من البدع يتشعب حتى تصير كلها إلى ألفين وثمانمائة مقالة، وكلها ضلالة وكلها في النار إلا واحدة، وهو من آمن بما في هذا الكتاب واعتقده من غير زيفة في قلبه ولا شكوك، فهو صاحب سُنَّة وهو الناجي إن شاء الله.

.....

أصول البدع أربعة، الروافض والخوارج والقدرية والمرجئة، هذا نقل عن بعض الأئمة كيوسف بن أسباط، ولهذا تعديد الفرق وتعيينها لا حاجة للإنسان فيه وأن هذه الفرقة من الثنتين والسبعين فرقة، هذا يحتاج إلى دليل، لكن الإنسان يعرف أن هذه من الفرق الوعيدية ويكفيه في هذا، هذا مقصود النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ليس مقصود النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم التعيين، إنما المقصود أن يعرف أن هؤلاء من الفرق الوعيدية التي خالفت سُنَّة النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وخالفت ما جاء عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ثم قال: من آمن بهذا الكتاب واعتقده، يعني قال: إن هذه البدع تتفرق وتتشعب إلى ألفين وثمانمائة، كل هذا اجتهاد من المؤلف رحمه الله تعالى، ولهذا يقول: من آمن بهذا الكتاب، يعني مضمون هذا الكتاب، لأنه مشتمل على أصول أهل السُّنَّة، وهو صاحب سُنَّة إن شاء الله.

واعلم رحمك الله لو أن الناس وقفوا عند مُحدثات الأمور ولم يتجاوزوها بشيء ولم يولِّدوا كلامًا مما لم يرد فيه أثر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا عن أصحابه لم تكن بدعة.

.....

يعني لو أن الناس وقفوا على ما وقف عليه أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لم تكن بدعة، وإنما البدع بسبب الإحداث في الألفاظ وفي الأعمال، هذه أسباب البدع، لكن الناس ما توقفوا على ما توقف عليه أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بل زادوا وأحدثوا.

واعلم رحمك الله أنه بين العبد وبين أن يكون مؤمنًا حتى يصير كافرًا إلا أن يجحد شيئًا مما أنزله الله تعالى، أو يزيد في كلام الله أو ينقص، أو ينكر شيئًا مما قال الله، أو شيئًا مما تكلم به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فاتق الله رحمك الله، وانظر لنفسك وإياك والغلوّ في الدين؛ فإنه ليس من طريق الحق في شيء.

.....

الإنسان قد يدخل الدين بكلمة ويخرج بكلمة، بردّ ما جاء عن الله وعن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولهذا الإنسان يجب أن ينتبه للألفاظ، وأن يكون وقافًا على لسانه، والنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «إن الرجل ليتكلم بكلمة من سخط الله -في رواية لا يبالي بها- فإنه يلقى في النار سبعين خريفًا»[1]، الإنسان ينتبه من هذه الألفاظ ومن هذه الأمور، الإنسان يدخل بكلمة ويخرج بكلمة، يدخل بالشهادة ويخرج بكلمة.

وجميع ما وصفت لك في هذا الكتاب فهو عن الله وعن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعن أصحابه وعن التابعين والقرن الثالث إلى القرن الرابع، فاتق الله يا عبد الله، وعليك بالتصديق والتسليم والتفويض والرضا بما في هذا الكتاب، ولا تكتم هذا الكتاب أحدًا من أهل القبلة؛ فعسى يرد الله به حيرانًا عن حيرته، أو صاحب بدعة عن بدعته، أو ضالًا عن ضلالته؛ فينجو به، فاتق الله وعليك بالأمر العتيق الأول، وهو ما وصفت لك في هذا الكتاب، فرحم الله عبدًا ورحم والديه قرأ هذا الكتاب وبثّه وعمل به.

.....

هذه دعوة من البربهاري رحمه الله تعالى لمن قرأ هذا الكتاب، نسأل الله تعالى أن يعمنا بهذه الرحمة، وهذا رجل صالح، نسأل الله تعالى قبول هذه الدعوة وأن تعمنا هذه الدعوة.

---

(١) صحيح البخاري (٦٤٧٨).

ورحم الله عبدًا ورحم والديه قرأ هذا الكتاب وبثَّه ودعا إليه واحتج به، فإنه دين الله ودين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فإنه من انتحل شيئًا خلاف هذا الكتاب؛ فإنه ليس يدين لله بدين، وقد ردّه كله كما لو أن عبدًا آمن بجميع ما قال الله تبارك وتعالى.

.....

هو يقصد المضمون، مضمون هذا الكتاب وأصول هذا الكتاب ولا يقصد الحروف ولا الجزئيات ولا المفردات، وهذا من حمل كلام أهل العلم على أحسن المحامل.

كما لو أن عبدًا آمن بجميع ما قال الله تبارك وتعالى إلا أنه شك في حرف فقد ردّ جميع ما قال الله وهو كافر، كما أن شهادة إلا اله إلا الله لا تُقبل من صاحبها إلا بصدق النيّة وخالص اليقين، كذلك لا يقبل الله شيئًا من السُّنَّة في ترك بعض، ومن ترك من السُّنَّة شيئًا فقد ترك السُّنَّة كلها، فعليك بالقبول ودع عنك المَحْكَ واللجاجة، فإنه ليس من دين الله عزّ وجلّ بشيء، وزمانك خاصة زمان سوء.

.....

الآن البربهاري بيننا وبينه ألف سَنَة، يقول: زمانك أو يزيد زمان سوء فاتق الله؛ فما بالك بهذه الأزمان، ولكن لا بد للإنسان من بالصبر والإيمان ولزوم السُّنَّة حتى يلقى الله على هذا، وما ذكره البربهاري رحمه الله تعالى في كتابه مسائل نافعة وأصول عظيمة لمن تفقه فيها.

وإذا وقعت الفتنة فالزم جوف بيتك وفرّ من جوار الفتنة.

.....

يقول: إذا وقعت الفتنة فالزم جوف بيتك، هذا هو منهج أهل السُّنَّة في الفتن، أن الإنسان يكون في الفتن آخر وليس بأول، ولهذا جاء في الحديث «كن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل»[1]، وله شواهد، والنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «ستكون فتن»[2] ثم قال: «كونوا أحلاس بيوتكم»[1] يعني الزموا

(١) صحيح. أحمد (٢٢٤٩٩). الإرواء (٢٤٥١).

(٢) صحيح البخاري (٣٦٠١).

بيوتكم، والحِلس هو الكساء الذي تحت الشداد الذي يوضع على ظهر البعير، وقال النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الساعي»[٢]، وقال النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن الدجال: «من سمع به فلينْأَ عنه»[٣]، دائمًا يكون الإنسان بعيدًا عن الفتن، وقال سفيان الثوري -كما ذكرت لك فيما سبق- لما قيل له: إن الناس أكثروا في أمر المهدي؛ فقال لو مرَّ المهدي بباب بيتك فلا تتبعه حتى يجتمع الناس عليه[٤]، يعني دائمًا الإنسان يكون في مثل هذه الأمور يستأخر ولا يستعجل، ولهذا لما قُتِل عثمان قال الراوي: وقعت الفتنة؛ فدخل أشياخ من أهل بدر بيوتهم ولم يخرجوا منها إلا إلى المقابر، لهذا حُمِد من حُمِد باعتزال الفتنة والبعد عنها، دائمًا الإنسان يعتزل الفتنة ويبتعد عنها، وهذه وصية من البربهاري رحمه الله تعالى في زمن الفتن.

وإذا وقعت الفتنة فالزم جوفَ بيتك، وفرّ من جِوار الفتنة، وإياك والعصبية.

.....

العصبية لأنه إذا وقعت الفتنة قامت العصبية، التعصب للأوطان أو للقبائل أو غير ذلك لشيوع الفتنة.

وكل ما كان من قتال بين المسلمين على الدنيا فهو فتنة، فاتق الله وحده لا شريك له ولا تخرج فيها.

.....

أغلب قتال الناس على الدنيا، على المغالبة على الدنيا.

---

(١) صحيح. أبو داود (٤٢٦٢). صحيح وضعيف أبي داود (٤٢٦٢).

(٢) صحيح البخاري (٣٦٠١).

(٣) صحيح. أبو داود (٤٣١٩). صحيح الجامع (٦٣٠١).

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٣١).

ولا تقاتل فيها ولا تَهْوَ ولا تشايع ولا تمايل ولا تحب شيئًا من أمورهم؛ فإنه يقال: من أحب فعال قوم – خيرًا كان أم شرًا- كان كمن عمله، وفقنا الله واياكم لمرضاته وجنبنا وإياكم معصيته.

وأقلَّ النظرَ في النجوم إلا ما تستعينُ به على مواقيت الصّلاة والمهمات وما سوى ذلك فإنه يدعو إلى الزندقة.

.....

لأن الأصل أن الله سبحانه وتعالى خلق النجوم زينة للسماء ورجومًا للشياطين وليهتدي الناس بها في ظلمات البرّ والبحر ذلك، فأنت لا تستخدم هذه النجوم إلا للاهتداء ومعرفة القبلة، وما يتبع ذلك مما أباحه الله عزّ وجلّ كمعرفة أوقات زرع الثمار وما شاكل ذلك، أما الزعم بأن النجوم لها تأثير؛ وأن القمر إذا كان في المنزل الفلاني.

طبعًا البربهاري يتكلم عن عصره، فلا شك أنه شاع في عصره الاهتمام بمثل هذه العلوم والزعم أن لها تأثير كما هو في زماننا الآن ما يسمى بالأبراج.

وإياك والنظر في الكلام والجلوس إلى أصحاب الكلام، وعليك بالآثار وأهل بالآثار وإياهم فاسأل، ومعهم فاجلس، ومنهم فاقتبس.

.....

احذر من أصحاب الكلام وأهل البدع، وعليك بالآثار وأهل الحديث وأهل السُّنَّة الذين يقرؤون كتب أهل السُّنَّة، ويسلكون منهج أهل السُّنَّة، فالزم هؤلاء.

واعلم أنه ما عُبِدَ اللهُ بمثل الخوف من الله وطريق الخوف والحزن والشفقات والحياء من الله تبارك وتعالى، واحذر أن تجلس مع من يدعو إلى الشوق والمحبة ومن يخلو مع النساء وطريق المذهب؛ فإن هؤلاء كلهم على الضلالة.

.....

يقصد المتصوفة هؤلاء، وهو معاصر لهم الذين يفعلون مثل هذه الأمور؛ فإنه من عبد الله بالخوف -كما قال بعض السلف- فهو حروري، ومن عبده بالرجاء فهو مرجئ، ومن عبده بالمحبة تزندق أو هو زنديق،

والإنسان يكون بين الخوف والرجاء والمحبة، فالخوف جناح طائر، والرجاء جناح طائر، والمحبة هي رأس الطائر، الإنسان يكون بين هذه الأمور، هذا هو منهج أهل السُّنَّة، وهكذا جاء في الشريعة، مراد المؤلف ما عُبد الله بمثل الخوف يعني بتغليب جانب الخوف، وهذا في حال الصحة كما قدمت لك.

واعلم رحمك الله أن الله تبارك وتعالى دعا الخلق كلهم إلى عبادته ومنّ بعد ذلك على من شاء بالإسلام تفضلًا منه.

.....

هذه عبارة واضحة أن الله تعالى دعا الخلق إلى عبادته، وأنه سبحانه وتعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء فضلًا منه وكرم.

وانكفّ عن حرب علي ومعاوية وعائشة وطلحة والزبير ومن كان معهم، فلا تخاصم فيهم وكِلْ أمرهم إلى الله تبارك وتعالى؛ فإن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «إياكم وذكرَ أصحابي وأصهاري وأختاني»(١)، وقوله «إن الله تبارك وتعالى نظر إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم»(٢).

.....

نكتفي بهذا القدر، وإن شاء الله نكمل فيما يتعلق بهذه المسألة وهي الكف عما شجر بين أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وتكون هذه المسألة تقريبًا بترقيم الكتاب التي بين يدي مئة وعشرين، يعني باقي إن شاء الله أربعين أو خمس وأربعين مسألة، ونكمل غدًا، وإن شاء الله تكون مسائل يسيرة، أسأل الله التوفيق والإعانة، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد.

- يقول: قول البربهاري: وخالف الحق والجماعة وأباح الهوى؛ فهو أضر على الأمة من إبليس.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٤/ ٦)، وقال الهيثمي رحمه الله في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ١٥٧): (رواه الطبراني، وفيه جماعة لم أعرفهم).

(٢) صحيح البخاري (٣٠٠٧).

البربهاري رحمه الله تعالى يقول: إنه أضر من إبليس، هذا على سبيل التجوز والبيان، لأن إبليس يتعوّذ منه وينخنس إذا تعوذ منه، وهذا من شياطين الإنس فضرره بالغ.

- يسأل عن تلحين الكلام في القراءة.

هذا كان يقرأ على المشايخ ولا ينكرون ذلك؛ فأمره يسير إن شاء الله.

- هذا يقول: ينتشر اليوم دراسات في علم (كلمة غير مفهومة) وهو علم يحلل الشخصية عبر التوقيع والكتابة.

هذا من الشعوذة، وإنما يتبع ذلك سفهاء الناس.

- هذا يسأل عن مسألة خروج الإمام محمد بن عبد الوهاب على الدولة العثمانية.

هذه مسألة لا طائل تحتها، وأنا ذكرت أن المسألة هذه لا طائل تحتها، وإنما هذه تشنع على الدعوة، وهذا جزاه الله خيرًا يقول أن دولة ودعوة نجد لم تكن تحت الدولة العثمانية، والإنسان لا يتكلم في أمور لا طائل تحتها.

- يقول: الخوارج والمرجئة هم أصول أهل البدع.

نعم ذكر أهل العلم أن المرجئة والخوارج هم أصول أهل البدع، يعني هذه الركائز الأساسية التي تفرع عنها جزئيات.

- هل الأفضل للمسلم أن يجمع بين طلب العلم وبين التدرب على الجهاد وممارسة السلاح؟

أعظم الجهاد طلب العلم، الناس بحاجة إلى جهاد العلم وهو الجهاد الحقيقي، وبالمناسبة الجهل هو أعظم عدو على الإسلام والمسلمين، الأمس اتصل أحد بي وما كنت أتوقعه من سائل في هذه البلاد، أنه يسأل: أني سافرت وأنا أصلي وأقصر المغرب ركعتين! هذا يدل على شيوع الجهل، يحتاجون الناس للعلم أكثر من حاجتهم للطعام والشراب، العلم النافع القائم على كتاب الله وسُنَّة النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

- عندي بضائع يستخدمها النساء مثل الخاتم وغيره في الأسواق؟

ما أدري كيف تستخدمها النساء في الأسواق، هل يجوز البيع؟ نقول: أحل الله البيع وحرم الربا، ما دام أن الأصل في الاستخدام هو مباح فلا تشدد على نفسك، إلا إذا تبيّن لك أن هذا الاستخدام في الأعم الأغلب للأشياء المحرمة عند ذلك تتركه.

- هل نقل عن الإمام الغزالي والرازي أنهم رجعوا إلى عقيدة السلف؟

نتمنى إن شاء الله أنهم على هذا، عفا الله عنا وعنهم إن شاء الله، ولا يترتب على هذا كبير فائدة، لأنهم أفضوا إلى ما قدموا.

- أسلفتم أن من رد نصوص الكتاب متأولًا لا يكفر؛ ومع ذلك كفّر السلف الجهمية؟

التأويل منه ما هو مقبول وسائغ ومنه ما هو غير مقبول، وتأويل الجهمية ليس بمقبول وغير سائغ، ومخالف للدليل، بل هم يقدحون في الآثار ويطعنون بالآثار ويطعنون بحملة الآثار، بل طعنوا في أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الذين رووا الآثار.

- هل يقال في كلام الإمام أحمد السابق أنه من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق أنه قدري لأنه يؤول كلامه إلى القول بخلق أفعال العباد؟

هذا كلام الإمام أحمد لم يقل قدري وإنما قال: لفظي بالقرآن مخلوق -يريد القرآن- فهو جهمي، طبعًا لم يعد هناك شيء اسمه القدرية، اندمجت مع المعتزلة، وهذا ما يسمى بتداخل أهل البدع، يعني ورث مذهب القدرية في القدر المعتزلة، وورث مذهب الجبرية في القدر الجهمية.

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد

الشريط السادس

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا، وبعد

هذا المجلس السادس إن شاء الله، وبإذن الواحد الأحد سوف ننتهي من كتاب شرح السُّنَّة للإمام البربهاري، وقد مرّ معنا في هذا الكتاب من المسائل العظيمة والنافعة ما يحتاج في بعض المواضع إلى إطالة، ولكن الإنسان لا شك أنه مرتبط بوقت وبزمان لا بد أن لا يحيد عنه، ولا بد من إنهاء الكتاب كما تعلمون، ولكن الإنسان إذا قرأ هذا الكتاب يحتاج حاجة ماسة أن يطالعه بين الفينة والأخرى، وهكذا كتب السلف رحمهم الله، ولعل الله سبحانه وتعالى إنما حفظ هذا الكتاب مع تطاول الزمان ببركة النية الصالحة لمؤلف هذا الكتاب رحمه الله تعالى ومتابعة ما جاء عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وقد وصلنا في المسائل إلى ما يتعلق بالكف عما شجر بين أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وبارك على عبد الله ورسوله نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا اللهم علمًا وعملًا يا كريم، واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولشيخنا ولوالديه ولمشايخه والحاضرين وجميع المسلمين.

قال البربهاري أجزل الله له المثوبة ورحمه وجمعنا به في جنات النعيم:

والكفّ عن حرب علي ومعاوية وعائشة وطلحة والزبير ومن كان معهم، فلا تخاصم فيهم، وكِلْ أمرَهم إلى الله تبارك وتعالى، فإن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «إياكم وذكر أصحابي وأصهاري وأختاني»(١)، وقوله «إن الله تبارك وتعالى نظر إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم؛ فإني قد غفرت لكم»(٢).

.....

هذه المسألة أو العنوان أو هذه الفقرة التي كتبها الإمام البربهاري معروفة عند علماء أهل السُّنَّة بعنوان الكفّ عما شجر بين أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، هذا من أصول أهل السُّنَّة، هذا يدلك على أن ثمّ شيء وقع بين أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فإنه بعد مقتل عثمان تفرّق أهل الإسلام إلى طائفتين وانشغل بعضهم ببعض، ووقعت فتنة عظيمة، وكل طائفة ترى أن معها الحق، ولهذا فأهل السُّنَّة بعد ذلك استقرَّ أمرُهم واتفقت أقوالُهم على أن بحث ما كان بين معاوية وعليّ رضي الله عنه ينبغي أن يكون الإنسان فيه على الإجمال والترضي عن الصحابة رضي الله عنهم والتمسك بأصول أهل السُّنَّة في النظر إلى أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وبحمل أقوالهم وأفعالهم على أحسن المحامل، وعدم الطعن فيهم والترضي عليهم جميعًا، لما سبق من النصوص في الثناء على أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، لهذا قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾(٣)، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٤/ ٦)، وقال الهيثمي رحمه الله في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ١٥٧): (رواه الطبراني، وفيه جماعة لم أعرفهم).

(٢) صحيح البخاري (٣٠٠٧).

(٣) التوبة: ١٠٠.

قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[1] .

قال أهل السُّنَّة: إنك ربما إذا بحثت في هذه المسائل وتعمقت فيها وأصبحت شغلك الشاغل معرفة هذه الأحداث ربما يقع في قلبك شيء من غلٍّ على أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إما عليّ وإما معاوية، وأنت أيضًا لا تسلم من الإثم، ولذا ينبغي لك أن تقف تجاه هذه القضايا، ولأن الباحث في هذه القضايا لا يكاد يجد شيئًا ثابتًا، كل القضية قضية روايات تاريخية وأحداث رواها الناس، لكن على وجه التفصيل والمعرفة الدقيقة لا يمكن أن تعرف هذا، ثم إن أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ما فعلوه؛ فعلوه عن اجتهاد، فمن أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ فخطأه مغفور وله أجر واحد، وأهل السُّنَّة يقولون: إن الحق كان مع عليّ لِمَا جاء في حديث النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في حديث عمار في صحيح البخاري «تقتلك الفئة الباغية»[2]، مع ذلك يترضون على معاوية وعلى الزبير وغيره من أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ويقولون: إنهم فعلوا ذلك عن اجتهاد، وهم فعلوا ذلك عن اجتهاد، ولهذا إذا رأيت من يبحث هذه المسائل ويطرحها بين عوام الناس ويثيرها؛ فاعلم أنه إنما يتوصل بها لشيء آخر، لهذا لا يُحَدَّثُ الناس بمثل هذه القضايا كما يفعل بعض المعاصرين، هذا غلط مخالف لمنهج أهل السُّنَّة، الإنسان يعرف هذا الأصل وأن هذا الأصل مُقتبس من الدليل القرآني الذي ذكرته لك، وما قرَّره البربهاري فهذا الأصل، وأما ما ذكره من الحديث فلا يصح بهذا اللفظ، ولكن جاء في الحديث الآخر الذي هو حسن بالشواهد «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»[3]، وثمّ أحاديث ثابتة «لا تسبوا أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه»[4] إلى غير ذلك من الأحاديث الثابتة التي يرويها أهل السُّنَّة في اعتقادهم.

واعلم رحمك الله أنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه، وإن كان مع رجل مال حرام فقد ضمنه، لا يحل لأحد أن يأخذ منه شيئًا إلا بإذنه؛ فإنه عسى أن يتوب هذا فيريد أن يرده على أربابه فأخذت حرامًا.

---

(١) الحشر: ١٠.
(٢) صحيح البخاري (٤٤٧) بنحوه.
(٣) صحيح. الطبراني في الكبير (١٩٨/ ١٠). الصحيحة (٣٤).
(٤) صحيح البخاري (٣٦٧٣).

.....

معنى كلام البربهاري في هذه النقطة يعني لا تأخذوا المال الحرام، ولا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس[1]، هذا ثابت، لا يجوز لك أن تأخذ مال أحد إلا ونفسه طيبة في ما أعطاك، كذلك لا تأخذ المال الحرام، يعني لو أن الإنسان عنده مكاسب محرمة أو يتعاطى أخذ الحرام وأكل الحرام ويكتسب هذه الأموال من الحرام، فهذا إثمه عليه، هذا لا يبيح لك أن تأخذ، لأنه ممكن أن يتوب مما يفعل ويريد أن يرد هذه الأموال فتكون قد أخذت منه مالًا في غير حله ولا يستطيع أن يرده، فإثمه على نفسه، (جملة غير واضحة)، لأنه ربما ينتشر بين الناس مثل هذه الأشياء، ولهذا هناك مثل يطرقه العوام - نسأل الله السلامة والعافية - الذي هو رقيق الدين، هو في الزمان السابق وحتى في الزمان المعاصر، وبعضهم يقول: السارق من السارق كالوارث من أبيه، فهذا غلط مخالف لما جاءت به الشريعة، فإذًا كونه سارق أو يأخذ مالًا حرامًا لا يبيح لك أن تأخذ منه، لأنه إذا سرق الإثم عليه، وربما يريد أن يرد هذه المسروقات، هذا ما يريده البربهاري رحمه الله تعالى.

والمكاسب مطلقة ما بان لك صحته فهو مطلق إلا ما ظهر فساده، وإن كان فاسدًا يأخذ من الفساد من يمسك نفسه، لا تقول أترك المكاسب وآخذ ما أعطوني، لم يفعل هذا الصحابة رضي الله عنهم ولا العلماء إلى زماننا هذا، وقال عمر رضي الله عنه: كسب فيه بعض الدنية خير من الحاجة إلى الناس[2].

.....

يبين لك الآن فيما يتعلق في المكاسب، يقول: الأصل في المكاسب الحل، والأصل في البيع أنه مبني على الحل، والمعاملات الأصل فيها الإباحة، الأصل في المكاسب الحل، والمكاسب التي هي حلال هي التي تبيّن لك أنها صحيحة من جهة الشرع إلا ما ظهر لك أنه فاسد، تبيّن لك أن هذا مكسب فاسد، إما أن ثمّ عيب أو لم يتحقق فيه شرط من شروط البيع أو فيه ربا أو فيه أي مكسب فاسد، تبيّن لك من خلال الشريعة، فهذا اتركه، ثم يفترض افتراض رحمه الله تعالى أنه إذا عمّ الحرام في مكاسب الناس - هذا افتراض أنه ربما يكون

(١) صحيح. سنن الدارقطني (٢٨٨٦). الإرواء (١٤٥٩).

(٢) إصلاح المال لابن أبي الدنيا (٣٢٣).

في زمان أو مكان – تكون المبايعات كلها حرام، إما أنها مشتملة على ربا أو غيره، هذا قد يوجد في بعض بلاد الكفار الذي ابتُلي الإنسانُ بالمقام معهم قد لا يستطيع أن يشتري مثلًا بيت أو سيارة إلا بطريق الربا؛ فهل نقول له: افعل؟ وإذا عمّ الحرام – على فرض ذلك – فيأخذ القدر الضروري من الحياة ممسكة نفسه أي الذي يحصل به قيام الأود وقيام الحياة، وأما ما عدا ذلك فلا تفعل، لا تفعل هذه الأمور ولا تتعاطى مثل هذه المحرمات، ثم قال: وإن كان فاسدًا يأخذ من الفساد ما يمسك نفسه ولا نقول: اترك المكاسب وخذ ما يعطوني، فلا تصير شحاذًا ولا متسولًا – الذين يسألون الناس –؛ باعتبار أن المكاسب حرام فتلجأ إلى السؤال! إذا عمَّ الحرام تقول: أنا أجلس وأسال الناس! يقول: لا تفعل هذا، لم يفعله الصحابة ولا العلماء إلى زماننا هذا، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وكسب فيه بعض الدنية خير من الحاجة إلى الناس، يعني بعض المكاسب قد يستقذرها الناس مثل الحجّام أو أشياء مثلها قد يستقذرها بعض الناس أو عموم الناس، يقول عمر: المكسب الحلال بهذا الطريق خير من أن تسال الناس، وهذا فيه النهي عن السؤال، إذًا هو يتكلم عن قضايا، وربما يكون البربهاري عايش بعض هذه الأمور في زمن فتنة أو أماكن.

والصلوات الخمس جائزة خلف من صليت خلفه إلا أن يكون جهميًا فإنه معطل، فإن صليت خلفه فأعد صلاتك، وإن كان إمامك يوم الجمعة جهميًا وهو سلطان فصل خلفه وأعد صلاتك، وإن كان إمامك من السلطان وغيره صاحب سُنَّة؛ فصل خلفه ولا تعد صلاتك.

.....

هنا يقرر مسألة الصلاة خلف أهل البدع، يقول: الصلوات الخمس جائزة خلف من صليت خلفه إلا أن يكون جهميًا، طبعًا هذا الجهمي فيه الجهمية المحضة – الفرقة المعروفة – الذين يقولون بتعطيل الأسماء والصفات، يقول: هذا الجهمي إن صليت خلفه فأعد صلاتك، ويدخل في هذا الجهمي والرافضي والقدري من مُنْكِرَة العلم وسائر أهل البدع المكفرة، لأن ثمّ من البدع ما هي مكفرة ومنها ما هو غير مكفر، فمن وقع في بدعة مكفرة فلا تصل خلفه، كذلك الذي يستغيث بغير الله عزّ وجلّ ويذبح لغير الله فلا تصل خلفه، قال: وإن صليت خلفه فأعد صلاتك، قال: وإن كان إمامك يوم الجمعة جهميًّا وهو سلطان بلد – هم كانوا يتولون إمامة الصلاة – وتركك للصلاة خلفه قد يترتب عليه فتنة، عليك أو فتنة عامة؛ يقول: فصل خلفه،

وأعد صلاتك، قال: وإن كان إمامك من السلطان وغيره صاحب سُنَّة فصل خلفه، هذا معلوم ومعروف أن صاحب السُّنَّة الصلاة خلفه صحيحة، لكن الكلام في الصلاة خلف الجهمية لا تجوز وهكذا سائر البدع المكفرة، وكذلك إذا كان الجهمي إمامًا؛ فإنك تصلي خلفه ولكن تعيد صلاتك، وإنما قال الأئمة بالصلاة خلفه درءًا للفتنة العامة أو الفتنة الخاصة على الإنسان، لأنه إذا كان من الأعيان وترك الصلاة خلفه لربما ترتب ضرر عليه فالفتنة مدفوعة إما فتنة خاصة أو فتنة عامة.

والإيمان بأن أبا بكر وعمر في حجرة عائشة رضي الله عنها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد دُفنا هناك معه، فإذا أتيت القبرَ فالتسليم عليهما واجب بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

.....

كما قلت لك البربهاري يعالج قضايا موجودة في عصره، فربما كان حصل إنكار بأن المقبور مع النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في حجرة عائشة ليس أبا بكر وعمر، وهذا ثابت من جهة الدليل ومن جهة التاريخ أن عمر وأبا بكر رضي الله عنهما دفنا مع النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في حجرة عائشة، قال: فإذا أتيت عليهما القبر فالتسليم عليهما واجب، والصحيح أن التسليم عليهما ليس بواجب، ولعل هذا سبق القلم من المؤلف رحمه الله تعالى.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إلا من خفت سيفه أو عصاه.

.....

يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إلا إذا ترتب على ذلك ضرر عليك؛ فإنك تدفع الضرر عنك، والبربهاري في زمانه كان من المقبول أن أهل العلم وأهل الفضل يحتسبون، أما بعد ذلك فالأمور ترتبت وربطت بالسلطان ونواب السلطان، وأما تغيير المنكر باليد ليس هذا إلا للسلطان، أما في الأزمنة المتقدمة فكان ثمّ إذن للناس وعامة الناس من جهة أهل العلم أنهم كانوا يمارسون الإنكار باليد، ولهذا لو تقرأ في البداية والنهاية تجد أن فلانًا كان يفعل وفلانًا كان يفعل؛ فهذا هو أحسن المحامل، وإلا فالأصل أن الإنكار باليد هو للسلطان، أما الإنكار باللسان فهو لكل أحد بالتي هي أحسن، وينكر الإنسان بلسانه

وينكر بقلبه، وهذا ثابت على كل أحد، فالإنكار باللسان مطلوب، قال: إلا أن يترتب عليه ضرر؛ فعند ذلك تمسك وتلجأ إلى الإنكار القلبي.

والتسليم على عباد الله أجمعين.

.....

السّلام من شعائر الدين، النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أمر به فقال: «أفشوا السّلام بينكم»(١)، والنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول: «أطعموا الطعام، وأفشوا السّلام، وصِلُوا الأرحام، وقوموا بالليل والناس نيام؛ تدخلوا الجنة بسلام»(٢)، وهذه السُّنَّة التي ذكرها البربهاري رحمه الله تعالى بدأت تضعف في أحوال الناس، فالإنسان ينبغي إذا كان سُنِّيًا أن يأخذ بالسُّنَّة على وجه الكمال، لا يأخذ شيئًا من السُّنَّة ويترك! هكذا أهل السُّنَّة، يعني السُّنَّة ومنهج السلف شامل للكليات والجزئيات، فمن علامات السُّنِّي إفشاء السّلام، والنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «أفشوا السّلام»، فتستغرب من بعض الناس يمرّ بجانبك وينظر إليك ولا يسلّم عليك، هذا في الحقيقة مصيبة بُلي الناسُ بها في هذا الزمان، خاصة الزمن المعاصر، والإنسان الذي أدرك أناسًا من سنوات، ربما شبكات التواصل والتفكير بالدنيا أشغلت الناس، الإنسان ينبغي أن يفشي السّلام على من عرفت ومن لم تعرف، هذه من السُّنَّة ومن منهج السلف.

ومن ترك صلاة الجمعة والجماعة بالمسجد من غير عذر فهو مبتدع، والعذر كمرض لا طاقة له بالخروج إلى المسجد أو خوف من سلطان ظالم، وما سوى ذلك فلا عذر له.

ذكرت لك أن المؤلف متأثر بالحالة النفسية التي كان يعيشها رحمه الله تعالى لأنه لو قرأت سيرة البربهاري لوجدت أنه تُسُلِّط عليه وظُلِم ومات مختفيًا، فكتابته لشرح السُّنَّة يبين لك هذا الأمر من خلال فقرات هذا الكتاب، قال: ومن ترك صلاة الجمعة والجماعة في المسجد من غير عذر، هذا من علامات أهل

---

(١) صحيح مسلم (٥٤).

(٢) صحيح. الترمذي (٢٤٨٥). صحيح الجامع (٧٨٦٥).

السُّنَّة حضور صلاة الجماعة، لهذا عبد الله بن مسعود يقول: «إن الله قد شرع لنبيكم سُنَن الهدى، وإنهن من سُنن الهدى، ولو صلّيتم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سُنَّة نبيكم، ولو تركتم سُنَّة نبيكم لضللتم»(١)، فمن علامات أهل السُّنَّة أنهم يعمرون المساجد، ولهذا علامات أهل البدعة ترك صلاة الجماعة، قال: فلا تترك صلاة الجمعة والجماعة، ولهذا يرون صلاة الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر، صلّى الصحابة رضي الله عنهم خلف الفجار كما قدمت لك، صلوا خلف الحجاج، وصلّى خلفه ابن عمر رضي الله عنه، وأنس بن مالك، يصلون خلف الفجار إذا كانوا أئمة تحقيقًا لهذه السُّنَّة، قال: والعذر كمرض، العذر معروف أن المرض عذر، ولهذا الصحابة من حرصهم على صلاة الجماعة أن الرجل يؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف من حرصه على صلاة الجماعة لما جاء فيها من الفضائل التي لا تخفى عليكم من أحاديث النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم والثواب العظيم في كل خطوة يخطوها إلى المسجد، وهي من علامات السُّنَّة والخير والإيمان، وإنك تعجب ممن يحاول أن يُشكك في وجوب صلاة الجماعة في هذا الزمان! ويحاول أن يقول صلاة الجماعة سُنَّة ويحاول يتعسف، هؤلاء في الغالب ممن خالف طريقة أهل السُّنَّة ومنهج أهل السُّنَّة، ولهذا هذه لها أُخيَّات، لا تحسب أنها هي المسألة الوحيدة! هذه لها أُخيَّات تعرفها من هؤلاء، يأتيك شخص يقول إغلاق المحلات وقت الصلاة أن هذا مخالف لعهود المسلمين، تتميز الدولة السعودية عن غيرها أن المؤذن إذا أذن أُغلقت المحلاتُ، ويُعان الناس على الصلاة، فيأتينا من يشكك في هذا الأمر ويحاول أن يتعسف، - نسأل الله السّلامة والعافية -، هكذا أهل الأهواء، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾(٢)، سيماهم في وجوههم، تجد كل فترة واحد يتكلم في هذه القضية، هؤلاء أهل الأهواء، هؤلاء يتوصلون إلى ما هم أعظم، لهم أهداف، قد يكونوا مأجورين ومغفلين يوضعون في الواجهة، لكم هم لهم أهداف، أهداف من جهة الدين وأهداف من جهة الدنيا، أما من جهة الدين فهذا ظاهر، أما من جهة الدنيا فهذا كيد ومكر بهذه الدولة المباركة حتى يُسقطوا عنها الشرعية وعما تميّزت به، أعظم ما تتميز به هذه الدولة بعد تحكيم شرع الله عزّ وجلّ هي قضية إغلاق المحلات وقت الصّلاة، فالرجل من المشرق والمغرب يأتي وهو لا يصلي، ثم يُعان بهذه القضية فيصلي صلاة الجماعة ويستقيم وتتغير

(١) صحيح مسلم (٦٥٤).
(٢) محمد: ٣٠.

أحواله، هذه ميّزة عظيمة، ما يصحب ذلك من أخطاء يُعالج بقدرها، لأن بعض الناس ربما يخرج عن الموضوع، يقول: بعض الأئمة يتأخر! هذه قضية تعالجها الجهات المختصة، أما أن يقال: إن إغلاق المحلات وقت الصلاة! هذا معلوم من شعائر الإسلام، إذا كانت المحلات فاتحة؛ من الذي يصلي؟ ما الفرق بين بلاد المسلمين وبلاد الكفار، هذا ما تميّزت به هذه الدولة، وتجد مع ذلك من يُشكك ويتكلم بين الفينة والأخرى، فأنا ألفت أنظاركم أن مرادهم أمرين، أمر الدين وهذا واضح لكم، وأمر الدنيا، فقد قلت لكم أنهم يريدون إسقاط الشرعية عن هذه الدولة ويتوصلون حتى لا تتميز عن غيرها – قصدوا أم لم يقصدوا.

ومن صلّى خلف إمام فلم يهتدِ به فلا صلاة له

.....

لأن الإمام إنما ما جعل ليؤتم به كما قال النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم[1].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان والقلب بلا سيف

.....

لأن السيف مذهب الخوارج، ولهذا كان السلف كما قدمت لك يقولون: فلان كان يرى السيف؛ فيجعلونه من مواضع الجرح، هؤلاء الذين يرون السيف أو الخروج على السلاطين أو استحلال دماء المسلمين وأموالهم كما هو معروف من مذهب الخوارج، قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد، وقد قدمت لك أنه باليد الأصل اختصاص السلطان بذلك، ولكن في الأزمنة السابقة كان أهل العلم الذين يُشار لهم بالبنان كانت السلاطين تأذن لهم بمسألة الإنكار باليد، وهذا مثل ما نُقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم، فكان هذا معروف وكان لهم إذن، أما الآن بعد تطاول الزمان وتغير الأمور؛ الأصل أن الإنكار باليد الأصل اختصاصه بالسلطان فلا يتعدَّ الإنسانُ في مثل هذا.

---

(١) صحيح البخاري (٧٣٤).

والمستور من المسلمين من لم تظهر له ريبة.

.....

وهذا يعطيك الضابط في المستور، هذا يستفيد منه كثير من الناس الذين يعرفون، بعض الناس يقول مثلًا الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من معاملة الناس بالستر، نعم، المستور ما لم تظهر منه ريبة، يعني الإنسان هو الذي يسير كعامة الناس، أما إذا ظهرت منه ريبة، وذكر أهل العلم في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الريب التي تُوجب الاحتساب، كأن يسمع مثلًا من مكان مغلق مثلًا الغناء والرقص وما شابه ذلك؛ يقول: هؤلاء مستورين! لا ليس بصحيح، المستور هو الذي لم يُعلن ولم تظهر منه ريبة، إذا كان لم تظهر منه ريبة فلا تفتش، منهي أنت عن التفتيش وعن التجسس وعن التحسس، لكن من يظهر منه خلاف ذلك، والريب كثيرة جدًا لا يمكن حصرها، قرائن الأحوال التي تثبت للإنسان، المريب هذا، فلأهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الاحتساب عليه والبحث عن شأنه، حتى يُقطع المنكرُ، لأن ظهور الريبة دليل على ظهور المنكر لأنه لو كان مُخفيًا ما ظهرت منه الريبة.

وكل علم ادّعاه العباد من علم الباطن لم يوجد في الكتاب والسُّنَّة فهو بدعة وضلالة ولا ينبغي لأحد أن يعمل به ولا يدعو إليه.

.....

هنا يرد البربهاري رحمه الله تعالى على المتصوفة، المتصوفة والباطنية يدّعون أن للدين ظاهرًا وباطنًا، أما الباطنية هؤلاء زنادقة خرجوا عن الدين، لأنهم يعتقدون أن للدين ظاهر يخالف الباطن، وأن علم الباطن يختص به هؤلاء، وهؤلاء زنادقة كفار من الباطنية والإسماعيلية ومن شاكلهم وسار على مذهبهم من الدروز والنصيرية لا شك في كفرهم، والطائفة الأخرى ممن يدعي علم الباطن المتصوفة والطُّرُقية الذين يزعمون أن الإنسان يُفتح عليه في علم الباطن ما يخالف به شريعة محمد صلّى الله عليه وسلّم، ويدَّعون أن الخضر مع موسى على هذا النحو، وأنه تعلم ما يسمى بالعلم اللدني وهذا العلم اللدني يتلقاه الإنسان ويخالف به الشريعة، طبعًا هذا باطل، الاستدلال بقصة موسى مع الخضر باطل، لأن موسى كان مبعوثًا خاصة لبني

إسرائيل ولم يبعث للخضر، لهذا قال الخضر: أنت موسى بني إسرائيل؟[1] والخضر على الصحيح من أقوال أهل السُّنَّة أنه نبيّ؛ لأنه ما فعل ما فعل إلا عن سبيل الوحي، فهؤلاء يستدلون بمثل هذا، هؤلاء الذين يدعون علم الباطن كالحلاج وابن عربي والتلمساني وغيرهم كلهم يدندنون حول هذا، ومتأخرة المتصوفة كذلك على هذا المنهج – ادعاء علم الباطن وأمور كثيرة – حتى – والعياذ بالله – يدّعون أن هذا الكون يدبره الأبدال والأقطاب، إلى غير ذلك من الانحرافات المعروفة عند المتصوفة الطرقية، يقول: احذر من هذا لأن الدين لا يوجد فيه شيء اسمه باطن، الدين ظاهر، الشريعة ظاهرة، وأحكامها ظاهرة، ما فيها أسرار، الدين ظاهر وليس فيه شيء مخفي أو يخفى كما يدعي أهل الأهواء، الدين ظاهر وكامل وليس في الدين شيء مكتوم.

الطرقية هؤلاء دينهم قائم على الشرك بالله عزّ وجلّ والكفر بالله عزّ وجلّ، فرْق بين الصوفية الطرقية وبين من ينتحل التصوف ويكون عنده تصوف، أنا أقول الصوفية الطرقية، الذين نعرفهم من الصوفية الطرقية – والعياذ بالله – قيامهم على الشرك بالله عزّ وجلّ ودعاء غير الله والاستغاثة بغير الله، هذا معروف، كل الطرق الموجودة ليس ثمّ طريق سليم من هذه الانحرافات والكفريات، وهذا شهد عليهم أهل زمانهم من المتصوفة، وهناك كتاب يخفيه المتصوفة اسمه الزوايا وما فيها من المنكرات والبدع لأحد المتصوفة الذي ترك التصوف، كان أبوه شيخ طريقة أحمد الغماري رحمه الله تعالى، ترك التصوف وكتب عن التصوف، الكتاب جميل جدًا موجود على الانترنت اسمه الزوايا وما فيها من منكرات، ذكر أشياءً عجيبة عن المتصوفة لا نطيل فيها، لكن من أغرب ما شاهد – من باب الفوائد والترويح – يقول: إني رأيت بالقرب من مسجد الحسين في مصر – الذي يدّعون أن الحسين مقبور رأسه أو جزء من بدنه فيه – فيقول: رأيت مشايخ الطرق يقيمون احتفالًا لهم الصوفية بعيني، رأيت في المقهى أشخاصًا قد تجمعوا على شخص قد لبس هندامًا جميلًا وشكله غريب وفيه وسامة؛ فاستغربت، فقلت: من هذا الرجل؟ لأنه لابس ثياب رجل، فقالوا لي: هذا شيخ الطريقة؟ قلت: هذا ذكر أم أنثى؟ قالوا: أنثى، لأن شيخ الطريقة مات فورثوا البنت رئاسة مشيخة الطريقة، وهي تلبس عمامة وثوب – هذا رآه أحمد الغماري –لا حد للضلال – نسأل الله السّلامة والعافية –،

(١) صحيح البخاري (١٢٢).

الصوفية إذا جاء المولد النَّبويّ تراهم يرقصون في المساجد ويزعمون أن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يحضرهم ويقيمون الحضرة، كل المتصوفة الطرقية على هذا النحو، لا أعلم طريقة من الطرق سليمة، كلها ضالة مضلة – نسأل الله السّلامة والعافية –.

وأيما امرأة وهبت نفسها لرجل فإنها لا تحل لـه، يعاقبـان إن نـال منهـا شـيئًا إلا بـولي وشـاهدي عـدل وصداق.

.....

هنا يُبيّن أن المرأة ليس لها أن تهب نفسها للرجل، هذا خاص بالنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كما هـو معلـوم ومتفق عليه كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، والنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الصحيح أنه ليس عنده موهوبة كما ذكـر ذلـك عبـد الله بن عباس، قد تكلم أهل العلم في فلانة، والصحيح أن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لـيس عنـده إلا ملـك يمين أو زوجة وليس عنده موهوبة، وامرأة وهبت نفسها للنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولم يُرِدِ النَّبـيّ صـلّى الله عليه وسلّم أن ينكحها.

وإذا رأيت الرجل يطعن على أحد من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فاعلم أنه صاحب قـول سوء وهوى لقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»[2] قـد عَلِـم النَّبـيّ صـلّى الله عليه وسلّم ما يكون منهم من الزلل بعد موته؛ فلم يقل فيهم إلا خيرًا، وقوله «ذروا أصحابي لا تقولوا فيهم إلا خيرًا»[3]، ولا تحدث بشيء من زللهم ولا حربهم ولا ما غاب عنك علمه ولا تسمعه من أحد يحدث به؛

---

(١) الأحزاب: ٥٠.

(٢) صحيح. الطبراني في الكبير (١٩٨/ ١٠). الصحيحة (٣٤).

(٣) قال الشيخ عبد العزيز الراجحي حفظه الله في شرحه على نفس الكتاب (الشريط الرابع عشر): (أخرجه البزار بإسناد حسن بنص: (دعوا لي أصحابي)، وقوله: (لا تقولوا فيهم إلا خيراً) أخرجه خيثمة بن سليمان في فضائل الصحابة، كما في جزء طرق حديث: (لا تسبوا أصحابي) وإسناده ضعيف).

فإنه لا يَسْلَمُ لك قلبُك إن سمعت.

.....

هذا كلام شديد من البربهاري رحمه الله تعالى، يعطيك قواعد، قاعدة ثابتة: إذا رأيت الرجل يطعن على أحد من أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فاعلم أنه صاحب سوء وهوى، هذا صحيح، ولهذا كما قد قدمت لك معاوية ستر أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، من يتكلم في أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ويطعن في أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فهو على غير الطريق وعلى غير المنهاج الصحيح، فاحذره، ولهذا يقول: لا تحدث بشيء من زللهم، الصحابة غير معصومين من الزلل، لا نقول بعصمة للصحابة كما يقول الروافض في أئمتهم الاثني عشر، نقول: الصحابة يقع منهم الخطأ والزلل، قال: وما غاب عنك علمه، لأنك لم تحضر الوقائع فيغيب عنك شيء كثير جدًا، لا تسمع من أحد يحدث به، لا تسمع أحدًا يتحدث بما جرى بين أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قلنا: الكف عما شجر بين أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، تأخذ هذه الأمور على القضايا والإجمال، ولا مانع أن تطلع على كتب أهل السُّنَّة التي دونت في التاريخ، ولكن تبحث وتنقب وتفتش! هذا خلاف منهج أهل السُّنَّة كما قد لك البربهاري رحمه الله تعالى.

وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار أو يرد الآثار أو يريد غير الآثار؛ فاتهمه على الإسلام ولا تشك أنه صاحب هوى مبتدع.

.....

الطعن في الآثار بريد الزندقة، ولاشك أن من يطعن في الآثار في الأحاديث ويتكلم فيها ويتحكم ويرد الحديث أو لا يقبل هذا الحديث عقلي أو هذا الحديث غير مقبول فاتهمه في الإسلام، هذا خطير، هذا بريد الزندقة، رد الآثار والكلام فيها، أو من ينكر السُّنَّة ويتكلم في السُّنَّة لاشك أن هذا بريد الزندقة – نسأل الله السلامة والعافية –، يعطيك علامة تعرف بها وتميز بها، فلا تشك أنه صاحب هوى ومبتدع، مبتدع حينما

قلت: الشطر الأول هو في مسند أحمد (١٣٨١٢) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٩٢٣)، وأما الشطر الثاني فهو جزء من حديث (إياكم وذكر أصحابي وأصهاري وأختاني)، وهذا سبق بيان ضعفه. والله أعلم بالصواب.

يتكلم في آثار النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فيحذر الإنسان مثل هذه الأمور، ويعظم الآثار ويعظم ما جاء عن الله وما جاء عن رسول الله عليه وسلّم.

واعلم أن جَور السلطان لا ينقص فريضة من فرائض الله التي افترضها على لسان نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، جوره على نفسه وتطوعك وبرّك معه تام لك إن شاء الله، يعني الجماعة والجمعة معهم والجهاد معهم وكل شيء من الطاعات، فشارك فيه فلك نيتك.

.....

سبحان الله، هذا يبيّن – وهذا موجود في الزمان السابق وفي الزمان الحاضر – أن أحكام الله نافذة ولا تتعطل بوجود الجَور من السلطان، ولهذا قال أهل السُّنَّة: والحج والجهاد ماضيان مع كل أمير برّ كان أو فاجر، وأحكام الله والحرام محرم، لأن بعض الناس يقول: إذا وقع الجور من السلطان أو صارت الأثرة للإنسان أن يأخذ من أموال السلاطين! كما يفعل الآن بعض الناس يزين لهم الشيطان الحرام ويقول: إن هذا ظَفَر، هذا انحراف، الفرائض قائمة ولا يبطلها ما حدث من الإمام من الجَور والظلم والأثرة، كما قد ذكر لك البربهاري رحمه الله تعالى قال: وتطوعك وبرك معه تام لك إن شاء الله، لأن أهل السُّنَّة أهل جماعة، وأهل البدعة أهل فرقة، فرْق بين أهل السُّنَّة وأهل البدعة، أهل السُّنَّة أهل جماعة – جمع كلمة، يجمعون الكلمة ويحقنون الدماء –، أعلم الناس بالحق وأرحم الناس بالخلق، آثارهم طيبة على الأفراد والمجتمعات والبلدان والحكام، لا تقوم الدول ولا تُبنى ولا تُعمر الأوطان إلا بمنهج أهل السُّنَّة والجماعة؛ منهج السلف، لهذا الدولة التي تظهر السُّنَّة وتظهر منهج أهل السلف فهي تُبشر بالعمار والازدهار، ومن تتبنى النِّحَل الفاسدة فقل عليها الوبال والدمار، ولهذا الخوارج لا يقيمون دولة، اعرف هذا، دولهم منقطعة ومنتهية لأنها قائمة على البدعة – ليسوا بأهل جماعة – أهل فرقة يستبيحون دماء المسلمين بأدنى شبهة، كما هو معلوم من زمانهم السابق والمعاصر، فلا تغتر بالدعايات والأشياء، (كلما خرج قرن قطعه الله) [1] مقطوعين، لأنهم قائمون على غير السُّنَّة وعلى غير الجماعة، وهم لا يُوثق بعهودهم، ولا يمكن أن تقوم

---

(١) ضعيف. الحاكم (٥٣٣/ ٤)، والنسائي (٤١٠٣)، صحيح وضعيف النسائي (٤١٠٣).

الدولة على منهج الخوارج، مهما فعلوا، مهما أعلنوا إمارة، ومهما ظنوا أنهم كسبوا، بالعكس في الزمن المعاصر الآن الخوارج ومن كان على منهج الخوارج مثل الكلب العقور يستخدمه الأعداء ويطلقونه لأهداف، هكذا معلوم من منهج الخوارج، ولهذا ما أضر الإسلام والمسلمين أكثر من الخوارج، ما عطل الفتوحات إلا الخوارج، ما أفسد بلاد المسلمين في الزمن السابق إلا الخوارج، تاريخهم حافل بهذا، لا يقيمون لا دين ولا دولة.

وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، فإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سُنَّة إن شاء الله؛ لقول فضيل: لو كانت لي دعوة ما جعلتها إلا في السلطان، أنبأنا أحمد بن كامل قال: حدثنا الحسين بن محمد الطبري قال: حدثنا مردويه الصائغ قال: سمعت فضيلًا يقول: لو أن لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان، قيل له: يا أبا علي فسّر لنا هذا؟ قال: إذا جعلتها في نفسي لم تعدني، وإذا جعلتها في السلطان صلح فصلح بصلاحه العباد والبلاد، فأُمرنا أن ندعو لهم بالصلاح ولم نؤمر بأن ندعو عليهم وإن جاروا لأن ظلمهم وجورهم على أنفسهم وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين.

.....

مسألة عظيمة يشرق فيها أهل الأهواء، إذا أردت أن تعرف صاحب الهوى فامتحنه عند هذه المسألة، فإنها تظهر على فلتات لسانه وعلى وجنات وجهه بالغضب، لأنه في قلبه هوى ويضمر أشياء، هذا منهج أهل السُّنَّة، الدعاء للسلاطين بالعافية، لا تملقًا ولا نفاقًا ولا طلبًا لدنيا، هذا منهج عندهم، البربهاري (جملة غير واضحة) تأذى من السلطان، مات مختفيًا، تسلطوا عليه، وابن تيمية رحمه الله تعالى مات مسجونًا في سجن القلعة، فما يتغير منهجهم، لأنهم تجردوا من الأهواء، ولهذا بعض الناس يحاول (جملة غير واضحة) بالنصوص الدعاء للسلاطين بصلاحهم وعليه تدل مقاصد الشريعة لأنه يصلحوا، لأن صلاح السلطان به صلاح الرعية، هذا أمر متفق عليه، ويذكره أهل السُّنَّة في عقائدهم، وليس البربهاري وحده، يقول: ولا ندعو عليهم، الدعاء على السلاطين ليس من منهج أهل السُّنَّة، لا ندعو لهم إلا بما فيه النفع المتعدي للمسلمين، لا نبالغ في الدعاء، ندعو لهم بالصلاح والمعافاة، أن الله يعافيهم من المعاصي ومن الذنوب وأن يثبتهم على السُّنَّة وأن يوفقهم للسُّنَّة وأن ينصر بهم الدين، بهذا ندعو لهم، هذا منهج أهل السُّنَّة، ليس بأن

يدعو إذا أُعطي أم لم يعط، هذا النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ذمّ من إذا أعطي دعا وإذا منع من الدنيا تحوّل قال: «من بايع الإمام لا يبايعه إلا للدنيا؛ فإن أعطي منها رضي»[(١)] هؤلاء ليسوا من منهج أهل السُّنَّة، نتكلم على منهج أهل السُّنَّة، ولهذا بيّن لك وعلل لك البربهاري سبب الدعاء للسلطان، وهذا منقول عن أئمة كالفضيل بن عياض وغيره كالإمام أحمد ندعو لهم بالصلاح والمعافاة والهداية والتوفيق والرشاد، كما قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: لولا السلاطين لأكل الناس بعضهم بعضًا؛ ولولا العلماء لكان الناس كالكلاب والبهائم[(٢)] -لا يفهمون-، فلولا وجود السلاطين يأكل الناسُ بعضهم، فلا تؤمن السُّبل إلا بوجود السلطان، فالإنسان يتبصر في الدول التي يحصل فيها اختلال أمن وسقوط السلطان وذهابه يأكل الناس بعضهم بعضًا، لهذا هذا منهج أهل السُّنَّة منهج رحمة وعمار وازدهار كما ذكر لك البربهاري، وبيننا وبين البربهاري ألف سَنَة الآن، وهذا محل اتفاق بين الأئمة.

ولا تذكر أحدًا من أمهات المؤمنين إلا بخير.

.....

هذا فيما يتعلق بأزواج النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وأزواج النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم هم أهل بيته أصالة، والنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «أذكركم الله في أهل بيتي»[(٣)]، هنّ أمهات المؤمنين، ومن يتكلم في أمهات المؤمنين لا يتكلم فيهم إلا من كان رافضيًا، الرافضة تطعن في عائشة بنت الصديق رضي الله عنها وأرضاها ورضي عن أبيها، يتكلمون فيها ويطعنون بها كما تعرفون، وما ذلك إلا زيادة في حسناتها رضي الله عنها، فحبُّ أمهات المؤمنين وحبُّ عائشة رضي الله عنها من علامات الإيمان ومن علامات السُّنَّة.

وإذا رأيت الرجل يتعاهد الفرائض في جماعة مع السلطان وغيره؛ فاعلم أنه صاحب سُنَّة إن شاء الله، وإذا رأيت الرجل يتهاون بالفرائض في جماعة وإن كان مع السلطان؛ فاعلم أنه صاحب هوى.

---

(١) صحيح البخاري (٧٢١٢).

(٢) التبصرة لابن الجوزي (٢/ ١٩٣).

(٣) صحيح مسلم (٢٤٠٨).

.....

هذا تقدم، لأن صلاة الجماعة من سُنَن الهدى، الصلاة مع السلطان ولو كان فاجرًا من السُّنَّة، الصلاة خلفه، وترك الصلاة خلف السلطان إذا لم تكن بدعته مكفرة؛ فإن ذلك من البدعة، فلا بد أن تصلي خلفه، لأن ذلك من لزوم الجماعة.

والحلال ما شهدت عليه وحلفت عليه أنه حلال، وكذلك الحرام، وما حاك في صدرك فهو شبهة.

.....

هنا يعطيك الضابط في الحلال، الحلال يعني البيّن الذي تحلف عليه أنه حلال، والمشبوه الذي لا تستطيع أن تحلف أنه حلال، هذا اتركه، هذا من الورع، أن تترك المتشابهات والمشتبهات، والنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[1]، فالذي فيه رب تتركه تورعًا وابتعادًا وتطييبًا لمكسبك

والمستور من بان سترُه، والمفسوق من بان فسقُه.

.....

يعني الإنسان المستور يعامل الناس بظاهر أحوالهم ما لم تظهر منهم الرِّيَب، والمفسوق هو من بان فسقه وفجوره وبدعته.

وإن سمعت الرجل يقول: فلان مُشَبِّه وفلان يتكلم في التشبيه؛ فاتهمه، واعلم أنه جهمي، وإذا سمعت الرجل يقول: فلان ناصبي؛ فاعلم أنه رافضي، وإذا سمعت الرجل يقول: تكلم بالتوحيد واشرح لي التوحيد؛ فاعلم أنه خارجي معتزلي، أو يقول فلان مُجبر أو يتكلم بالإجبار أو يتكلم بالعدل فاعلم أنه قدري، لأن هذه الأسماء محدثة أحدثها أهل الأهواء.

.....

(١) صحيح. الترمذي (٢٥١٨). صحيح الجامع (٣٣٧٨).

البربهاري يتكلم عن الواقع الذي يعيشه رحمه الله تعالى، لهذا أهل السُّنَّة يوصفون بالألقاب، أهل السُّنَّة يبغي عليهم أهل الأهواء بالألقاب، لأن أهل الأهواء وأعوان الشيطان يُنفّرون عن الحق بالألقاب والدعايات والكذب، ولهذا كان أبو قلابة الجرمي يقول: يا أهل السُّنَّة لا تهولنّكم الألقاب، يعني لا تتخوفون من الألقاب، فإن الوقيعة في أهل الأثر من علامات أهل البدع، يقعون فيهم، وهي تختلف بحسب الزمان والمكان وبحسب المخالف لهم، هو الآن قال لك: إذا قال لك: فلان يتكلم في التشبيه وفلان مشبه؛ فاعلم أنه جهمي، بحسب الزمان، كان الجهمية في زمان البربهاري يصفون أهل السُّنَّة أنهم مشبهة، وإذا سمعت الرجل يقول: فلان ناصبي؛ فاعلم أنه رافضي لأنه في زمانه – وإلى زماننا هذا - لأنهم يصفون أهل السُّنَّة بأنهم نواصب، الآن تجدهم يقولون: النواصب يقولون؛ النواصب يقولون، الروافض، وإذا سمعت الرجل يقول: تكلم في التوحيد؛ واشرح لي في التوحيد؛ فهو خارجي معتزلي، كان المعتزلة يقولون في التوحيد لأن من أصولهم التوحيد، التوحيد ضمَّنُوه نفيَ الصفات وإثبات الأسماء، كما هو معلوم من أصولهم الخمسة، أو يقول: فلان مجبر – يعني يصير قدري -، أو يتكلم بالعدل، فالعدل من أصول المعتزلة، ويضمنونه نفي القدر واعلم أنه قدري! ويقولون: إن الله لم يخلق أفعال العباد، فإذًا هذه الأسماء لا تهولنّك، ففي هذا الزمن يصفون أهل السُّنَّة بألقاب، بغض النظر عن هذه الألقاب، فالإنسان لا ينصرف إلى الألقاب، ولكن ينظر ما تحت هذه الألقاب من معاني، أما اللقب فهذا من التنابذ بالألقاب الذي يمكن للإنسان أن يُحْسِنَه، يصف الإنسان بأنه كذا وكذا، والمعنى ما تحت هذه الألقاب هل هو حق أم باطل، وإلا قد يوصف الحق كما هي عادة أهل البدع بالألقاب، فالإنسان لا يلتفت للألقاب، وإنما يلتفت للألقاب الهمجُ و الرعاعُ وأتباعُ كل ناعق، هؤلاء السفهاء هم الذين يَنْفُرُون إذا سمعوا الألقاب، لكن أهل الحقائق وأهل النظر والبصائر فإنهم لا تهولنهم الألقاب، كما قال أبو قلابة، وبالعكس كلما اتّهم أهل السُّنَّة بالألقاب ووصفوا بالألقاب هذه سُنَّة قديمة معروفة، الوقيعة بأهل الأثر، كانوا يسمونه الحشوية و(جملة غير واضحة)، وأشياء كثيرة، فما ضر الحقَ الألقابُ، لأن دين الله محفوظ والسُّنَّة منصورة، لكن الشأن لا أن يُنفّر عنك بالألقاب؛ لكن الشأن أن تكون أنت من الذين تُنفّر عن السُّنَّة بالألقاب، هذا هو الخطر، أما أن توصف بأنك على هذا المنهج وتوصف بهذه الألقاب، فالألقاب كثيرة لا حدَّ لها ولا حصر، وتختلف باختلاف الزمان والمكان.

قال عبد الله بن المبارك: لا تأخذوا عن أهل الكوفة في الرفض شيئًا، ولا عن أهل الشام في السيف شيئًا، ولا عن أهل البصرة في القدر شيئًا، ولا عن أهل خراسان في الإرجاء شيئًا، ولا عن أهل مكة في الصرف، ولا عن أهل المدينة في الغناء، لا تأخذوا عنهم في هذه الأشياء شيئًا.

.....

هذه مسائل تميزت بها كل بلد في وقت عبد الله بن المبارك، هذه قاعدة أن الإنسان يستبصر في البلد التي يحدث فيها شيء، ففي الكوفة زمن عبد الله بن المبارك شاع مذهب الرافضة والرفض، فقال: لا تأخذ عن أهل الكوفة في الرفض شيئًا من جهة الرواية، من جهة رواية الأحاديث، ولا عن أهل الشام في السيف شيئًا، لأن أهل الشام كانوا من أهل البطش، وكانوا كما تعرف دولة بني أمية أسرفوا فيما يتعلق بالسيف، ولا عن أهل البصرة في القدر شيئًا، أهل البصرة شاع فيهم القول بنفي القدر، ولا عن خراسان في الإرجاء شيئًا، شاع فيهم الإرجاء أهل خراسان، ولا عن أهل مكة في الصرف شيئًا، في الصرف في المبايعات في مسائل البيع والربا، ولاعن أهل المدينة في الغناء شيئًا، لأن أهل المدينة كانوا في زمن عبد الله بن المبارك يستبيحون شيئًا من الغناء وكان لهم رأي فيه، فكان عبد الله بن المبارك في أن مثل هذه الأمور إذا شاعت البدعة أو المعصية في بلد فلا تأخذ منهم في هذه البدعة أو هذه المعصية شيئًا – لا من جهة الرواية ولا من جهة ينقلونه ويذكرونه لك –، الإنسان يكون عنده ميزان يعرف لأنه قد تشيع قضية معينة؛ فلا يؤخذ بهم، هكذا يقول عبد الله بن المبارك رحمه الله ورضي الله عنه.

وإذا رأيت الرجل يحب أبا هريرة وأنس بن مالك وأسيد بن حضير رضي الله عنهم؛ فاعلم أنه صاحب سُنَّة إن شاء الله، وإذا رأيت الرجل يحب أيوب وابن عون ويونس بن عبيد وعبد الله بن إدريس الأودي والشعبي ومالك بن مغول ويزيد بن زريع ومعاذ بن معاذ ووهب بن جرير وحماد بن سلمة وحماد بن زيد ومالك بن أنس والأوزاعي وزائدة بن قدامة؛ فاعلم أنه صاحب سُنَّة، وإذا رأيت الرجل يحب الحجاج بن المنهال وأحمد بن حنبل وأحمد بن نصر؛ فاعلم أنه صاحب سُنَّة إن شاء الله، إذا ذكرهم بخير وقال بقولهم.

.....

يعطيك ميزانًا وعلامة للسُّنَّة، أنت إذا سمعت هذا الرجل يحب أبا هريرة رضي الله عنه – وأبو هريرة رضي الله عنه من أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الذي له رواية – فاعلم أنه صاحب سُنَّة، وأسيد بن حضير لأنه كان له موقف يوم السقيفة فيكرهونه الروافض لأجل ذلك لأنه حسم الموقف لأبي بكر، فإذًا محبة الصحابة ومحبة علماء السُّنَّة قرينة على محبته للسُّنَّة وعلى اتباعه للسُّنَّة؛ فاعلم أنه صاحب سُنَّة إن شاء الله، يعني علامة طيبة أن يحب الصحابة ويحب أتباع السلف، ولهذا ذكر لك جملة من أهل العلم وهم يختلفون في كل زمان، فمن أحب علماء أهل السُّنَّة فهذه قرينة عظيمة على أنه من أهل السُنَّة، ويرجى له الخير، لأنه إذا كان يحبهم فيرجى له الخير، هكذا في كل زمان ومكان أن من يحب أهل السُّنَّة فهي علامة وقرينة أنه من أهل السُّنَّة.

وإذا رأيت الرجل جالسًا مع رجل من أهل الأهواء فحذِّره وعرِّفه؛ فإن جلس معه بعدما عَلِمَ فاتقه؛ فإنه صاحب هوى.

.....

إذا رأيت الرجل يجالس أهل الأهواء وأهل البدع؛ فواجب عليك أن تحذره من هذه البدعة ومن هذا الهوى، تُعَرِّفُه بالدليل أن هذا الذي يقوله فلان مخالف لما جاء عن الله وعن رسوله، وإذا جلس معه بعد ذلك فاتقه؛ لأنه قد قامت عليه الحجة ومع ذلك فإنه يجلس معه؛ فإنه لا يجلس معه إلا لأنه صاحب الهوى، وصاحب الهوى سوف يقع في البدعة ويتابعه على ما كان عليه.

وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده ويريد القرآن فلا تشك أنه رجل قد احتوى على الزندقة؛ فقُمْ من عنده ودَعْه.

.....

لأن الزنادقة هؤلاء أهل النفاق لا يأتون جملة واحدة، وإنما يأتون بمراحل، يخططون لها، فإذا رأيته ينكر السُّنَّة فهذه علامة على الزندقة، إنكار السُّنَّة، لأن كما تقدم القرآن لا يُفهم إلا بالسُّنَّة، والشريعة جاءت كاملة، والسُّنَّة وحي ثان، فاعلم أنه احتوى على الزندقة.

واعلم أن الأهواء كلها رديّة تدعو كلها إلى السيف، وأرْدَاها وأكفرها: الروافض والمعتزلة والجهمية، فإنهم يريدون الناس على التعطيل والزندقة.

.....

هذه القضية مهمة جدًا، هو ذكر أن الأهواء كلها رديّة، يعني تردي صاحبها إلى النار، وكلها تدعو إلى السيف، تجرّ بصاحبها إلى النار، وكلها تدعو إلى السيف، ولهذا نقل عن أبي قلابة أنه كان يقول: افترقت بهم الأهواء واجتمعوا على السيف، ونقل عنهم أنه قال: ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا السيف، ولهذا حتى المرجئة – وهم الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب –؛ فإنهم أهل سيف، وقد ذكر الأشعري في المقالات أن المرجئة ممن يرى السيف، ممن يرى الخروج على السلاطين، وهو ما يثبت لك أن مقالة أبي قلابة الجرمي مقولة صادقة، إذًا يمكن أن نقول: كل أهل الأهواء يجتمعون على السيف والخروج، فما ابتدع قوم بدعة إلا واستحلوا السيف، وهذا يدعونا إلى بحث قضية الأهداف السياسية للبدعة، فإن البدعة من أعظم مقاصدها وأهدافها: الأهداف السياسية – الخروج –، لهذا لا تصدق أن جماعة من الجماعات المنحرفة أنها ليس لها خروج، أو ليس لها أهداف سياسية، كما قد يُصور لك من بعض الطوائف، فإنها كلها بعضها تظهر وبعضها تضمر، وكما قال الخبير والفقيه أبي قلابة: ما ابتدع قوم بدعة إلا واستحلوا لسيف.

واعلم أنه من تناول أحدًا من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فاعلم أنه إنما أراد محمدا صلّى الله عليه وسلّم، وقد آذاه في قبره.

.....

لهذا قال الإمام مالك رحمه الله لما قيل له فيمن طعن في أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ قال: هؤلاء قصدوا أن يطعنوا في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لكنهم لم يجرؤوا على ذلك، لأنهم لو طعنوا في النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم رفضهم الناس، لا أحد يجتمع عليهم من أهل الإسلام، فطعنوا في أصحابه حتى يقول الناس: هو رجل سوء، لأنه لو كان رجلًا خيِّرًا لقيّض الله له رجال خير، ولهذا الباقلاني في كتابه كشف الباطنية – عن الباطنية – ذكر أن الزنادقة من فِرَق الإسماعيلية وغيرهم وأن الزنادقة يتسترون بالتشيع لآل

بيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، يتسترون به، الآن أنت تسمع الذين يطعنون في أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ويطعنون في أمهات المؤمنين، ويتجرؤون بإعلان ذلك؛ هـؤلاء اتهمهـم عـلى الإسـلام، هـؤلاء زنادقة، وإنما يدخلون في مذهب وفي عقيدة الرافضة لأنهم من خلاله يطعنون في الدين، ولهذا يكثر في هؤلاء الذين يسلكون مسلك الروافض الانحرافُ والردةُ عن دين الله عزّ وجلّ، فليس لهم دين ولـيس لهـم عهـد ولا ميثاق.

وإذا ظهر لك من إنسان شيء من البدع فاحذره؛ فإن الذي أخفى عنك أكثرُ مما اظهر.

.....

لأن صاحب البدعة يظهر أشياء ويخفي أشياء بحسب الأماكن والأزمان، صاحب البدعة يشـتمل عـلى النفاق، لا يظهر كل ما عنده، لهذا كان السلف رحمهم الله يقولون: أهل البـدع كالعقـارب متـى مـا تمكنـت لدغت، هو لا يظهر لك ما عنده، فإذا أظهر لك بدعته فاحذره وابتعد عنه فإنه قد أخفى ما هو أكثر، فالبدع لها أُخيَّات، الإنسان يحذر من ظهرت منه بدعة فاحـذره سـلامة لـدينك حتـى تلقـى الله سـليمًا مـن البـدع والمحدثات.

وإذا رأيت رجلًا من أهل السُّنَّة رديء الطريق والمذهب فاسقًا فاجرا صاحب معاص ضالًا - وهو على السُّنَّة - فاصحبه واجلس معه؛ فإنه ليس تضرك معصيته، وإذا رأيت الرجل مجتهدًا وإن بدا متقشـفًا محترقًـا بالعبادة صاحب هوى؛ فلا تجالسه ولا تقعد معه ولا تسمع كلامه ولا تمشي معه في طريـق؛ فـإني لا آمـن أن تستحلي طريقته فتهلك معه، ورأى يونس بن عبيد ابنَه - وقد خرج من عند صاحب هوى -؛ فقال: يا بنـي من أين جئت؟ قال: من عند فلان، قال: يا بني لأن أراك تخرج من بيت خنثى أحب إلي مـن أن أراك تخـرج من بيت فلان، ولأن تلقى الله يا بني زانيًا سارقًا فاسقًا خائنًا؛ أحب إليّ من أن تلقاه بقول فـلان وفـلان، ألا ترى أن يونس بن عبيد عَلِمَ أن الخنثى لا يضل ابنه عن دينه؛ وأن صاحب البدعة يضله حتى يكفره.

.....

طبعًا لأن البدع فيها ما هو مكفر، وهذا الكلام من السلف قالوه على وجه التغليظ والتحـذير والزجـر؛

لا على وجه استشفاف مجالسة الفساق والفجار، هذا ما يفهم من كلامه جواز مجالسة الفساق، لأن مجالسة الفساق أهل المعاصي وأهل الكبائر مما ينفر منه أهل الإسلام، محل اتفاق، فلا يمكن للإنسان أن يجالسهم، المسلم يجالس الفاسق ويستحل مجالسته ويجلس معه ويطيب له المقام! لا يمكن، لكن هو يبيّن لك أن هذا ينفُر منه كل أحد، لكن مجالسة هؤلاء الذين يظهرون الصلاح ويظهرون التدين، أهل البدع يظهرون الدين، ربما ترى أنهم على دين، ويظهرون الدين ويظهرون الغيرة على الشريعة ويظهرون أشياء، فهم ينصبون شراكًا لك، مثل المصيدة يصيدونك، فهذا يخشى على ولده – يونس بن عبيد – يقول: لأن تدخل على فلان الفاسق أحب إليّ، فالفاسق وصاحب الشهوة فإنه لو فعل هذه المعصية فإنه يجد من نفسه تأنيب ويجد من الناس الإنكار ويجد من قلبه لأنه مؤمن، الإنكار فيه إيمان، ينكر ما يفعل، لكن صاحب البدعة يرى أنه محسن ويرى أنه متدين وأنه ينصر الإسلام، هذه خطورة البدعة، ولهذا ما ورد في الحديث -وهو لا يصح وإنما يصح موقوف- «إن الله احتجب التوبة عن كل صاحب بدعة»[1] معناه صحيح، لأن المبتدع لا يوفق لتوبة، لماذا لا يوفق لتوبة؟ لأنه يرى أنه محسن، كيف يتوب وهو يرى أنه على الطريق المستقيم، لهذا عظم إنكار أئمة السلف من مجالسة أهل الأهواء لأجل أنك إذا جالستهم تقع في قلبك البدعة، وإذا وقعت في قلبك البدعة فإنها تكبر وربما تزيغك عن دين الإسلام وتكفر، لأنه ثمّ من البدع ما هو مُكفر، من البدع ما هو مُكفّر، هو يخشى (جملة غير واضحة)، لكن هذا مهما كنت كان فعلت وجلست معه فإنك تحس بالذنب وتقلع، مصيرك الإقلاع، لكن إذا وقعت في البدعة فإنك لا تخرج منها إلا إن يشاء الله، من النوادر أن يتوب الإنسان من البدع، من النوادر، أما الأغلب أنه لا يتوب، صعب التخلص منه، مثل المرض الذي يقع في القلب صعب الخلاص منه، لذلك خلص قلبك من البدع ومن أهل الأهواء، واستقم على السُّنَّة، والزم السُّنَّة واحذر هؤلاء، يعطيك الآن البربهاري وصايا عظيمة في مثل هذا، الزم هذه الوصايا حتى تلقى الله على السُّنَّة.

واحذر ثم احذر أهل زمانك خاصة، وانظر من تجالس، وممن تسمع ومن تصحب، فإن الخلق كأنهم في

(١) صحيح. الطبراني في الأوسط (٤٢٠٢) عن أنس بن مالك مرفوعا. صحيح الترغيب والترهيب (٥٤).

ردة إلا من عصمه الله منهم.

.....

يعني في ردة: في بعد عن الحق، وهو يحكي الواقع والزمان الذي عاشه البربهاري رحمه الله، يحكي الزمان الذي عاش فيه، نحن لا نستطيع أن نحيط بالزمان الذي عاش فيه البربهاري، يعني فيه إعراض، فيقول: احذر أهل زمانك، وانظر من تجالس، لا تجالس إلا أهل السُّنَّة، وافرق من أهل البدعة والمصاحب، لأن الصاحب يصحبك ويسحبك إلى الشر والبدعة، فالإنسان يحذر مثل هؤلاء، فإن كم من إنسان وقع في المذاهب الردية بسبب الصاحب، كم من إنسان كان يرجى أن يكون من أهل السُّنَّة وعلى طريقة أهل السُّنَّة وانحرف لأسباب كثيرة يطول المقام في ذكرها، الإنسان دائمًا يحرص على السُّنَّة، هذا دين الله، هذا هو النجاة، هذه هي العصمة، هذه هي الآثار، هذه سُنَّة محمد صلّى الله عليه وسلّم.

وانظر إذا سمعت الرجل يذكر ابن أبي دؤاد وبشر المريسي وثمامة وأبا هذيل أو هشام الفوطي أو أحدًا من أتباعهم وأشياعهم؛ فاحذره فإنه صاحب بدعة، فإن هؤلاء كانوا على الردة، واترك هذا الرجل الذي ذكرهم بخير ومن ذكر منهم بمنزلتهم.

.....

هذا في كل زمان ومكان، فإن السلف رحمهم الله كانت تميز بين الأشخاص، الذي يدعي السُّنَّة وبين الكذاب، كما قال السلف: من أخفى علينا بدعته لم تخف علينا إلفته، من يألف؟ من يجالس؟ قد يُخفي هو البدعة، ترى أهل البدع أهل إخفاء، يخفي البدعة ما يظهرها لأمور إما لأجل الدنيا أو لأجل سيف السلطان أو لأشياء معينة، فإن الإنسان يحذر من هؤلاء، فتعرف إذا ذكرهم أو جالسهم أو ذكرهم بخير، يثني على بشر المريسي أو ابن أبي دؤاد قاضي المعتزلة، بشر المريسي من أعيان الجهمية، وكان معاندًا، كان يقول في سجوده – معاندة لأهل السُّنَّة –: سبحان ربي الأسفل، وثمامة وأبا هذيل إذا أثنى عليهم قال: هؤلاء أذكياء، هؤلاء جهابذة، هؤلاء عندهم فكر! فاحذره واتهمه ولا تجالسه، وهكذا من كان مخفيًا للبدعة ولم تظهر لنا بدعته وجدنا إلفته ومجالسته لهؤلاء أهل البدع ورؤساء أهل البدع والذين هم مغموزين بالبدعة والانحراف؛ فاعلم أنه صاحب بدعة، واحذر هؤلاء، حتى أن أهل الأهواء يدخلون في أهل السُّنَّة

ويحاولون أن يفرقوا أهل السُّنَّة، هذا كله يظهر في البدعة، ولهذا يقال: إن الإسماعيلية من حيلهم وألاعيبهم – هذا تراه مشترك بين أهل البدع – أنهم يضعون شخصًا يدخل في مذهب أهل السُّنَّة حتى يبطل مذهب أهل السُّنَّة، ويسمونه الكسار[1]، يدخل ويظهر أنه من أهل السُّنَّة؛ ثم يبدأ يطعن في الآثار ويطعن في الروايات ويشكك الناس، لأن هدفهم تشكيك الناس في السُّنَّة، مثل أهل النفاق، لأنه يا أخوان أهل البدع فيهم من شعب النفاق – مثل أهل النفاق –كما قال الله عنهم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾[2]، كذلك أهل البدع هم العدو فاحذرهم، لأنهم يخفون بدعهم ولا يظهرونها بحسب الأحوال، هم يريدون إشاعة البدعة وإضلال الناس عن الحق، وأكثر الناس همج رعاع لا يفهمون ولا يعرفون، تغرهم العواطف، يجب على الإنسان سديد وعنده فطنة وحرص وثبات ويميز ويعرف حتى يسلم له دينه.

والمحنة في الإسلام بدعة، فأما اليوم فيمتحن بالسُّنَّة لقوله: "إن هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم"[3]، ولا تقبلوا الحديث إلا ممن تقبلون شهادته، فتنظر إن كان صاحب سُنَّة له معرفة صدوق؛ كتبت عنه؛ وإلا تركته.

.....

الامتحان في السُّنَّة جائز، كان السلف يُمتحنون بالسُّنَّة، ولكن ليس على إطلاقه، إذا أردت أن تأخذ العلم فلك أن تمتحن، إنك لا تعرفه على السُّنَّة أو غير السُّنَّة، فتمتحنه بمسائل معلومة عند أهل السُّنَّة، ولهذا أبو الفرج الشيرازي الحنبلي ألّف كتابًا سمّاه مسائل الامتحان، جزء فيه مسائل الامتحان، المسائل التي يمتحن فيها فيعرف ما كان سُنِّيًّا وما كان بدعيًّا، ذكر مسائل أصاب في أكثرها وأخطأ في بعض المسائل؛ لأنها ليست من مسائل الامتحان، ولكنه ذكر أمورًا وأصولًا يُعرف بها الإنسان أنه على السُّنَّة أو على البدعة، هذا معروف عن السلف، إذا أردت أن تأخذ العلم أو أردت تضع فلانًا معلمًا، أو أراد الإمام أن يضعه قاضيًا أو إمامًا وخطيبًا فيمتحن، كل الناس يُمتحنون، حتى أهل البدع تمتحن أهل السُّنَّة، فإذا علموا أنه من أهل

---

(١) أو الكثَّار.

(٢) المنافقون: ٤.

(٣) صحيح مسلم (١٤/ ١) عن ابن سيرين مقطوعًا.

السُّنَّة لم يولّوه مثل هذه القضايا، فمعلوم هذا الامتحان، هذا يعرفه كل أحد، فتمتحن بالسُّنَّة، لكن لا على وجه المبالغة، بعض الناس يبالغ، فلا تمتحن إمام الصلاة الذي يصلي، لأنه سيأتي معنا أن مستور الحال لا يبحث عنه، لكن إن صار لك أمر أو شأن تريد أن تولي أحدًا أو تضع مدرسين لك؛ فتمتحن لأنك حريص على عقائد الناس فلا يفسدونها، فتمتحن والامتحان في السُّنَّة ليس فيه شيء، لكن أهل البدع يُنفُرون من الامتحان، إذا سمعوا مسألة الامتحان يَنفُرون، وهم يمتحنون! هذا من الغريب، هم يحرّمونه على أهل السُّنَّة و يجيزونه لأنفسهم، وهذا من الكيل بمكيالين.

وإذا أردت الاستقامة على الحق وطريق أهل السُّنَّة قبلك؛ فاحذر الكلام وأصحاب الكلام والجدال والمراء والقياس والمناظرة في الدين، فإن استماعك منهم – وإن لم تقبل منهم – يقدح الشك في القلب، وكفى به قبولًا فتهلك، وما كانت زندقة قط ولا بدعة ولا هوى ولا ضلالة إلا من الكلام والجدال والمراء والقياس، وهي أبواب البدعة والشكوك والزندقة، اللهَ اللهَ في نفسك، وعليك بالأثر وأصحاب الأثر والتقليد، فإنما الدين إنما هو بالتقليد – يعني للنَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه رضوان الله عليهم –، ومن قبلنا لم يدعونا في لَبْس؛ فقلدهم واسترح، ولا تجاوز الأثر وأهل الأثر.

.....

وإذا أردت الاستقامة على الحق وطريق أهل السُّنَّة؛ فاحذر الكلام، كثرة الكلام والخوض في علم الكلام وأصحاب الكلام والمراء والجدال والأقيسة والعقليات والمناظرة في الدين، ولهذا قال بعض السلف: من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل، هذا يناظر هذا وهذا يرد على هذا، فغلط استماعك منهم وإن لم تقبل منهم، فاحذروا المناظرات، المناظرات تجدها الآن في القنوات وبعض العوام يجتمعون، هذا غلط، لأن هذا العامي أصلًا غير محصن من الأهواء، فقد يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك، الإنسان لا يحضر هذه ولا يستمع إليها، وأنت لست في شك، كما قال السلف: لست في شك في ديني حتى أناظر، أنا على البرهان والبيّنة لماذا أناظر؟ لماذا أبحث؟ قال: وكفى به قبولًا فتهلك، وما كانت زندقة وبدعة إلا من الكلام والجدال، صدق رحمه الله، الجدال والخصومة والمراء والقياس هي من أبواب البدع والشكوك والزندقة، وهكذا فيما ابتلي به أهل زماننا هذا مما يسمى بشبكات التواصل – والتويتر والواتسب وغيرها – يأخذ الناس

منها قدر الحاجة والضرورة، أما تكون ديدنه وكل قليل يطلع على هذا ويرد على هذا، فليس من منهج أهل السُّنَّة ولا من طريقة أهل السُّنَّة، وقد يكون الإنسان له نية صالحة - تابع لنيته - لكن كل شيء يؤخذ منه بقدر وبميزان، إذا طغى الميزان ينحرف الإنسان، وبخاصة طالب العلم الذي هو في مبدئ أمره ينبغي أن يتعلم العلم ولا يشغل نفسه بهذه الأمور، ويتركها، تعلّم العلْم، والأوقات أنفس من أن تضيع بمثل هذه الأمور، وأنت لست على شك حتى تأخذ من فلان وفلان، دع هذا وجاوزه وعليك بالعلم وأخذ ما كان عليه السلف رحمهم الله، ثم قال: اللهَ اللهَ في نفسك، وعليك بالأثر وأصحاب الأثر، والتقليد يعني الاتباع، كن متابعًا لهدي النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، متابعًا لهدي الصحابة، متابعًا للتابعين، ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾(١)، احرص كل الحرص وخذ علوم أهل السُّنَّة وكلام أهل السُّنَّة وعظّم كلام أهل السُّنَّة.

ولا تجاوز الأثر وأهل الأثر، وقِفْ عند المتشابه ولا تأخذ شيئًا.

.....

وقِفْ عند المتشابه، هذه قاعدة عند أهل السُّنَّة، رد المتشابه إلى المحكم، قاعدة نفيسة جدًا إذا فهمت هذه القاعدة استرحت من الشبهات، الله عزّ وجلّ يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(٢)، فإذًا أهل السُّنَّة والقرآن والسُّنَّة وكلام أهل العلم فيه ما هو محكم وفيه ما هو متشابه، المحكم الأصول والبيّنات وشرائع الدين، أصول الدين قد بانت بالمحكمات، المتشابه ما يخفى معناه، وهذا المتشابه نسبي قد يخفى على فلان ولا يخفى على فلان، واجبك إن خفي عليك أن ترد المتشابه للمحكم، تؤمن بالمتشابه ترده للمحكم، يعني لا تزيغ عن المحكم لأجل المتشابه، الذين اتبعوا المتشابهات هم أهل البدع، الخوارج لأجل أنهم اتبعوا المتشابه قالوا: بأن الفاسق الملّي المرتكب للكبيرة هو كافر! لأنهم اتبعوا المتشابه من النصوص، استمسكوا بنص من المتشابه وأعرضوا عن النصوص الأخرى، هكذا طريقة أهل البدع.

---

(١) التوبة: ١٠٠.

(٢) آل عمران: ٧.

ولا تَقِسْ شيئًا، ولا تطلب من عندك حيلة تردُّ بها على أهل البدع، فإنك أمرت بالسكوت عنهم ولا تُمَكِّنْهُم من نفسك، أمَا علمت أن محمد بن سيرين في فضله لم يُجب رجلًا من أهل البدعة في مسألة واحدة، ولا سمع منه آية من كتاب الله؛ فقيل له؛ فقال: أخاف أن يحرفها فيقع في قلبه شيء.

.....

ابن سيرين وهو عالم وإمام وأيوب السختياني أو غيره دخل عليه رجل مبتدع فقال: يا أيوب أكلمك كلمة، فأدخل إصبعيه في أذنيه؛ وقال: ولا نصف كلمة، أهل السُّنَّة يُعلّمون عوامَ أهلِ السُّنَّة هذا المنهج، هم قادرين على الرد والبيان، ولكن لأن أهل السُّنَّة أكثر وأقوى وأظهر في الحجة والبرهان يحصنون عوام الناس من الدخول في هذه الأمور، لا تجالس أهل الأهواء ولا تُمَكِّنْهُم من نفسك ولا تستمع إليهم ولا تناظرهم وأعرض عنهم؛ لأنك لست في شك من دينك، فهم هؤلاء يتمنون كل الأماني أن يجالسوك وأن يوقعوا في قلبك، صاحب البدعة مريض، فهو يريد أن تصير مثله مريض، مثل المجروب يريد الجرب أن ينتشر ـ هذا المرض، فأنت على الاستقامة والهدي، عندك الأشياء الواضحات البيّنات، كلام الله وكلام رسوله، عندك كتب السُّنَّة واضحة ما فيها شك بحمد الله، أجمع علماء الإسلام عليها، فاستمسك بها وبطريقة أهل العلم ومنهج أهل العلم وسلسلة العلماء وبحمد الله لا يزال في كل زمان قائم بحجة وبرهان، وهم أهل الظهور لأنهم تمسكوا، ولا تبتدع طرق جديدة، تقول: أردُّ على أهل البدع بالطريقة الفلانية والطريقة الفلانية، أبقَ على طريقة أهل السُّنَّة، أهل السُّنَّة هذا منهجهم، هذه طريقتهم، أنت أُمرتَ بالاتباع، ما أُمرتَ بالإحداث، تتبع منهج أهل السُّنَّة في التعامل مع أهل الأهواء.

وإذا سمعت الرجل يقول: إنا نحن نعظّم اللهَ – إذا سمع آثار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم –؛ فاعلم أنه جهمي يريد أن يردّ أثرَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويدفع بهذه الكلمة آثار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يزعم أنه يعظم الله وينزهه إذا سمع حديث الرؤية وحديث النزول وغيره، أفليس يرد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وإذا قال: إنا نعظم الله النزول من موضع إلى موضع؛ فقد زعم أنه أعلم بالله من غيره، فاحذر هؤلاء، فإن جمهور الناس من السوقة وغيرهم على هذا الحال، وحذِّر الناس منهم.

.....

يعطيك قاعدة في هؤلاء أنهم يدّعون أنهم أهل التعظيم وأهل تنزيه، ويقول الجهمي: نحن نعظّم اللهَ عزّ وجلّ وننزّهه، دعايات كاذبة، ودعاوى، أنهم أهل التعظيم والتنزيه! لو كنت معظماً لله ومنزهًا لله لوقفت عند مقتضى النصوص، النصوص جاءتك بهذا، فالنص فوق رأسك، تضعه فوق رأسك، وليس أن تتحكم بالنصوص، لست أنت أعلم بالله من رسوله صلّى الله عليه وسلّم، ولا أنت أعلم من الله سبحانه وتعالى من نفسه، فالله تعالى هو الذي أخبرك بالأسماء والصفات، فتؤمن بها، وحدثك بها رسوله صلّى الله عليه وسلّم، تقف عند ما وقف القوم، ولا تجاوزه، لا تدعي أنك تعظم وتنزّه، هذا منهج فاسد.

قال: وإذا سألك أحد عن مسألة في هذا الكتاب وهو مسترشد فكلمه وأرشده، وإذا جاءك يناظرك فاحذر؛ فإن في المناظرة المراء والجدال والمغالبة والخصومة والغضب، وقد نهيت عن هذا جدًا، يخرجان جميعًا من طريق الحق، ولم يبلغنا عن أحد من فقهائنا وعلمائنا أنه ناظر أو جادل أو خاصم، قال الحسن: الحكيم لا يماري ولا يُداري، حكمته ينشرها، إن قُبلت حَمِدَ الله، وإن رُدَّت حَمِدَ الله.

.....

هذا كلام عظيم، لاحظ الإنسان يبين الحق، لا يخاف من الناس ولا يضاربهم، بيّن الحق، فإن قُبِل منك الحق فالحمد لله، لأن الناس لا تستطيع أن تلزمهم برأيك، لأنك ليس لك سيف وأنت سلطان، مهمتك أن تبيّن الحق، فإذا علمت أن إنسانًا واقع في البدعة فانصحه بالتي هي أحسن، تبيّن لهم أن هذا المنهج غير سوي، هذه طريقتكم تخالف هدي النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، الدليل قال الله؛ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أحذركم من هذا المنهج، لا تجالسهم واتركهم، حتى لا يمرضوك بالبدعة، رأيت أناسًا أهل خروج وأهل سيف في مجالسهم؛ فلا تجالسهم، تبيّن لهم الحجة فإن قبلوها فالحمد لله وإلا أعرض عنهم وابتعد عنهم، يضرونك في دينك ودنياك.

وجاء رجل إلى الحسن فقال: أناظرك في الدين، فقال الحسن: أنا عرفت ديني؛ فإن ضل دينك فاذهب فاطلبه.

.....

كلمة عظيمة، ما عندي شك، أنت ضال عن دينك فابحث عنه، أما أنا فلا، هذا يعطيك الحسن البصري وهو إمام عالم لا يمكن لأحد أن يقوم له، لكن هو يعلم الناس وعامّة الناس، يبيّن لهم المنهج، ويبيّن لهم المناظرات والمخاصمات والمجادلات، غير أهل السُّنَّة.

وسمِعَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قومًا على باب حجرته يقول أحدهم: ألم يقل الله كذا؟ وقال الآخر: ألم يقل الله كذا؟ فخرج مغضبًا فقال: «أبهذا أمرتم؟ أم بهذا بعثتم إليكم؟ أن تضربوا كتابَ الله بعضه ببعض»(١).

.....

هذا كان في القدر كل ينزع بآية.

فنهى عن الجدال، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يكره المناظرة، ومالك بن أنس ومن فوقه ومن دونه إلى يومنا هذا، وقول: الله أكبر من قول الخلق، قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهَّ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾(٢)، وسأل رجلٌ عمرَ رضي الله عنه؛ فقال: ما الناشطات نشطًا؟ فقال: لو كنت محلوقًا لضربت عنقك.

.....

هذا يقصد صبيغ الذي ذكرتك لكم قصته، صبيغ بن عسل الذي ضربه عمر بعراجين النخل حتى أدمى رأسه- تعزيرًا -، صبيغ بن عسل، هذا لما ظهر الخوارج قيل له: يومك يا صبيغ، قال: كفتني عراجين الرجل الصالح، لأنه يعرف أن عمر ما ضربه إلا تعزيرًا محبة له حتى ينتهي عما هو فيه من هذا المرض.

---

(١) صحيح. الترمذي (٢١٣٣). صحيح وضعيف الترمذي (٢١٣٣).

(٢) غافر: ٤.

وقال النَّبيّ: «المؤمن لا يماري، ولا أشفع للمماري يوم القيامة»[1].

.....

هذا لا يصح من جهة السند.

قال: ولا يحل لرجل مسلم أن يقول: فلان صاحب سُنَّة حتى يعلم منه أنه قد اجتمعت فيه خصال السُّنَّة، لا يقال له: صاحب سُنَّة حتى تجتمع فيه السُّنَّة كلها.

.....

لا تقول وتثني على إنسان إلا إذا كان على أصول أهل السُّنَّة، وهي معروفة، إذا كان على أصول أهل السُّنَّة تقول: إنه صاحب سُنَّة، أما إذا خالف أصول السُّنَّة فلا يقال له: إنه صاحب سُنَّة.

وقال عبد الله بن المبارك: أصل اثنين وسبعين هوى أربعة أهواء، فمن هذه الأربعة أهواء شعبت هذه الاثنان وسبعون هوى، القدرية والمرجئة والشيعة والخوارج، من قدَّم أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا على جميع أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولم يتكلم بالباقين إلا بخير؛ ودعا لهم، فقد خرج من التشيع أوله آخره، ومن قال: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص؛

.....

هنا يذكر أصول أهل السُّنَّة.

ومن قال: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص؛ فقد خرج من الإرجاء كله أوله وآخره، ومن قال: الصلاة خلف كل برّ وفاجر، والجهاد مع كل خليفة، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف ودعا لهم بالصلاح فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره، ومن قال: المقادير كلها من الله خيرها وشرها - يضل من يشاء ويهدي من يشاء - فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره، وهو صاحب سُنَّة.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (٨/ ١٥٢).

.....

ذكر لك الآن المسائل التي يخرج بها الإنسان من هذه الأهواء الأربعة المشهورة، قول الروافض وقول المرجئة وقول الخوارج وقول الجهمية، ذكر لك هذه الأهواء التي إذا سار الإنسان على منهج أهل السُّنَّة فقد برئ من تلك البدعة، وثمّ أصول لم يذكرها معروفة عند أهل السُّنَّة في مواطنها.

وبدعة ظهرت هي كفر بالله العظيم ومن قال بها فهو كافر لا شك فيه، من يؤمن بالرجعة ويقول: علي بن أبي طالب حيّ.

.....

هو معاصر للرافضة في بغداد، وكانت هذه من أقوال فرق من الروافض، هذه أقوال لهم، أن محمد بن علي بن الحسين بن علي ويسمونه الباقر والمتوفى سَنَة مئة وأربعة عشر.

وسيرجع قبل يوم القيامة، ومحمد بن علي وجعفر بن محمد

.....

وهو جعفر الصادق المتوفى سَنَة مئة وثمانية وأربعين

وموسى بن جعفر

.....

هذا متوفى سَنَة مئة وثلاث وثمانين.

وتكلموا في الإمامة وأنهم يعلمون الغيب فاحذرهم، فإنهم كفار بالله العظيم ومن قال بهذا القول.

.....

هؤلاء الروافض فِرَقٌ، وهذه من الفِرَق التي عاصرها البربهاري رحمه الله تعالى، وأشهر فِرَق الروافض الإمامية الاثنا عشرية الذين يقولون: إن هؤلاء الأئمة منصوص على إمامتهم من النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم،

وإن آخر الأئمة محمد بن الحسن العسكري، وهذا الإمام اختفى في السرداب في سامراء وسيخرج في آخر الزمان، هؤلاء هم الإمامية الاثنا عشرية، والجعفرية، كل هذه ألقاب لهم معروفة عند أهل السُّنَّة، كانوا يُسمون بالخشبية، فاستبصرْ أن الرافضة منشأهم ومؤسس فرقتهم عبد الله بن سبأ، في عهد عليّ رضي الله عنه ظهر الرفض، لكن الرافضة ما اكتسبوا هذا الاسم إلا بعد أن رفضوا إمامة زيد بن علي، كانوا داخلين من ضمن التشيع ليس لهم تميّز، كانوا فِرَقًا وأهواء، فلما رفضوا إمامة زيد بن علي سمّوا بالرافضة منذ ذلك الوقت، في المئتين تقريبًا، وأما قبل ذلك فكانوا داخلين تحت شعار التشيع، والسبئية، وكان بعضهم يسميهم بالخشبية لأنهم لا يرون القتال إلا مع الإمام المعصوم بالسيف، طبعًا في هذا الزمان ابتدع لهم صاحبهم ومُعَظَّمُهم بدعة ولاية الفقيه، الآن صار لهم بها شوكة، أما أول فهم أذلاء.

قال طعمة بن عمرو وسفيان بن عيينة: من وقف عند عثمان وعلي فهو شيعي لا يُعَدَّلُ ولا يُكَلَّمُ ولا يُجَالَسُ، ومن قدّم عليًّا على عثمان فهو رافضي قد رفض أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومن قدّم الأربعة على جماعتهم وترحم على الباقين وكف عن زللهم فهو على طريقة الهدى والاستقامة في هذا الباب.

.....

هذه مسألة التفضيل، تفضيل عليّ على عثمان، طبعًا ثمّ أقوال:

القول الأول: التوقف وهي رواية عن مالك، والرواية الثانية تقديم عثمان.

والقول الثاني تقديم عليّ على عثمان من جهة الفضيلة، ونُقِل هذا عن سفيان الثوري ثم رجع عنه، وروي عن أبي حنيفة.

وقول جماهير أهل السُّنَّة تقديم عثمان على عليّ رضي الله عنه، ولهذا الخلاف انقرض واستقر قول أهل السُّنَّة على تقديم عثمان على عليّ رضي الله عنه، ولهذا قال بعض التابعين: من قدّم عليًّا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، لأن عمر لمّا وضع الأمر في الستة؛ وقع اختيارهم على تقديم عثمان، وقال عبد الرحمن: ما رأيت الناس يعدلون بعثمان أحدًا، المهاجرين والأنصار، هذا التقديم من جهة الفضيلة، أما تقديم عليّ على عثمان أنه أحق بالخلافة فهذا ضلال ولا يقول به إلا الروافض، حتى يبيّن لك هذه المسألة.

ومن قدّم الأربعة على جماعتهم وترحّم على الباقين وكفّ عن زللهم فهو على طريق الاستقامة والهدى في هذا الباب، والسُّنَّة أن تشهد أن العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالجنة أنهم في الجنة لاشك.

.....

العشرة تقدم الكلام عليهم، و تقدم موقف الروافض من هؤلاء وقراءتهم للفظ العشرة، وتقدم الكلام على أن العشرة سمّوا بذلك لمجيئهم في حديث واحد.

ولا تُفرد بالصلاة على أحد إلا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله فقط.

.....

يعني لا تخصّ بالصلاة إلا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وآل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، تقول: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، وآله هم أهل بيته، أزواجه وذريته، لا تصلّ على عليّ كما يفعل الآن الروافض، تقول: عليٌّ عليه الصّلاة والسّلام والحسن عليه السّلام أو فاطمة عليها السّلام، هذا من شعار الروافض، البربهاري يبيّن لك هذه المسألة وهو معاصر لهؤلاء.

وتعلم أن عثمان بن عفان قتل مُظلومًا، ومن قتله كان ظالمًا، هذا محل اتفاق بين أهل السُّنَّة.

.....

هذا محل اتفاق أن عثمان قُتِل مظلومًا وبُغِي عليه رضي الله عنه.

قال فمن أقر بما في هذا الكتاب وآمن به واتخذه إمامًا ولم يشك في حرف منه، ولم يجحد حرفًا واحدًا؛ فهو صاحب سُنَّة وجماعة كامل، قد كملت فيه السُّنَّة، ومن جحد حرفًا في هذا الكتاب أو شك في حرف منه أو شك فيه أو وقف؛ فهو صاحب هوى.

.....

إن كان يقصد بالحرف المضمون فكلامه صحيح، مضمون الكتاب وجملة ما في الكتاب صحيح، موافق

للسُّنَّة، وإن كان يقصد المسائل الجزئية فهذا ليس بصحيح، هي محل نظر، لأن ثمّ مسائل قالها باجتهاد ولا تثبت، يقصد المضمون، ولعله من حمل كلام البربهاري على أحسن المحامل أنه يقصد مضمون الكتاب والأصول العامة له ولا يقصد الجزئيات.

ومن جحد حرفًا مما هذا الكتاب أو شك في حرف منه أو شك فيه أو وقف فهو صاحب هوى، ومن جحد أو شك في حرف من القرآن أو في شيء جاء عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لقي الله تعالى مكذبًا؛ فاتق الله واحذر، وتعاهد إيمانك.

ومن السُّنَّة ألا تعين أحدًا على معصية الله ولا أولي الخير ولا الخلق أجمعين، ولا طاعة لبشر في معصية الله، ولا تحبّ عليه أحدًا، واكْرَهْ ذلك كله لله تبارك وتعالى.

.....

يعني السُّنَّة الواجبة.

والإيمان بأن التوبة فريضة على العباد أن يتوبوا إلى الله عزّ وجلّ من كبير المعاصي وصغيرها.

.....

تقدم الكلام على ذلك، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]، وهنا يذكر في ختام الكتاب لأن دائمًا في ختم الأعمال الصالحة يُذكّر الإنسان بالتوبة والاستغفار، وهذا من هدي النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

ومن لم يشهد لمن شهد له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالجنة فهو صاحب بدعة وضلالة، شاكّ فيما قال به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وقال مالك بن أنس: من لزم السُّنَّة وسَلِمَ منه أصحابُ رسول الله ثم مات كان مع النَّبيّين والصديقين والشهداء والصالحين؛ وإن كان له تقصير في العمل، وقال بشر بن الحارث: الإسلام هو السُّنَّة، والسُّنَّة هي الإسلام، وقال فضيل بن عياض: إذا رأيتُ رجلًا من أهل السُّنَّة

(١) النور:٣١.

فكأنما أرى رجلًا من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وإذا رأيت رجلًا من البدع فكأني رأيت رجلًا من المنافقين.

.....

هذه بشارة لأهل السُّنَّة، أن الإنسان إذا كان لازمًا للسُّنَّة وبخاصة في زمن البدع والإحداث؛ فإن الله سبحانه وتعالى قد وعده خيرًا، وهذا منقول عن الأئمة، والصبر على السُّنَّة والثبات عليها من أعظم ما تُنال به الدرجات وتُكَفَّرُ به السيئات.

وقال يونس بن عبيد: العجب ممن يدعو اليوم إلى السُّنَّة وأعجب منه من يجيب إلى السُّنَّة فيقبل، وكان ابن عون يقول عند الموت: السُّنَّةَ السُّنَّةَ؛ وإياكم والبدع حتى مات، وقال أحمد بن حنبل ومات رجل من أصحابه فرُئِي في المنام فقال: قولوا لأبي عبد الله عليك بالسُّنَّة؛ فإن أول ما سألني الله سألني عن السُّنَّة.

.....

الإمام أحمد ثبت على السُّنَّة، وهذه من المرائي التي رُئيت للإمام رحمه الله وتثبّته على السُّنَّة وعلى الاستقامة، فثبت على السُّنَّة في مسألة كلام الله عزّ وجلّ.

وقال أبو العالية: من مات على السُّنَّة مستورًا فهو صديّق، ويقال: الاعتصام بالسُّنَّة نجاة،

وقال سفيان الثوري: من أصغى بأذنه إلى صاحب بدعة خرج من عصمة الله ووكل إليها –يعني إلى البدع–، وقال داود بن أبي هند: أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى بن عمران: لا تجالس أهل البدع؛ فإن جالستهم فحاك في صدرك شيء مما يقولون أكببتك في نار جهنم[1]، وقال الفضيل بن عياض: من جالس أصحاب بدعة لم يعط الحكمة، وقال الفضيل بن عياض: لا تجلس مع صاحب بدعة، فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة، وقال الفضيل بن عياض: من أحب صاحب بدعة؛ أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من

---

(١) قال الشيخ عبد العزيز الراجحي حفظه الله في شرحه على نفس الكتاب (الشريط السادس عشر): (هذا من آثار بني إسرائيل وأخبارهم لا يعول عليه؛ فإن داود بن أبي هند القشيري بينه وبين موسى عليه السلام دهور وأزمنة طويلة تنقطع دونها أعناق المطي، ومثل هذا لا يؤخذ إلا عن المعصوم صلّى الله عليه وسلّم).

قلبه، وقال الفضيل بن عياض: من جلس مع صاحب بدعة، ورثّه العمى

.....

ورثّه العمى عن الحق.

وقال الفضيل بن عياض: إذا رأيت صاحب بدعة في طريق فجُزْ في طريق غيره، وقال الفضيل بن عياض: من عظّم صاحب بدعة، فقد أعان على هدم الإسلام، ومن تبسم في وجه مبتدع فقد استخفّ بما أنزل الله عزّ وجلّ على محمد صلّى الله عليه وسلّم، ومن زوَّج كريمتَه مبتدعًا فقد قطع رحمَها، ومن تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله حتى يرجع، وقال الفضيل بن عياض: آكل مع يهودي ونصراني، ولا آكل مع مبتدع، وأحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد،

.....

كريمته: ابنته وأخته، وكل هذه آثار للتنفير من البدع.

وقال الفضيل بن عياض: إذا عَلِمَ اللهُ عزّ وجلّ من الرجل أنه مبغض لصاحب بدعة غفر له – وإن قلّ عمله –، ولا يكن صاحب سُنَّة يمالئُ صاحب بدعة إلا نفاقًا، ومن أعرض بوجهه عن صاحب بدعة ملأ الله قلبه إيمانًا، ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر، ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة، فلا تكن تحب صاحب بدعة في الله أبدًا.

والله أعلم، وصلّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلّم، والحمد لله رب العالمين.

.....

نحمد الله سبحانه وتعالى أن انتهينا من هذا الكتاب، والآثار التي قدمها لك هي على سبيل التمثيل والبيان وتأصيل هذا الأصل الذي بيّن لك في لزوم السُّنَّة، فكتابه رحمه الله في شرح السُّنَّة، ولكن قبل أن نختم هذا المجلس وهذا الكتاب فثمّ مسائل مهمة ينبغي للإنسان أن يعرفها وهو يقرأ كتب السلف، فإن كتب السلف وما فيها من الآثار وما فيها من الأمور ينبغي للإنسان أن يسلك فيها مسلك أهل السُّنَّة بدون غلوّ أو تفريط، فإن بعض الناس لما قرأ هذه الكتب ربما تبنى منهجًا خلاف منهج أهل السُّنَّة – في الغلوّ –،

فهذه القضايا تقدر بقدرها، فالحكم على المبتدع لا بد أن يكون فيه تحقيق مناط، وبيان ما تقع به البدعة يحتاج فقه ويحتاج علم، ولهذا أنا أسوق لكم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فيما يتعلق بمسائل الهجر، لأن بعض الناس – في مسألة جزئية – بعض الناس يسمع كلام السلف في مسألة الهجر فيطلقه بكافة الإطلاق، أو يتعدى على إخوانه المسلمين من أهل السُّنَّة فيما يتعلق بالتبديع بغير حق، قضايا التبديع ينبغي أن تُناط بأهل العلم وأهل الرسوخ في العلم، أما أن يتجرأ على ذلك صغار طلاب العلم، فهذا من الغلط، وهذا من تفريق كلمة أهل السُّنَّة، ولهذا الإنسان قد يتقمص شخصية ليست له، يظن أنه أبو زرعة الرازي أو أبو حاتم الرازي أو البربهاري، هذا الزمان أخبركم أن بعض الناس يتجرأ على مثل هذه الأمور ويتعسف فيها، ولهذا شيخ الإسلام ابن تيمية لما جاء يتكلم عن هذه المسائل ذكر أشياء، مما تكلم فيه مسألة الهجر، وقال الهجر يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، ومن الناس الهجر عنده مطلق، تجده في أمريكا ويهجر أهل الإسلام! أنت في بلاد كفار، قضايا الهجر تختلف باختلاف الأحوال والأزمان، قال ابن تيمية: فلا يشرع في زمان شاع به البدع، قال: والهاجر لا يقوى، ثم قال شيخ الإسلام: من القواعد الهجر الذي قد يصد المهجور عن الدين؛ لا يشرع، يعني أن يصير شخص مسلمًا ثم يعامل بالهجر، هذا ربما أدى به الهجر إلى أن يترك الدين، هذه مسائل فقه وعلم يُرجع فيها إلا لأهل العلم، وبعض الناس يظن أنه عنده علم لدنّي في هذه المسائل، أو أن هذا العلم مخصوص بفلان وفلان، علماء أهل السُّنَّة تكلموا عن هذه المسائل وتبيّنوا فيها وذكروها، فالإنسان لا يأتي بعلم جديد غير علم السلف، ولهذا يقول قاعدة مهمة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى – قبل أن نجيب على الأسئلة – قال: لا يُجعل ما أفتى به إمام من أئمة السُّنَّة في قضية مخصوصة من قضايا الهجر حكمًا عامًا في جميع الأحوال والأزمان، قاعدة مهمة، وهذه ممكن أن تُجَزِّئَها، هي قواعد، ما أفتى به إمام من أئمة السُّنَّة في قضية مخصوصة من قضايا الهجر لا يُجعل حكمًا عامًا في جميع الأحوال والزمان، فالهجر يختلف كما قد قلت لك، وسائل الهجر ومقاصد الهجر وشروط الهجر وتحقق المصلحة من الهجر والقدرة على الهجر، فلهذا إذا رأيت كلام السلف فاعرضه على كلام أهل العلم فيبيّنونه لك، أهل العلم يبيّنون لك، أما أن تأتي فتأخذ كلام السلف فتقول الإبانة لابن بطة أو شرح السُّنَّة للبربهاري ثم تأتي تطبقه على إخوانك من أهل السُّنَّة، ينبغي للإنسان أن يكون عنده فقه، واجتماع الكلمة، ويحذر ممن يغلو في هذه المسائل، فهذه قضية مهمة ينبغي للإنسان أن يتنبّه لها في مثل هذه القضايا، ولهذا الإنسان في مثل

هذه المسائل يسأل أهل العلم ويرجع فيها لأهل العلم، هذا فيما يتعلق بما انتهينا بـه مـن كتـاب، ونسـأل الله سبحانه وتعالى أن يتوفّانا على السُّنَّة، وأن يوفقنا إلى السُّنَّة، وأن يختم لنا بالسُّنَّة والإسلام، وصلّى الله وسـلّم على نبيّنا محمد.